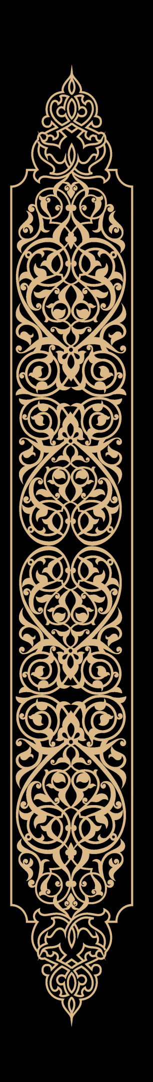
سلسلة دروس ومؤلفات الشيخ عبد الرحمن السند (٥)

رسائل متنوعة

عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد السند

الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والمدرس بالحرمين الشريفين

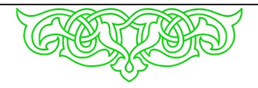




سلسلة دروس ومؤلفات الشيخ عبد الرحمن السند (٥)

رسائل متنوعة

عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد السند
الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
والمدرس بالحرمين الشريفين



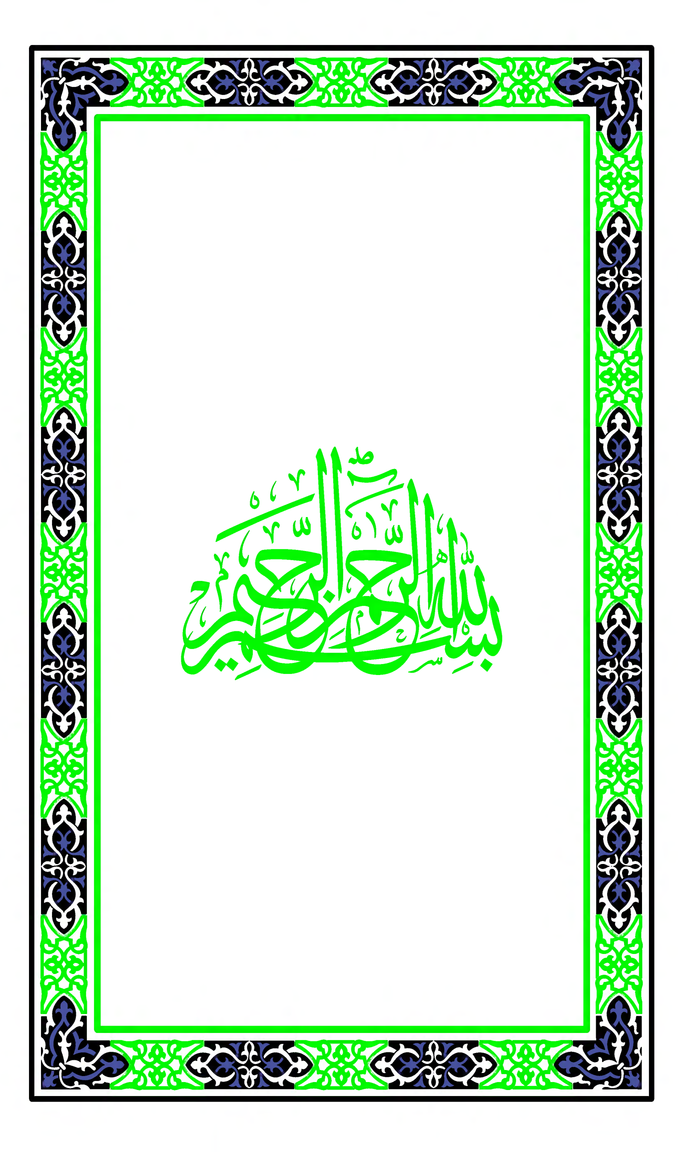
ⓒ الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ١٤٤٠ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.
السند، عبدالرحمن بن عبدالله
رسائل متنوعة. / عبدالرحمن بن عبدالله السند . - الرياض، ١٤٤٠ هـ
٥٦٨ ص ؛ ١٧ x ٢٤ سم
ردمك: ٠-٦٤-٦٨٥-٩٩٦٠
١- الإسلام - مجموعات ٢- البيعة ٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أ.العنوان
ديوي: ٢١٠.٨ ١٤٤٠/٣٢٢٢

رقم الإيداع: ١٤٤٠/٣٢٢٢
ردمك: ٠-٦٤-٦٨٥-٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٤٠ هـ - ٢٠١٨ م

ح الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر١٤٣٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .
السند، عبد الرحمن بن عبد الله
.وجوب البيعة الشرعية لإمام المسلمين ونواقضها / عبدالرحمن
عبد الرحمن بن عبد الله السند. - الرياض، ١٤٣٩هـ
ص ٤٨ ، ١٧X٢٤سم
ردمك: X-٥٦-٦٨٥-٩٩٦٠
١- الخلافة ٢- الإسلام ـ نظام الحكم ٣- البيعة أ- العنوان
ديوي: ٢٥٧.١ ١٤٣٩/٩٥٠٣
رقم الإيداع : ١٤٣٩/٩٥٠٣
ردمك: X-٥٦-٦٨٥-٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ/٢٠١٨م


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدّمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، أحمده سبحانه وأثني عليه الخير كله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه، وخليله، وخيرته من خلقه، أرسله الله رحمة للعالمين وحجة على المكلفين،

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد أَمَر اللهُ ﷻ بالاجتماع والائتلاف، على طاعته سبحانه، ونهى عن التفرق والاختلاف.

قال ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ولا اجتماعَ إلا بإمامة، ولا إمامةَ إلا بسَمْعٍ وطاعة.[١]

ولذلك كان تنصيبُ الإمام فريضةً في الإسلام، لما يترَتَّبُ عليه من المصالح العظيمة.

---

(١) أخرج الدارمي (٢٥٧)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٣٢٦) عن عمر بن الخطاب ؓ أنه قال: «إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة».

والناسُ لا يصلحون بدون إمامٍ يقودُهم، وينظر في مصالحهم، ويدفع المضارَّ عنهم:

لَا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهَّالُهُمْ سَادُوا

ولهذا لما تُوفِّي الرسولُ ﷺ بادر الصحابةُ بتنصيب إمام لهم قبل أن يتَّجهوا إلى تجهيز الرسول ودفنِه ﷺ، لِعِلْمهم بضرورة هذا الأمر، وأنَّه لا يصلح أن يمضي وقتٌ ولو يسيرًا إلا وقد تنصَّب الإمامُ للمسلمين، فاجتمعتْ كلمتُهم ﷺ على أفضل صحابةِ رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ﷺ، فبايعوه، وتمت له البيعةُ، ثُمَّ اتجهوا إلى تجهيز الرسول ﷺ، ودفنه.[(١)]

فالناس إذا اجتمعوا لا بدَّ لهم من «رأس» - كما عبَّر بذلك شيخ الإسلام ﷺ -[(٢)]، وذلك لأهمية الولاية، وعظم خطرها في حفظ الجماعة.

ومن أهم الموضوعات الشرعية التي يحتاجها الناس اليوم، موضوع «البيعة الشرعية»؛ لاختلاط المفاهيم حيالها بفعل تأثير ما ينشره الغلاة والخوارج، ويلبسون به على الناس في هذه المسألة.

وسيدور هذا الكتاب حول هذا الموضوع من خلال ما يلي:

أولاً: تعريف البيعة في اللغة والاصطلاح.

---

(١) ينظر: «البداية والنهاية» (٨/ ٧٩).

(٢) قال ﷺ: «فذم الخروج عن الطاعة ومفارقة الجماعة وجعل ذلك ميتة جاهلية؛ لأنَّ أهل الجاهلية لم يكن لهم رأس يجمعهم، والنبي ﷺ دائمًا يأمر بإقامة رأس، حتى أمر بذلك في السَّفر إذا كانوا ثلاثة، فأمر بالإمارة في أقل عدد وأقصر اجتماع». «منهاج السنة النبوية» (١/ ٥٥٧).



ثانيًا: أنواع البيعة الواردة في الوحيين.

ثالثًا: أهمية البيعة وتنصيب الإمام.

رابعًا: طرق تنصيب الإمام.

خامسًا: كيف تؤخذ البيعة.

سادسًا: لوازم البيعة الشرعية وما يضادها، وحقوق ولي الأمر على رعيته.

سابعًا: الدعوة إلى التآلف والاجتماع والحذر من الفرقة والاختلاف.

أسأل الله ﷻ أن ينفع بهذا الكتاب وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

المؤلف






أولاً: تعريف البيعة في اللغة والاصطلاح

البَيْعَة: - بفتح الباء - مصدر «باع»، وتطلق ويراد بها الصَّفقة على إيجاب البيع، وعلى المبايعة والطاعة.

قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «والبيعة: المبايعة والطاعة، وقد تبايعوا على الأمر كقولك: أصفقوا عليه، وبايعه عليه مبايعة: عاهده، وبايعته من البيع والبيعة جميعًا والتبايع مثله، وفي الحديث أنه قال: «**أَلَا تُبَايِعُونِيْ عَلى الإِسْلامِ**»، هو عبارة عن المعاقدة والمعاهدة، كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه، وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره».(١)

وقال الفيومي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتطلق على المبايعة والطاعة، ومنه أيمان البيعة التي رتَّبها الحجاج مشتملة على أمور مغلظة من طلاق وعتاق وصوم ونحو ذلك».(٢)

---

(١) «لسان العرب» (٨/ ٢٦)

(٢) «المصباح المنير» (ص٦٩)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما أيمان البيعة فقالوا: أول من أحدثها الحجاج بن يوسف الثقفي وكانت السنة أن الناس يبايعون الخلفاء كما بايع الصحابة النَّبيَّ ﷺ، يعقدون البيعة كما يعقدون عقد البيع والنكاح ونحوها. وإما أن يذكروا الشروط التي يبايعون عليها؛ ثم يقولون: بايعناك على ذلك كما بايعت الأنصار النبي ﷺ ليلة العقبة. فلما أحدث الحجاج ما أحدث من العسف كان من جملته أن حلف الناس على بيعهم لعبد الملك بن مروان بالطلاق والعتاق واليمين بالله وصدقة المال. فهذه الأيمان الأربعة هي كانت أيمان البيعة القديمة المبتدعة ثم أحدث المستخلفون عن الأمراء من الخلفاء والملوك وغيرهم أيمانا كثيرة أكثر من تلك وقد تختلف فيها عاداتهم؛ ومن أحدث ذلك فعليه إثم ما ترتب على هذه الأيمان من الشر. «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٢٤٣)

وقال ابن الأثير ﵀: «وفي الحديث أنه قال: «ألا تبايعوني على الإسلام»، أي هو عبارة عن المعاقدة عليه والمعاهدة».(١)

وقال بدر الدين العيني ﵀: «وسميت بذلك: «المبايعة على الإسلام» تشبيهًا بالمعاوضة المالية؛ كأنَّ كل واحد منهما يبيع ما عنده من صاحبه، فمن طرف رسول الله ﷺ وعد الثواب، ومن طرفهم التزام الطاعة».(٢)

وفي الاصطلاح: عرَّفها ابن خلدون ﵀ بقوله: «البيعة: هي العهد على الطاعة».(٣)

فالبيعة إذن تعني: إعطاء العهد من المبايع على السَّمع والطاعة للأمير في غير معصية، في المنشط والمكره والعسر واليسر وعدم منازعته الأمر وتفويض الأمور إليه.



(١) «النهاية في غريب الحديث» (١/ ١٧٤)

(٢) «عمدة القاري» (١/ ١٥٤)

(٣) «تاريخ ابن خلدون» (١/ ٢٦١)، وتمام كلامه: «كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يُسَلِّم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره، وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيدًا للعهد، فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري، فسمي بيعة مصدر باع وصارت البيعة مصافحة بالأيدي، هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع وهو المراد في الحديث في بيعة النَّبي ﷺ ليلة العقبة وعند الشجرة».




ثانيًا: أنواع البيعة الواردة في الوحيين

تنوعت البيعات التي أخذها النبيِّ ﷺ على أصحابه ﵃، سواء أكانت عامَّة أم خاصَّة لبعض الأفراد من صحابته ﷺ.

وكانت المبايعة على السمع والطاعة وعلى الهجرة وعلى الجهاد وعلى الصبر وعلى عدم الفرار ولو وقع الموت وعلى بيعة النساء وعلى الإسلام.(١)

ومن البيعات التي وردت في الشريعة ما يلي:

١ - البيعة على الإسلام:

وهي أوجب أنواع البيعات وأعظمها، ونكثها كفر أكبر.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المُمتَحنَة: ١٢].

قال البغوي ﵀: «لما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال، وهو على الصَّفا وعمر بن الخطاب أسفل منه، وهو يبايع النِّساء بأمر رسول الله ﷺ، ويبلِّغهن عنه، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان مُتَنَقِّبة متنكرة مع النساء خوفًا من رسول الله ﷺ أن يعرفها فقال رسول الله ﷺ: «**أبايعكن**:

(١) «فتح الباري» (١٣/ ١٩٤).

على أن لا تشركن بالله شيئا»، فرفعت هند رأسها وقالت: والله إنَّك لتأخذ علينا أمرًا ما رأيناك أخذته على الرجال، وبايع الرجال يومئذ على الإسلام، والجهاد فقط».(١)

وأخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله ﭬ قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم».(٢)

٢ - البيعة على النصرة والمنعة:

قال ابن كثير ﭫ: «قال ابن إسحاق: ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين مع حجاج قومهم من أهل الشرك، حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أواسط أيام التشريق، حين أراد الله بهم من كرامته والنصر لنبيه، وإعزاز الإسلام وأهله».(٣)

ثم ساق ﭫ ما أخرجه الإمام أحمد ﭫ عن جابر بن عبد الله ﭬ أنه قال: «مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ، ومجنة، وفي المواسم بمنى، يقول: «**مَنْ يُؤْوِيْني؟ مَنْ يَنْصُرني حَتَّى أُبَلِّغ رِسَالة رَبِّي وَلَه الجَنَّة**»؟ حتى إنَّ الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر - كذا قال فيه - فيأتيه قومه، فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك. ويمشي بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله إليه من يثرب، فآويناه وصدقناه، فيخرج الرجل منَّا فيؤمن به، ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ١٠٠).

(٢) البخاري (٥٧)، مسلم (٥٦)

(٣) «البداية والنهاية» (٤/ ٣٩٤)

الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام، ثم ائتمروا جميعًا، فقلنا: حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف؟ فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شِعب العقبة، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا، فقلنا: يا رسول الله، علام نبايعك؟ قال: «**تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي اللهِ لَا تَأْخُذُكُمْ فِيهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ يَثْرِبَ، فَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمُ الْجَنَّةُ**». فقمنا إليه، وأخذ بيده أسعد بن زرارة - وهو من أصغرهم - فقال: رويدًا يا أهل يثرب، فإنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه، وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة، فبينوا ذلك، فهو أعذر لكم عند الله، قالوا: أمط عنَّا يا أسعد، فوالله لا ندع هذه البيعة أبدًا، ولا نسلبها أبدًا. قال فقمنا إليه فبايعناه، وأخذ علينا وشرط، ويعطينا على ذلك الجنة»[١].

٣ - البيعة على الجهاد:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

---

(١) المسند (١٤٦٥٣).

قال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه الآية نزلت في البيعة الثالثة وهي بيعة العقبة الكبرى، وهي التي أناف فيها رجال الأنصار على السبعين وكان أصغرهم سنًا عقبة بن عمرو، وذلك أنهم اجتمعوا مع رسول الله ﷺ عند العقبة فقالوا: اشترط لك ولربك، والمتكلم بذلك عبدالله بن رواحة، فاشترط رسول الله ﷺ حمايته مما يحمون منه أنفسهم، واشترط لربه التزام الشريعة وقتال الأحمر والأسود في الدفع عن الحوزة، فقالوا: ما لنا على ذلك؟ قال الجنة، فقالوا: نعم ربح البيع لا نقيل ولا نُقال، وفي بعض الروايات ولا نستقيل فنزلت الآية في ذلك.

ثم الآية بعد ذلك عامة في كل من جاهد في سبيل الله من أمة محمد ﷺ إلى يوم القيامة، وقال بعض العلماء: ما من مسلم إلا ولله في عنقه هذه البيعة وفى بها أو لم يَفِ».[1]

وأخرج البخاري عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «بايعت النَّبي ﷺ، ثم عدلت إلى ظلِّ الشجرة، فلما خفَّ الناس قال: «**يَا ابْنَ الأَكْوَعِ أَلَا تُبَايِعُ؟**» قال: قلت: قد بايعت يا رسول الله، قال: «**وَأَيْضاً**» فبايعته الثانية، فقلت له: يا أبا مسلم على أي شيء كنتم تبايعون يومئذ؟ قال: على الموت».[2]

٤- البيعة على الهجرة:

وكانت الهجرة لازمة للمسلمين للانتقال من دار الشرك والكفر إلى دار يحفظ فيها المسلم دينه وإيمانه، ومنها هجرة المسلمين الأولى والثانية من مكة إلى الحبشة، ثم الهجرة إلى المدينة المنورة.

---

(١) «المحرر الوجيز» (٣/ ٨٥).

(٢) البخاري (٢٩٦٠).



أخرج مسلم عن مجاشع بن مسعود ﷺ قال: جئت بأخي أبي معبد إلى رسول الله ﷺ بعد الفتح، فقلت: يا رسول الله، بايعه على الهجرة، قال: «**قَدْ مَضَتِ الْهِجْرَةُ بِأَهْلِهَا**»، قلت: فبأي شيء تبايعه؟ قال: «**عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْجِهَادِ وَالْخَيْرِ**».(١)

قال ابن حجر ﷺ: «قال ابن التين: وكانت الهجرة إلى المدينة فرضًا قبل فتح مكة على كل من أسلم، ومن لم يهاجر لم يكن بينه وبين المؤمنين موالاة لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ [الأنفال: ٧٢]، فلما فتحت مكة قال ﷺ: «**لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ**».(٢)

٥- البيعة على السمع والطاعة:

وهذه البيعة هي المقصودة عند إطلاق لفظ البيعة، وهي التي يورد الأئمة أحكامها ومسائل طاعة ولاة الأمور وحقوقهم الشرعية فيها.

والأصل فيها: ما رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت ﷺ أنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم».(٣)

---

(١) مسلم (١٨٦٣).

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٢٠٠)، وهناك بيعات أخرى ذكرت في الأحاديث النبوية، تتعلق بأحداث معينة أو أشخاص بأعيانهم. ينظر: «البيعة في الكتاب والسنة» لبدر الرخيص، «البيعة في السنة النبوية» لزهير عثمان.

(٣) البخاري (٧١٩٩)، مسلم (١٧٤٩).

قال ابن حجر ﵀: «والمراد أن طواعيتهم لمن يتولى عليهم لا تتوقف على إيصالهم حقوقهم بل عليهم الطاعة ولو منعهم حقهم».(١)

وهذه البيعة عقدٌ على الدوام؛ إلا إن حدث ناقض لها؛ كموت المُبَايَع أو جنونه أو كفره كفرًا صريحًا ظاهر البرهان، ونقض هذه البيعة من غير ذلك كبيرة من كبائر الذنوب، نسأل الله السلامة والعافية.

ومما ينبه عليه في هذا المقام: أنَّه لا يجوز مبايعة غير إمام المسلمين الأعظم في البلاد، وما تحدثه بعض الفرق والجماعات السياسية من مبايعتهم لمرشدٍ لهم أو قائد، أو شخص يزعمون أنه خليفة لهم، فهو يناقض البيعة الشرعية ولا يجوز، وهذا مما حرمته الشريعة، وهذا من شق العصا، وسببٌ لإيجاد الفتنة والشر والضلال، فلا يجوز أن تتعدد البيعات.

فالبيعة لإمام المسلمين وجماعة المسلمين واحدة، والنبي ﷺ قال في حديث حذيفة بن اليمان ﵁: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**»(٢)، إمام واحد.

فمثلاً في المملكة العربية السعودية ليس لنا إمام إلا ولي الأمر خادم الحرمين الشريفين حفظه الله ورعاه.

ولذا فإن تعدد البيعات مناقض للبيعة، وفي الحديث: «**مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**».(٣)

---

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥١).

ثم قال النبي ﷺ في حديث حذيفة عندما سأله: «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟»، لم يقل أن تبايع أفضل أو أقرب الناس للسنة، أو تبايع أقرب الفرق وتكون معهم وتلزمهم، قال: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**»، فجماعة المسلمين واحدة، لا يجوز أن تتفرق.

قال الشيخ محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «البيعة التي تكون في بعض الجماعات بيعة منكرة شاذة؛ لأنها تتضمن أن الإنسان يجعل لنفسه إمامين وسلطانين: الإمام الأعظم الذي هو على جميع البلاد، والإمام الذي بايعه.

وتفضي - أيضًا - إلى شرٍّ بالخروج على الأئمة الذي يحصل به من سفك الدماء وإتلاف الأموال ما لا يعلمه إلا الله»[١].



(١) «لقاء الباب المفتوح» اللقاء رقم (٦).




ثالثًا: أهمية البيعة وتنصيب الإمام

لا تنتظم أمور الدين والدنيا إلا بوجود إمام، ولذلك أجمع العلماء على وجوب تنصيب الإمام، ومبايعته؛ بمعنى العهد والعقد على السمع والطاعة بالمعروف، وعدم نزع يد الطَّاعة في شيء من الأمور، وطاعته في المنشط والمكره.

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «اتفق جميع أهل السنة، وجميع المرجئة، وجميع الشيعة، وجميع الخوارج، على وجوب الإمامة وأنَّ الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله ﷺ، حاشا النَّجدات من الخوارج؛ فإنهم قالوا لا يلزم النَّاس فرض الإمامة، وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم، وهذه فرقة ما نرى بقي منهم أحد، وهم المنسوبون إلى نجدة بن عمير الحنفي القائم باليمامة، وقول هذه الفرقة ساقط يكفي من الرد عليه وإبطاله إجماع كل من ذكرنا على بطلانه، والقرآن والسنة قد ورد بإيجاب الإمام من ذلك قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النِّسَاء: ٥٩] مع أحاديث كثيرة صحاح في طاعة الأئمة، وإيجاب الإمامة».(١)

وهذا الواجب من أعظم الواجبات الشرعية، فلا قيام للدين ولا للدنيا إلا بتنصيب الإمام وتوليته.

(١) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ٧٢)



قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «يجب أن يعرف النَّاس أنَّ ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا الدنيا إلا بها»[(١)].

والمقصود في جانب مبايعة الإمام والبيعة هي العهد، والميثاق المقصود الرضا والانقياد والطاعة والسمع لولاة الأمور.

كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النِّسَاء: ٥٩]، وليس هذا إلا بوجود الإمام من المسلمين.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمعوا أنَّه يجب على المسلمين نصب خليفة، ووجوب ذلك بالشرع، ولا حجة ببقاء الصحابة بلا خليفة في مدة التشاور يوم السقيفة ولا في أيام الشورى؛ لأنهم ساعون في ذلك في أمر من يعقد له من المسلمين»[(٢)].

ولا بد لهذا الدِّين ممن يقوم به ولذلك قام الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بأمر تنصيب الإمام حتى قبل دفن النَّبيِّ ﷺ، كما سبق.

قال ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أنَّ الصَّحابة - رضوان الله تعالى عليهم - أجمعوا على أنَّ نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب، بل جعلوه أهم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله ﷺ، واختلافهم في التَّعيين لا يقدح في الإجماع المذكور، ولتلك الأهمية لمَّا توفي رسول الله ﷺ قام أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطيبًا فقال: أيها النَّاس من كان يعبد محمدًا فإنَّ محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٣٩٠).
(٢) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٢/ ٢٠٥).

يموت، ولا بدَّ لهذا الأمر ممن يقوم به فانظروا وهاتوا آراءكم، فقالوا صدقت ننظر فيه».(١)

واستدل العلماء على وجوب تنصيب الإمام، وتوليته بالكتاب والسنة والإجماع والعقل والنظر:

أمَّا الكتاب: فكقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النِّساء: ٥٩].

وأمَّا السنة: فكقوله ﷺ: «إنَّما الإمامُ جُنة يُقاتَل مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتّقى بِه».(٢)

وكقوله ﷺ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُم».(٣)

وكقوله ﷺ: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».(٤)

وكقوله ﷺ: «مَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ».(٥)

---

(١) «الصواعق المحرقة» (١/ ٢٥).
(٢) أخرجه مسلم (١٨٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) أخرجه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.
(٥) أخرجه مسلم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.




فهذه الأحاديث فيها إخبار من الرسول ﷺ بأنه سَيلي المسلمين ولاة، وفيها وصف للخليفة بأنه: «**جُنة**»، أي: وقاية، فوصف الرسول بأن الإمام «**جُنَّة**» هو إخبار عن فوائد وجود الإمام فهو طلب، لأن الإخبار من الله ومن الرسول إن كان يتضمن الذم فهو طلب ترك، وإن كان يتضمن المدح فهو طلب فعل، فإن كان الفعل المطلوب يترتب على فعله إقامة الحكم الشرعي، أو يترتب على تركه تضييعه، كان ذلك الطلب جازماً.

وفي هذه الأحاديث أيضاً أن الذين يسوسون المسلمين هم الخلفاء، وهو يعني طلب إقامتهم.

وأَمَر ﷺ بطاعة الخلفاء، وبقتال من ينازعهم في خلافتهم، وهذا يعني الأمر بإقامة خليفة، والمحافظة على خلافته بقتال كل من ينازعه.

وأما الإجماع: فقد أجمع الصحابة ﷺ على تولية خليفة بعد وفاة النَّبي ﷺ حتى قدَّموا ذلك على دفنه ﷺ؛ لأنَّ تنصيب الإمام من أعظم الواجبات؛ لأنه لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بالإمام.

وأمَّا العقل والنظر: فإن إقامة الحدود، وسد الثغور، وتأمين السبل، وإقامة الجمع والجماعات، وأَمْن الناس على ضروراتهم من أعظم الواجبات ومما تتم به الواجبات، ولا سبيل لتحقيقها إلا بتنصيب إمام.

كما أن الشريعة جاءت بجلب المنافع ودفع المضار، ومن أعظم أسباب جلب المنافع تولية الإمام؛ لأنَّ النَّبي ﷺ قال: «**إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإذا كان قد أوجب في أقل الجماعات وأقصر الاجتماعات أن يولى أحدهم: كان هذا تنبيهًا على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك».(١)

فلا بدَّ للناس من إمام يسمعون له ويطيعون، فتنتظم أمور دينهم ودنياهم بوجود الإمام، ويأمنون على أنفسهم وعلى أموالهم وأعراضهم، وتأمن السبل وتقام الجمع والجماعات والأعياد، وتسد الثغور، وتقام الحدود، ويردع أهل الظلم، وينصر المظلوم وغير ذلك.

قال ابن حزم رحمه الله: «إن الله عز وجل يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦] فوجب اليقين بأنَّ الله تعالى لا يكلف النَّاس ما ليس في بنيتهم واحتمالهم، وقد علمنا بضرورة العقل وبديهته أنَّ قيام الناس بما أوجبه الله تعالى من الأحكام عليهم في الأموال والجنايات والدماء والنكاح والطلاق وسائر الأحكام كلها، ومنع الظالم وإنصاف المظلوم وأخذ القصاص على تباعد أقطارهم وشواغلهم واختلاف آرائهم، وامتناع من تحرى في كل ذلك ممتنع غير ممكن، إذ قد يريد واحد أو جماعة أن يحكم عليهم إنسان، ويريد آخر أو جماعة أخرى أن لا يحكم عليهم؛ إما لأنها ترى في اجتهادها خلاف ما رأى هؤلاء، وإمَّا خلافًا مجردًا عليهم وهذا الذي لا بد منه ضرورة، وهذا مشاهد في البلاد التي لا رئيس لها؛ فإنه لا يقام هناك حكم حق ولا حَدٌّ؛ حتى قد ذهب الدِّين في أكثرها فلا تصح إقامة الدِّين إلا بالإسناد إلى واحد أو إلى أكثر من واحد، فإذْ لا بُدَّ من أحد هذين الوجهين فإن الاثنين فصاعدًا بينهما أو

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٦٥).



بينهم ما ذكرنا فلا يتم أمر البتة فلم يبق وجه تتم به الأمور إلا لإسناد إلى واحد فاضل عالم حسن السياسة قوي على الإنفاذ».[١]

قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اللـهُ يَـدْفَـعُ بِـالـسُّـلْـطَـانِ مُـعْـضِـلَـةً   عَـنْ دِيْـنِـنَـا رَحْـمَـةً مِـنْـهُ وَرِضْـوَانَـا

لَـوْلَا الأَئِـمَّـةُ لَـمْ تَـأْمَـنْ لَـنَـا سُـبُـلٌ   وَكَـانَ أَضْـعَـفُـنَـا نَـهْـبـاً لأَقْـوَانَـا[٢]



---

(١) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ٧٢)

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤١٤).




رابعًا: طرق تنصيب الإمام

يكون تنصيب الإمام بأحد ثلاثة طرق:

الطريق الأول: الاختيار

والذي يقوم بهذا هم أهل الحل والعقد، وهم: العلماء والأمراء وأهل الشأن، فهؤلاء إذا بايعوا رجلاً من المسلمين انعقدت البيعة له.[(١)]

وشاهدها: فعل الصحابة ﷺ باختيارهم أبا بكر خليفة، واختيار أهل الحل والعقد عثمانَ، ثم اختيارهم عليًّاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «فالإمامة مُلْكٌ وسُلطان، والمَلِك لا يصير مَلِكًا بموافقة واحدٍ ولا اثنين ولا أربعة، إلا أن تكون موافقة هؤلاء تقتضي موافقة غيرهم بحيث يصير مَلكًا بذلك... ولو كان جماعة في سفر فالسنة أن يؤمروا أحدهم، كما قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا يَحِلُّ لِثَلاثَةٍ يَكُونُوْنَ فِيْ سَفَرٍ إلا أنْ يُؤَمِّروا وَاحِدًا مِنْهُمْ**»، فإذا أمره أهل القدرة منهم صار أميرًا».[(٢)]

وعليه: فلا يجب على جميع المسلمين أن يبايعوه، فإذا بايعه أهل الحل والعقد لزمت البيعة عموم الناس، وثبتت الولاية بهذه المبايعة،

(١) «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص٦)، و«الأحكام السلطانية» لأبي يعلى (ص٢٣)، «شرح السنة» للبغوي (١٠/ ٨١).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (١/ ٥٢٧).



ويجب عليهم السمع والطاعة بالمعروف؛ لأن هذا الإمام قد ثبتت ولايته بمبايعة أهل الحل والعقد؛ لأنَّ الأمر ينتظم بهم، ويتبعهم سائر الناس.

بل لا يلزم أن يبايعه أهل الحل والعقد كلهم، فإذا بايعه جماعة من أهل الحل والعقد ثبتت ولايته.

قال النووي ﷺ: «المعتبر بيعة أهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء وسائر وجوه الناس الذين يتيسر حضورهم، ولا يشترط اتفاق أهل الحل والعقد في سائر البلاد والأصقاع، بل إذا وصلهم خبر أهل البلاد البعيدة، لزمهم الموافقة والمتابعة، وعلى هذا لا يتعين للاعتبار عدد، بل لا يعتبر العدد».(١)

والأصل في ذلك فعل الصحابة ﷺ، فقد روى البخاري في قصة أخذ البيعة لعثمان ﷺ أن عبد الرحمن بن عوف ﷺ عندما أعلن البيعة لعثمان أرسل إلى من كان حاضرًا من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فبايعوه.(٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «وما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم واجب على الإنسان وإن لم يعاهدهم عليه وإن لم يحلف لهم الأيمان المؤكدة كما يجب عليه الصلوات الخمس والزكاة والصيام وحج البيت. وغير ذلك مما أمر الله به ورسوله من الطاعة».(٣)

وبهذه البيعة يكون ولياً لأمر المسلمين، تجب طاعته بالمعروف، فتلزم طاعته في الواجبات إذا أمر بالواجبات الشرعية، فهذا من باب

---

(١) «روضة الطالبين» (١٠/ ٤٣)

(٢) البخاري (٧٢٠٧)

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٩)

الواجب فطاعته واجبة لأنه أمر بالواجب، أمر بإقامة الصلوات في المساجد، وأمر بأن يلتزم النساء بالحجاب، وأمر بإقامة صلاة الجمعة، ونحو ذلك من الواجبات فأمره واجب وطاعته في أمره واجبة؛ وهذا من باب تأكيد الواجبات.

وإذا أمر بشي من المستحبات والمندوبات فطاعته أيضاً واجبة، وهذا لانتظام حال المسلمين حتى في أمور المباحات إذا أمر بها الإمام؛ لزم المسلمين أن يلتزموا بهذا الأمر؛ لأنه جاء من الإمام، وطاعته واجبة ولو كان في أصل الشريعة مباحاً، وذلك إذا أمر به الإمام لمصلحة(١)، فإذا أمر بذلك تلزم الطاعة، ولا يجوز أن يعصي الناس هذا الأمر.

فعلى سبيل المثال: جاء التنظيم بأن يكون الحج كل خمس سنوات، وأمر به ولي الأمر، وأن لا يحج الإنسان إلا بعد مرور خمس سنين.

فَحجُّ الإنسان كل عام جائز، لكن لنظرٍ مصلحيٍّ لعموم المسلمين، استند على فتوى شرعية من هيئة كبار العلماء، أمر ولي الأمر بأن لا يحجَّ الإنسان إلا بعد خمس سنين، فطاعة الإمام في ذلك واجبة؛ لأنه لم يأمر بذلك إلا لمصلحة عامة للمسلمين.

والنبي ﷺ قال: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ**».(٢)

وقال: «**مَنْ أَطَاعَ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي**».(٣)

---

(١) والقاعدة: أن تصرفات الإمام في رعيته منوطة بالمصلحة. ينظر: «القواعد الكبرى» (٢/ ١٥٨)، «مجموع الفتاوى» (٣٢/ ٤٠)، «أعلام الموقعين» (٢/ ٣٤٢).

(٢) أخرجه أحمد (١٧١٤٤)، والترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧) من حديث العرباض ﷺ.

(٣) سبق تخريجه.




فطاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ تكون أيضاً بطاعة ولي الأمر، فيما ليس فيه مخالفة لأمر الله وأمر رسوله ﷺ. ولذلك قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النِّسَاء: ٥٩]. ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم.

قال العلماء: لأنَّ طاعة ولي الأمر تكون في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، ولذلك إذا أمر بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ كما قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المعْرُوفِ**»(١).

لكن إذا أمر بأمر ليس فيه مخالفة لأمر الله وأمر الرسول ﷺ؛ فإنه يجب على المسلمين أن يطيعوه في هذا الأمر، ولا يجوز لهم مخالفة ولي الأمر؛ لأنه لا يصلح حال الناس، ولا ينتظم أمر حياتهم ومعاشهم إلا بالطاعة، فإذا وجد الإمام ولم يوجد له السمع والطاعة فلا فائدة من تنصيبه إمامًا، وإنما تحصل الفائدة منه بالسمع له وطاعته.

الطريق الثاني: العهد والاستخلاف من إمام المسلمين

إذا عهد الإمام بولاية المسلمين لشخص من بعده ووافقه أهل الحل والعقد وبايعوا لمن عهد إليه فقد صحَّت بيعته، وصح أن يكون وليًا للأمر من بعد العاهد، وقد أجمع على هذا أهل العلم، ولم يخالف فيه إلا من لا عبرة بخلافه من الخوارج والمعتزلة.(٢)

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٥)، ومسلم (١٨٤٠)، من حديث عليٍّ رضي الله عنه.

(٢) ينظر: «مراتب الإجماع» (ص١٢٦)، «غياث الأمم» (ص٣٠)، «إكمال المعلم» (٦/ ٢٢٠)، «المغني» (١٢/ ٢٤٣)، «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٢/ ٤١٠).

ومن أدلَّة هذا الطريق:

١- ما أخرجه الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها أنَّ النبيَّ ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: «**لَقَدْ هَمَمْتُ - أَوْ أَرَدْتُ - أَنْ أُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ وَأَعْهَدَ: أَنْ يَقُولَ القَائِلُونَ - أَوْ يَتَمَنَّى الْمُتَمَنُّونَ - ثُمَّ قُلْتُ: يَأْبَى اللَّهُ وَيَدْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ، أَوْ يَدْفَعُ اللَّهُ وَيَأْبَى الْمُؤْمِنُونَ**».(١)

وقد بوب عليه الإمام البخاري رحمه الله بقوله «باب الاستخلاف».

قال ابن حجر رحمه الله: «أي تعيين الخليفة عند موته خليفة بعده أو يعين جماعة ليتخيروا منهم واحدًا».(٢)

٢- فعل الخلفاء الراشدين وإقرار الصحابة لهم بذلك رضي الله عنهم، فقد عهد أبو بكر رضي الله عنه بالخلافة من بعده لعمر رضي الله عنه، وتلقى الصحابة رضي الله عنهم هذا الأمر بالقبول والرضا؛ فكان إجماعاً منهم.

وكذلك عهد عمر رضي الله عنه بالولاية من بعده للستة من العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم، وجعل الأمر شورى بينهم.

قال الخطابي رحمه الله: «فالاستخلافُ سنَّة اتفق عليها الملأ من الصحابة، وهو اتفاق الأمة لم يخالف فيه إلا الخوارج والمارقة الذين شقوا العصا وخلعوا ربقة الطاعة».(٣)

فإذا اختار ولي الأمر رجلاً من المسلمين، فعهد إليه بالخلافة والعهد من بعده في إمامة المسلمين، فإنه يجب على المسلمين أن يقبلوا هذا الأمر؛ لأن الإمام نائب عنهم في اختيار الإمام من بعده.

---

(١) البخاري (٥٦٦٦)، مسلم (٢٣٨٧).
(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٢٠٦).
(٣) «معالم السنن» (٣/ ٦).




الطريق الثالث: القهر والغلبة:

وقد أوجب العلماء طاعة المتغلب وإن لم يرتضه أهل الحل والعقد؛ لعِظَم المصالح المترتبة على وجود الحاكم، ولعظم المفاسد المترتبة على نزع الأمن من البلاد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمتى صار قادرًا على سياستهم إمَّا بطاعتهم أو بقهره فهو ذو سلطان مطاع إذا أمر بطاعة الله، ولهذا قال أحمد في رسالة عبدوس بن مالك العطار: «أصولُ السنة عندنا التمسكُ بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ - إلى أن قال -: «ومن ولي الخلافة فأجمع عليه الناس ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، فدفع الصدقات إليه جائز بَرًّا كان أو فاجرًا».[(١)]

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «لو خرج رجل واستولى على الحكم وجب على النَّاس أن يَدينوا له، حتى ولو كان قهراً بلا رضىً منهم؛ لأنه استولى على السلطة.

ووجه ذلك: أنَّه لو نوزع هذا الذي وصل إلى سُدَّة الحكم لحصل بذلك شرٌّ كثير، وهذا كما جرى في دولة بني أمية، فإنَّ منهم من استولى بالقهر والغلبة، وصار خليفةً يُنادى باسم الخليفة، ويُدان له بالطاعة، امتثالاً لأمر الله ﷻ».[(٢)]



(١) «منهاج السنة النبوية» (١/ ٥٢٩)

(٢) «شرح العقيدة السفارينية» (ص٦٨٤)




خامسًا: كيف تؤخذ البيعة

جاء في السنن والآثار تبيين كيفية أخذ البيعة، ومن ذلك:

أ - **المبايعة بالمصافحة والكلام**: وهذا تكرر كثيرًا في السنة النبوية في بيعات النَّبيِّ ﷺ لأصحابه، كما في بيعات العقبة، وبيعة الرضوان، وغيرها من البيعات الخاصَّة.

وفي حديث بيعة العقبة: «كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور، ثم تتابع القوم».(١)

وفي بيعة الرضوان قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

والمبايعة - كما سبق - شبِّهت بالبيع والشراء؛ لأنَّ البائع والمشتري كل واحد منهما يمد يده، والعهد الذي بين الإمام وعموم المسلمين يعطيه يده، فسميت بالمبايعة تشبيهًا بالبيع والشراء؛ لأن الإمام إذا بايعه المسلمون مدوا أيديهم، فهذا من باب التشبيه.

ب - **المبايعة بالكلام**: وهي الحال التي بايع النبيُّ ﷺ النساء بها.

قالت عائشة رضي الله عنها: كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى النَّبيِّ ﷺ يمتحنهن بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [المُمتحَنة: ١٠] إلى آخر الآية. قالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات فقد أقر بالمحنة، فكان رسول الله ﷺ إذا أقررن بذلك من

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٧٩٨).




قولهن، قال لهن رسول الله ﷺ: «انْطَلِقْنَ فَقَدْ بَايَعْتُكُنَّ»، لا والله ما مسَّت يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط، غير أنه بايعهن بالكلام، والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء إلا بما أمره الله، يقول لهن إذا أخذ عليهن: «قَدْ بَايَعْتُكُنَّ» كَلامًا

ج - المبايعة بالكتابة والمراسلة:

وقد بايع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عبد الملك بن مروان كتابةً.

أخرج البخاري رحمه الله عن عبد الله بن دينار، قال: لما بايع النَّاسُ عبدَ الملك كتب إليه عبدُ الله بن عمر: «إلى عبد اللهِ عبد الملك أمير المؤمنين، إنِّي أقرُّ بالسَّمع والطَّاعة لعبد الله عبد الملك أميرِ المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله فيما استطعت، وإن بَنيَّ قد أقروا بذلك».[1]

ولم يأت نصٌّ يحدد ما يقال للإمام الأعظم أثناء مبايعته، وقد اجتهد بعض أهل العلم في صياغة ألفاظ معينة، كأبي يعلى الفراء حيث صاغها بقوله: «بايعناك على بيعة رضى، على إقامة العدل، والإنصاف، والقيام بفروض الإمامة».[2]



(١) البخاري (٧٢٠٥).

(٢) «الأحكام السلطانية» (ص٢٥)، وينظر: «تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام» (ص٥٧)، «إيضاح طرق الاستقامة في بيان أحكام الولاية والإمامة» (ص٨٤).




سادسًا: لوازم البيعة الشرعية وما يضادها، وحقوق ولي الأمر على رعيته

للإمام عند انعقاد البيعة وتمامها من أهل الحل والعقد، ثم من الأمة تبعًا التزامات لا بدَّ من أدائها كاملة، كما أنَّ للأمة حقوقًا على الإمام يقوم عليها برعاية أمور الدين والدنيا.

ولا يلزم من نقص إحداهما نقص الأخرى.

والأصل في ذلك ما رواه الشيخان عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سَتَكُونُ أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا**»، قالوا: يا رسُول الله فما تأْمُرُنَا؟ قَالَ: «**تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ**».[(١)]

قال النووي رحمه الله: «وفيه الحث على السمع والطاعة وإن كان المتولي ظالمًا عسوفًا فيعطى حقه من الطاعة، ولا يخرج عليه ولا يخلع، بل يتضرع إلى الله تعالى في كشف أذاه ودفع شره وإصلاحه».[(٢)]

وقال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله: «فأمر النَّبيُّ ﷺ أن نؤدي لهم حقهم، وأنَّ عليهم ما حُمِّلوا وعلينا ما حُمِّلنا، فنحن حُمِّلنا السمع والطاعة، وهم حُمِّلوا أن يحكموا فينا بالعدل وألا يظلموا أحداً، وأن يقيموا حدود الله على عباده الله، وأن يقيموا شريعة الله في أرض الله،

---

(١) البخاري (٣٦٠٣)، مسلم (١٨٤٣).

(٢) «المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٢/ ٢٣٢).



وأن يجاهدوا أعداء الله، هذا الذي يجب عليهم، فإن قاموا به؛ فهذا هو المطلوب، وإن لم يقوموا به فإننا لا نقول لهم: أنتم لم تؤدوا الحق الذي عليكم فلا نؤدي حقكم الذي لكم! هذا حرام، يجب أن نؤدي الحق الذي علينا، فنسمع ونطيع، ونخرج معهم في الجهاد، ونصلي وراءهم في الجمع والأعياد وغير ذلك، ونسأل الله الحق الذي لنا.

وهذا الذي دلّ عليه هذا الحديث هو مذهب أهل السنة والجماعة، مذهب السلف الصالح؛ السمع والطاعة للأمراء وعدم عصيانهم فيما تجب طاعتهم فيه، وعدم إثارة الضغائن عليهم، وعدم إثارة الأحقاد عليهم، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة».(١)

وعليه: فإنَّ من لوازم البيعة من الرعية تجاه الإمام:

١- السمع والطاعة:(٢) وهي من أعظم واجبات الإمام وأهم حقوقه، وذلك أنَّ استقرار الحكم، واتفاق الكلمة واجتماع القلوب هي في طاعتهم إذا أمروا بالمعروف.

قال شيخنا ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواجب على الرعية السمع والطاعة لولي الأمر في المعروف والحذر من الخروج عليه بالقتال؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: **«مَنْ أَتاكُم وَأَمْرُكُم جميعٌ على رَجُلٍ واحدٍ يُريد أن يُفرِّق جَماعتكم فاقْتُلوه»**. خرجه مسلم في صحيحه، ولما ثبت في الأحاديث الصحيحة الكثيرة من وجوب السمع والطاعة لولي الأمر، وإن عَصى وظلم، ما لم

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٦٦٦).

(٢) تنقسم الطاعة إلى قسمين: **طاعة مطلقة**: وهي لله ﷻ ولرسوله ﷺ، **وطاعة مقيدة**: مثل طاعة ولي الأمر، وطاعة الوالدين، وطاعة الزوجة لزوجها، وطاعة الولد لوالديه.

يقع منه الكفر البواح؛ وما ذاك إلا لأنه يترتب على الخروج فساد عظيم وعواقب وخيمة تربو على ما حصل منه من الخلل».[(١)]

فطاعة ولي الأمر، وترك منازعته، طريقة أهل السنة والجماعة، وهذا هو فصل النّزاع بين أهل السنة، وبين الخوارج.

والسمع والطاعة لولي الأمر له آثار كثيرة عظيمة، ومن أبرزها:

أ - تحقيق العبودية لله ﷻ بطاعة أوامره وأوامر رسوله ﷺ الداعية إلى طاعة ولاة الأمر، فهو أمرٌ تعبديٌّ بين العبد وربِّه.

ب - أنَّ في طاعة ولاة الأمر تنظيمًا لأمور الدولة، وتحقيقًا لقوتها ولصلابتها، وبها تقوى الصِّلة بين الراعي والرعية؛ مما ينعكس على استقرار البلاد، وحفظ أمنها.

ج - انتظام أمور الدولة وأحوالها سواء في أمور الدِّين عقيدة وعبادة وأخلاقًا، أم في أمور الدولة في معاملاتها وعلاقاتها، فإنَّ تحقيق شرع الله في أرضه لا يتم إلا بطاعة ولاة الأمر وانتظام ذلك بين أفراد الرعية.

د - أنَّ أمن البلاد واستقرارها مرتبط بالسمع والطاعة وإن جار الحاكم أو ظلم، وإنَّ ما حلَّ بالعديد من الدول من انفلات أمني تحول إلى صراعات داخلية وحروب طاحنة لم يكن إلا بسبب الخروج على الولاة وإن كانوا أهل جور وظلم.

هـ - أنه لا يمكن تحقيق مقاصد الشريعة الدينية والدنيوية إلا بطاعة ولاة الأمور والسمع لهم، وقلَّ ما تجد من العلماء السابقين رحمهم الله إلا

---

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٨/ ٢٤٩).



وبين هذا الحق وأكّد عليه.(١)

٢- النصيحة: فالنَّبيُّ ﷺ قال: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، **قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**»(٢).

وأخرج أحمد من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْخَيْفِ مِنْ مِنًى فَقَالَ: «**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا ثُمَّ أَدَّاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَا فِقْهَ لَهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلَاثٌ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِوَلِيِّ الْأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وَرَائِهِمْ**».(٣)

وتأمل هذه الخصال الثلاثة العظيمة الواردة في هذا الحديث: الإخلاص لله، والنصيحة لولاة الأمر، ولزوم الجماعة، وقد أخبر ﷺ أنَّ قلب المسلم لا يغلُّ على هذه الخصال؛ أي: لا يحمل غلاً، وإنما يحمل صفاء ونقاء، فهو في أعماله كلها يبتغي وجه الله جل جلاله، لا يريد رياء ولا سمعة، ولا يريد بها حطام الدنيا، ثم هو ناصح لولاة أمر المسلمين، وملازم لجماعتهم، وحريص الحرص كلّه على ذلك؛ بقلب طيّب ونفس مؤمنة؛ رجاء لعظيم موعود الله تبارك وتعالى.

---

(١) ينظر - على سبيل المثال -: «رسالة إلى أهل الثغر» (ص١٦٨)، «أصول السنة لابن زمنين» (ص٢٧٥)، «لمعة الاعتقاد» (ص٤٠)، «المغني» (٨/ ٥٢٣)، «شرح الزركشي» (٦/ ٢١٥)، «شرح العقيدة الطحاوية» (٢/ ٥٤٠)، «العواصم والقواصم» (٨/ ١٧)، «سراج الملوك» (ص١١٥)، «أعلام السنة المنشورة» (ص١٣٥)، «الجامع لمسائل الإمام أحمد» (١٣/ ٣٧)، «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٨/ ٢٠٣) (٨/ ٢١٣) (٢٨/ ٢٥١).

(٢) أخرجه مسلم (٥٥).

(٣) أخرجه أحمد (١٦١٣٨). =

ونصيحة ولي الأمر ليست كنصيحة غيره من أفراد الناس.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم.

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن النَّصيحة لهم الصلاةُ خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأنْ يُدعى لهم بالصلاح».(١)

وقال شيخنا ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالواجب على الغيورين لله وعلى دعاة الهدى أن يلتزموا حدود الشرع، وأن يناصحوا من ولاهم الله الأمور، بالكلام الطيب، والحكمة، والأسلوب الحسن، حتى يكثر الخير ويقل الشر، وحتى يكثر الدعاة إلى الله، وحتى ينشطوا في دعوتهم بالتي هي أحسن، لا بالعنف والشدة، ويناصحوا من ولاهم الله الأمر بشتى الطرق الطيبة السليمة، مع الدعاء لهم بظهر الغيب: أن الله يهديهم، ويوفقهم، ويعينهم على الخير، وأن الله يعينهم على ترك المعاصي التي يفعلونها وعلى إقامة الحق».(٢)

وليس من النصيحة ما يفعله بعض الناس من التشهير بالكلام في الولاة في المنابر، أو في الكتابة في الصحف، أو بالتحدث في المجالس، أو بالنشر في وسائل التواصل الاجتماعي.

---

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٢/ ٣٨)

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٨/ ٢٠٦).




كل ذلك ليس من سبل النصيحة الشرعية.

إنما النصيحة الشرعية للإمام أن تكون بينك وبينه بالسرِّ لا بالعلانية، فلابد أن يُحفظ مقام الإمام، وأن لا تُذكر المساوئ والمعايب والأخطاء على العلن وعلى العامة.

قيل لأسامة بن زيد رضي الله عنهما: «ألا تدخل على عثمان فتكلمه»؟! فقال: «أترون أني لا أكلمه إلا أُسمِعُكُم!! والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه».(١) وفي رواية: «إنكم لترون أني لا أكلمه؛ إلا أسمعكم! إني أكلمه في السِّر».(٢)

وعَنْ شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: قَالَ عِيَاضُ بْنُ غَنْمٍ لِهِشَامِ بْنِ حَكِيمٍ: أَلَمْ تَسْمَعْ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ فَلَا يُبْدِهِ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ فَيَخْلُوا بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ»**.(٣)

أخرج الإمام أحمد رحمه الله عن سعيد بن جُمْهَان قال: أتيت عبد الله ابن أبي أوفى وهو محجوب البصر، فسلَّمت عليه، قال لي: من أنت؟ فقلت: أنا سعيد بن جمهان، قال: فما فعل والدك؟ قال: قلت: قتلته الأزارقة، قال: لعن الله الأزارقة، لعن الله الأزارقة، حدثنا رسول الله ﷺ: «أنهم كلاب النار»، قال: قلت: الأزارقة وحدهم أم الخوارج كلها؟ قال: بل الخوارج كلها. قال: قلت: فإنَّ السلطان يظلم الناس،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٦٧).

(٣) أخرجه أحمد (١٥٣٣٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩١٠)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٩٧٧)، وصححه الألباني.

ويفعل بهم، قال: فتناول يدي فغمزها بيده غمزةً شديدة، ثم قال: ويحك يا ابن جمهان! عليك بالسواد الأعظم، عليك بالسواد الأعظم، إن كان السلطان يسمع منك فأته في بيته، فأخبره بما تعلم، فإن قبل منك، وإلا فدعه، فإنك لست بأعلم منه».(١)

فتأمَّل - وفقك الله - في كلام هؤلاء الأئمة، في حق ولاة الأمر، وحثهم على عدم منازعتهم للأمراء، وتقرير وجوب السمع والطاعة لهم، وإن كان فيهم ما فيهم من الأمور التي ينكرها الشرع.

وقد دلت هذه النصوص على أن النصح يكون بينك وبين الإمام، إما بالمشافهة إن كنت تصل إلى الإمام، أو بالكتابة سراً بينك وبينه.

وإذا لم تستطع هذين الأمرين فتواصل مع أهل العلم الكبار الذين يسمع منهم وليُّ الأمر فأوصل إليهم الأمر، وهم يوصلونه إلى ولي الأمر، وبذلك تبرأ الذمة.

وأما ذكر المعايب أو الملحوظات أو ما تراه من منكرات على العلن فهذا شرٌ وفتنةٌ وضلال، وليس هذا منهجاً شرعياً بل طريقٌ محرم لا يجوز للإنسان أن يسلكه، لأنه يُحدث من الشرِّ والفتنة والسوء الشيء الكثير، ولذلك يجب على الناس أن ينصحوا لإمامهم لكن بالطريق الشرعي.

[شُبهة وكشفها]:

بعض الناس يقول إني أرى بعض المنكرات في المجتمع، فكيف أسمع وأطيع للإمام وقد وجِدت مثل هذه المنكرات؟

---

(١) المسند (١٩٤١٥)، وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢٣١٣)



لا شك أنه إذا وجِدت المنكرات، فالواجب إنكار المنكر، والله ﷻ وصف أهل الإيمان بقوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وأمر به في قوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٤].

وأثنى على الأمة لاتصافها به كما قال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: ١١٠].

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب؛ لقوله ﷺ: **«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»**.(١)

لكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له درجات:

منها: التغيير باليد، وهذا للإمام، ومن جعل الإمام له سلطة به على الناس في تغيير المنكر.

ومن الولايات التي جعلها الشارع: ولاية الأب على أولاده، فالرجل في بيته راعٍ ومسؤول عن رعيته، فيجب عليه تغيير المنكر في بيته بيده.

وأما عموم الناس فمن ليس له ولاية على الناس فلا يجوز له أن يعتدي على الناس بيده.

---

(١) أخرجه مسلم رقم: (٤٩).

ومنها: التغيير باللسان، فمن لم يستطع التغيير بيده فليغير المنكر بلسانه، فإذا رأيت أمراً من الأمور الواجبة قد تركه إنسان، فإنك تأمره به، كأن تقول يا فلان، يا عبد الله، يجب عليك أن تؤدي الصلاة مع جماعة المسلمين في المساجد، أو يجب عليك أن تلتزم بما أمر الله ﷻ.

وكذلك إذا رأيت منكراً نَهيت عنه؛ فإذا رأيت إنساناً قد ارتكب محرماً من المحرمات، تقول: يا عبد الله هذا محرم لا يجوز لك.

ومنها: التغيير بالقلب، فإذا لم تستطع باللسان وخشيت على نفسك فإنه لا أقل من الإنكار بالقلب، ببغض هذا المنكر، وإنكاره بقلبك، هذا هو الواجب.[١]

لكن وجود المنكر ليس بمسوغٍ لنزع يد الطاعة من الإمام، وهذا أمرٌ خطير يجب التنبُّه له، والوقوف عنده، وإذا تأملنا تأريخ المسلمين وجدنا أن من أعظم أسباب الخروج على ولاة الأمور هو ادعاء إنكار المنكرات، والتلبيس على الناس من هذا الباب.

لذلك فإن أول خروج في عهد الإسلام كان على الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

والخليفة عثمان من العشرة المبشرين بالجنة، وتزوج بنتي رسول الله ﷺ، حتى سمي بذي النورين، وشهد له النبي ﷺ بالجنة في مواضع عديدة.

قال ﷺ: «**مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ**»[٢] فحفرها عثمان.

---

(١) ينظر: «أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق الأمن للمجتمع للمجتمعات»، «الثمر المستطاب في قواعد الاحتساب»، ففيها تفصيل وزيادة بيان.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٧٨).



وقال ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ»[(١)]، فجهزه عثمان رضي الله عنه حتى قال عنه النبي ﷺ: «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ -مَرَّتَيْنِ-»[(٢)].

ولما دخل عثمان رضي الله عنه على النَّبيِّ ﷺ وهو في الحائط، وكان النبي ﷺ مُدلياً قدميه في البئر، فلما دخل عثمان رفعهما وسترهما وقال: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمـلَائِكَةُ»[(٣)].

فهذا الخليفة الراشد خرج عليه رجل يقال له: عبد الله ابن سبأ، كان يهوديًا فأظهر الإسلام وصار إلى مِصر، وكان يقول: إنَّ عليًا أحق بالإمرة من عثمان، وأن عثمان معتد في ولايته ما ليس له، فأنكروا عليه وأظهروا ما زعموا أنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فافتتن به بشر كثير من أهل مصر، وكتبوا إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة؛ فتمالئوا على ذلك، وتكاتبوا فيه، وتواعدوا أن يجتمعوا في الإنكار على عثمان، وأرسلوا إليه من يناظره ويذكر له، إلى أن اجتمعوا عليه في داره رضي الله عنه، وقتلوه وهو يتلو كتاب الله.[(٤)]

هذه الفتنة العظيمة الدهماء، وهذا الفعل الشنيع، كان أوَّله بذكر المساوئ.

ولذلك قال عَبْدُ اللهِ بْنُ عُكَيْمٍ رحمه الله[(٥)]: «لَا أُعِينُ عَلَى دَمِ خَلِيفَةٍ أَبَدًا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٧٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٠١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٠١).

(٤) ينظر: البداية والنهاية (١٠/ ٢٦٤).

(٥) عبد الله بن عُكَيم -بالتصغير- الجهني، أبو معبد الكوفي، مخضرم، من الثانية، وقد سمع كتاب النبي ﷺ إلى جهينة، مات في إمرة الحجاج. «تهذيب التهذيب» (٥/ ٣٢٣).

بَعْدَ عُثْمَانَ، قَالَ: فَيُقَالُ لَهُ: يَا أَبَا مَعْبَدٍ أَوَ أَعَنْتَ عَلَى دَمِهِ؟ فَقَالَ: إِنِّي لأَعُدُّ ذِكْرَ مَسَاوِيهِ عَوْنًا عَلَى دَمِهِ». (١)

وصدق ﵀، فأول الخروج يكون بالكلام، ولا يكون الخروج أول ما يكون بالسيف، لابد أن يتقدم على الخروج بالسيف: الخروج بالكلام، وذلك بذكر المساوئ، وتعداد هذه المساوئ والتشهير بها في المنابر، وفي الصحف، وفي الإعلام، وفي المجالس حتى توغر صدور العامة، ثم بعد ذلك يستسهل الناس الخروج على ولي الأمر، ثم تحدث الفتنة، ويحدث الشر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الشيخ الإمام عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ﵀: «ولم يدر هؤلاء المفتونون أن أكثر ولاةِ أهل الإسلام من عهد يزيد بن معاوية، حاشا عمر بن عبد العزيز، ومن شاء الله من بني أمية، قد وقع منهم من الجراءة، والحوادث العظام، والخروج والفساد في ولاية أهل الإسلام، ومع ذلك فسيرة الأئمة الأعلام، والسَّادة العظام معهم معروفةٌ مشهورة، لا ينزعون يدًا من طاعة فيما أمر الله به ورسوله من شرائع الإسلام، وواجبات الدين.

وأضرب لك مثلاً بالحجاج بن يوسف الثقفي، وقد اشتهر أمره في الأمة بالظلم والغشم، والإسراف في سفك الدماء، وانتهاك حرمات الله، وقتل من قتل من سادات الأمة، كسعيد بن جبير، وحاصر ابن الزبير وقد عاذ بالحرم الشريف، واستباح الحرمة، وقتل ابن الزبير، مع أن ابن الزبير قد أعطاه الطاعة، وبايعه عامة أهل مكة والمدينة واليمن، وأكثر سواد العراق.

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٧٥).




والحجاج نائب عن مروان، ثم عن ولده عبد الملك، ولم يعهد أحد من الخلفاء إلى مروان، ولم يبايعه أهل الحل والعقد، ومع ذلك لم يتوقف أحد من أهل العلم في طاعته والانقياد له فيما تسوغ طاعته فيه، من أركان الإسلام وواجباته. وكان ابن عمر ومن أدرك الحجاج من أصحاب رسول الله ﷺ لا ينازعونه، ولا يمتنعون من طاعته، فيما يقوم به الإسلام، ويكمل به الإيمان. وكذلك من في زمنه من التابعين، كابن المسيب، والحسن البصري، وابن سيرين، وإبراهيم التيمي، وأشباههم ونظرائهم من سادات الأمة. واستمر العمل على هذا بين علماء الأمة، من سادات الأمة وأئمتها، يأمرون بطاعة الله ورسوله، والجهاد في سبيله مع كل إمام بر أو فاجر، كما هو معروف في كتب أصول الدين والعقائد.

وكذلك بنو العباس، استولوا على بلاد المسلمين قهراً بالسيف، لم يساعدهم أحد من أهل العلم والدين، وقتلوا خلقاً كثيراً، وجماً غفيراً من بني أمية وأمرائهم ونوابهم، وقتلوا ابن هبيرة أمير العراق، وقتلوا الخليفة مروان؛ حتى نُقل أنَّ السَّفاح[(١)] قتل في يوم واحد نحو الثمانين من بني أمية، ووضع الفرش على جثثهم، وجلس عليها، ودعا بالمطاعم والمشارب[(٢)]؛ ومع ذلك فسيرة الأئمة، كالأوزاعي، ومالك، والزهري، والليث بن سعد، وعطاء بن أبي رباح، مع هؤلاء الملوك، لا تخفى على من له مشاركة في العلم واطلاع».[(٣)]

---

(١) السفاح أول خلفاء بني العباس، وهو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، ولد سنة ثمانٍ ومائة. قال السيوطي: «قالوا: وكان السفاح سريعًا إلى سفك الدماء، فأتبعه في ذلك عماله في المشرق والمغرب، وكان مع ذلك جوادًا بالمال»، «تاريخ الخفاء» (ص١٩٣).

(٢) ينظر: «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٥٩).

(٣) «الدرر السنية» (٨/ ٣٧٨).

وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «الخروج على الحاكم بالقول قد يكون أشد من الخروج بالسيف، بل الخروج بالسيف مترتب على الخروج بالقول، الخروج بالقول خطيرٌ جدًا، ولا يجوز للإنسان أن يحث الناس على الخروج على ولاة الأمور، ويبغِّض ولاة أمور المسلمين إلى الناس، فإن هذا سبب في حمل السلاح فيما بعد والقتال، فهو أشد من الخروج بالسيف، لأنه يُفسد العقيدة ويُحرِّش بين الناس ويلقي العداوة بينهم وربما يسبب حمل السلاح».(١)

والمنهج الشرعي في ذلك بيَّنه النَّبي ﷺ، وأرشد إليه، فقال: «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**».(٢)

وقال ﷺ: «**مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ**».(٣)

وذلك أنَّ الأمور لا تنتظم، والأحوال لا تصلح، ولا يأمن الناس في سُبلهم، ولا يُنصف المظلوم؛ إلا بالسمع والطاعة للإمام، ولذلك فإن الخروج على الأئمة من أعظم الفتن والمصائب ومن أعظم الورطات.

«وبهذه الأحاديث وأمثالها عمل أصحاب رسول الله ﷺ بها وعرفوا أنها من الأصول التي لا يقوم الإسلام إلا بها، وشاهدوا من يزيد بن معاوية والحجاج ومن بعدهم - خلا الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز-

---

(١) «موقع فضيلة الشيخ صالح الفوزان على شبكة الإنترنت»

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٤).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٢).



أموراً ظاهرة ليست خفية، ونهوا عن الخروج عليهم والطعن فيهم، ورأوا أن الخارج عليهم خارج عن دعوة المسلمين إلى طريقة الخوارج.

ولهذا لما حج ابن عمر رضي الله عنهما مع الحجاج وطعن في رجله قيل له: أنبايعك على الخروج على الحجاج وعزله - وهو أمير من أمراء عبد الملك بن مروان - غلظ الإنكار عليهم وقال: لا أنزع يداً من طاعة».[(١)]

روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال: **«مَنْ خَرَجَ مِنْ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»**.[(٢)]

فهذا الحديث اشتمل على وصايا عظيمة وتوجيهات كريمة لأمة الإسلام لتتحقق لهم بذلك الخيرية، وليسلموا من الشرور والآفات التي إن وقعت اختلَّ صفهم، ووقعت فيهم أنواع الشرور والبلايا والرزيَّات.

والخروج عن الطاعة يكون بنزع اليد عن الطاعة لولاة أمر المسلمين، والافتيات عليهم، وعدم السمع والطاعة لهم، والخروج على جماعتهم، فإذا كان نهج الإنسان كذلك فإنه بذلك يشق صف المسلمين، ويخلخل وحدتهم، وينشر بينهم الشقاق والصراع وما لا يحمدون عاقبته لا في الدنيا ولا في الآخرة.

---

(١) «الدرر السنية» (٩/ ٩٣)

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٨).

ولهذا جاءت الأحاديث المتكاثرة والنصوص المتضافرة بالدعوة للسمع والطاعة لولاة أمر المسلمين، والسمع والطاعة إنما تكون بالمعروف، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﷻ.

وإذا تأملت في كل فتنة تقع في المجتمعات؛ فستجدها بسبب الخروج على ولي الأمر.

وإن من يتأمل ما يحدث من الشر بعد ذلك يعلم يقيناً أنه ما مِن خروجٍ على الإمام إلا وقد أحدث من الفتن والشرور مالا يقارن بما يُتوقع من حصول مصلحة إذا تحقق شيء من ذلك، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقَلَّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولَّد على فعله من الشر، أعظم مما تولَّد من الخير».(١)

قال حنبل: اجتمع فقهاء بغداد في ولاية الواثق، إلى أبي عبد الله - يعني الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله - وقالوا له: إن الأمر قد تفاقم وفشا - يعنون إظهار القول بخلق القرآن، وغير ذلك - ولا نرضى بإمارته ولا سلطانه، فناظرهم في ذلك، وقال: عليكم بالإنكار في قلوبكم، ولا تخلعوا يدًا من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، وانظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يَستريح بَرٌّ، ويُستراح من فاجر، وقال: ليس هذا- يعني نزع أيديهم من طاعته- صوابًا هذا خلاف الآثار.

وقال المروذي سمعت أبا عبد الله يأمر بكف الدماء وينكر الخروج إنكارًا شديدًا وقال في رواية إسماعيل بن سعيد الكف؛ لأنا نجد عن النبي ﷺ: **(مَا صَلَّوا فَلا)**».(٢)

---

(١) «منهاج السنة» (٤/ ٥٢٧).

(٢) «الآداب الشرعية» (١/ ١٧٥)



سئل شيخنا ابن باز رحمه الله: أنَّ هناك من يرى أن اقتراف بعض الحكام للمعاصي والكبائر موجب للخروج عليهم ومحاولة التغيير وإن ترتب عليه ضرر للمسلمين في البلد.

فأجاب رحمه الله ورفع درجاته:

«الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فقد قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النِّسَاء: ٥٩].

فهذه الآية نصٌّ في وجوب طاعة أولي الأمر، وهم الأمراء والعلماء، وقد جاءت السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ تبين أن هذه الطاعة لازمة، وهي فريضة في المعروف، والنصوص من السنة تبين المعنى، وتقيد إطلاق الآية بأن المراد طاعتهم في المعروف، ويجب على المسلمين طاعة ولاة الأمور في المعروف لا في المعاصي، فإذا أمروا بالمعصية فلا يطاعون في المعصية، **لكن لا يجوز الخروج عليهم بأسبابها**؛ لقوله ﷺ: «**ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة**»، ولقوله ﷺ: «**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية**»، وقال ﷺ: «**على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»، وسأله الصحابة رضي الله عنهم -لما ذكر أنه يكون أمراء تعرفون منهم وتنكرون - قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «**أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم**». قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه:

«بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله»، وقال: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**» ، فهذا يدل على أنه لا يجوز لهم منازعة ولاة الأمور، ولا الخروج عليهم إلا أن يروا كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان؛ وما ذاك إلا لأن الخروج على ولاة الأمور يسبب فسادًا كبيرًا، وشرًا عظيمًا، فيختل به الأمن، وتضيع الحقوق، ولا يتيسر ردع الظالم، ولا نصر المظلوم، وتختل السبل ولا تأمن، فيترتب على الخروج على ولاة الأمور فساد عظيم وشر كثير، إلا إذا رأى المسلمون كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان، فلا بأس أن يخرجوا على هذا السلطان؛ لإزالته إذا كان عندهم قدرة، أما إذا لم يكن عندهم قدرة فلا يخرجوا، أو كان الخروج يسبب شرًا أكثر فليس لهم الخروج؛ رعاية للمصالح العامة.

والقاعدة الشرعية المجمع عليها: أنه لا يجوز إزالة الشر بما هو أشر منه، بل يجب درء الشر بما يزيله أو يخففه، أما درء الشر بشر أكثر فلا يجوز بإجماع المسلمين ، فإذا كانت هذه الطائفة التي تريد إزالة هذا السلطان الذي فعل كفرًا بواحًا عندها قدرة تزيله بها، وتضع إمامًا صالحًا طيبًا من دون أن يترتب على هذا فساد كبير على المسلمين، وشر أعظم من شر هذا السلطان فلا بأس، أما إذا كان الخروج يترتب عليه فساد كبير، واختلال الأمن، وظلم الناس، واغتيال من لا يستحق الاغتيال إلى غير ذلك من الفساد العظيم، فهذا لا يجوز، بل يجب الصبر، والسمع والطاعة في المعروف، ومناصحة ولاة الأمور، والدعوة لهم بالخير، والاجتهاد في تخفيف الشر وتقليله، وتكثير الخير.

وهذا هو الطريق السوي الذي يجب أن يسلك؛ لأن في ذلك



مصالح للمسلمين عامة، ولأن في ذلك تقليل الشر وتكثير الخير، ولأن في ذلك حفظ الأمن وسلامة المسلمين من شر أكثر، ونسأل الله للجميع التوفيق والهداية».(١)

٣- **الدعاء**: الدعاء للإمام بالصلاح والهداية والتوفيق والتسديد والتأييد من حقوق الإمام على رعيته، فإن خيار الأئمة كما جاء في صحيح مسلم من حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: «**الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ**».(٢)

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: «لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام، لأنه إذا صلح الإمام أَمِن البلاد والعباد».(٣)

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «وإني لأدعو له -أي السلطان- بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار، والتأييد، وأرى له ذلك واجباً علي».(٤)

وقال البربهاري رحمه الله: «إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله».(٥)

وقال النووي رحمه الله: «الدعاء لأئمة المسلمين وولاة أمورهم بالصلاح، والإعانة على الحق، والقيام بالعدل ونحو ذلك... فمستحب بالاتفاق».(٦)

---

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٨/ ٢٠٢)

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٥)، ومعنى «يصلُّون»، أي يدعون.

(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح اعتقاد أصول أهل السنة» (١/ ١٩٣).

(٤) أخرجه الخلال في «السنة» (ص١٤).

(٥) «شرح السنة» (ص١١٣).

(٦) «المجموع» (٤/ ٥٢١).

وذكر ابن رجب رحمه الله أن من النصيحة لهم: «الدُّعاء لهم بالتوفيق، وحث الأغيار على ذلك».[(١)]

فإذا رأيت الإنسان يدعو للإمام فاعلم أنه على طريق سنة وعلى هديٍ مستقيم، وأنه صاحب سنة، وإذا رأيت من يأنف من الدُّعاء للإمام فاعلم أنه صاحب انحراف ومسلكٍ ضال؛ لأنَّ الدعاء للإمام من مقتضيات البيعة له، ومن النصح له أن تدعو له في صلاتك، وفي مواطن إجابة الدعاء، وكذلك على المنابر في مشاهد المسلمين واجتماعاتهم، فإنَّ هذا من دلائل الخير والتوفيق للمرء أن يخصَّ ولي الأمر بالدعاء.

وما أجمل ما قال أبو بكر الطرطوشي رحمه الله: «اعلم أرشدك الله أن الزمان وعاء لأهله، ورأس الوعاء أطيب من أسفله؛ كما أنَّ رأس الجرَّة أروق وأصفى من أسفلها، فلئن قلت: إن الملوك اليوم ليسوا مثل الملوك الذين مضوا، فالرعية أيضاً ليسوا كمن مضى من الرعية، ولست بأن تذم أميرك إذا نظرت آثار من مضى منهم بأولى من أن يَذُمَّك أميرُك إذا نظر آثار من مضى من الرعيَّة، فإذا جار عليك السلطان فعليك الصَّبر وعليه الوزر.

يا عبد الله! لا تجعل سلاحك على من ظلمك الدُّعاء عليه ولكن الثِّقة بالله فلا محنة فوق محنة إبراهيم عليه السلام لما جعلوه في كفَّة المنجنيق ليقذف به في النار قال: «اللهم إنك تعلم إيماني بك وعداوة قومي فيك فانصرني عليهم واكفني كيدهم». وقال مالك بن دينار: «وجدت في بعض الكتب: يقول الله تعالى: إني أنا الله مالك الملك قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليهم رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليهم نقمة فلا

(١) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٢٢٣).




تشغلوا أنفسكم بسب الملوك ولكن توبوا إلي أعطفهم عليكم». وفي بعض الكتب: «ابن آدم تدعو على من ظلمك ويدعو عليك من ظلمته، فإن شئت أجبت لك وأجبت عليك، وإن شئت أخرت الأمر إلى يوم القيامة فيسعكم العفو». وقال سليمان بن داود عليه السلام: «لا تجعل ملجأك في الأعداء المكافأة ولكن الثقة بالله». وروى أبو داود في السنن قال: سرقت ملحفة لعائشة رضي الله عنها، فجعلت تدعوه على من أخذها فسمعها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال: «**ألا تستحي**»؟ يعني ألا تخففي عنه، فنهاها عن الدعاء على الظالم كما ترى فإذا قال المظلوم في دعائه: اللهم لا توفقه فقد دعا على نفسه وعلى سائر الرعية، لأنَّه من قلَّ توفيقه ظَلَمك، ولو كان موفقاً ما ظلمك، فإن استجيب دعاؤك فيه زاد ظلمه لك. ومن الألفاظ المروية عن سلف هذه الأمة قولهم: لو كانت عندنا دعوة مستجابة ما جعلناها إلّا في السلطان».(١)

قال شيخنا ابن باز رحمه الله: «من مقتضى البيعة النصحُ لولي الأمر، ومن النُّصح: الدعاءُ له بالتَّوفيق والهداية وصلاح النية والعمل وصلاح البطانة؛ لأن من أسباب صلاح الوالي ومن أسباب توفيق الله له: أن يكون له وزير صدق يعينه على الخير، ويذكره إذا نسي، ويعينه إذا ذكر، هذه من أسباب توفيق الله له».(٢)



(١) «سراج الملوك» (ص١١٥)
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٨/ ٢٠٩)




سابعًا: الدعوة إلى التآلف والاجتماع والحذر من الفرقة والاختلاف

جاءت الشريعة الإسلامية بالدعوة إلى التآلف والاجتماع، وحذَّرت من الفرقة والاختلاف.

ومن مقاصد الشريعة: اجتماع المسلمين، ووحدة كلمتهم، وائتلاف صفهم، وقد أمر الله ﷻ بالاجتماع، وحذَّر من الاختلاف.

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣].

انظر إلى هذا الأمر العظيم حيث أمر الله ﷻ بالاعتصام بحبله، وحبل الله: دين الله، وحبل الله: كتاب الله، وحبل الله: جماعة المسلمين، وحبل الله: الطاعة والجماعة.[١]

فحبل الله الذي أمر الله بالاعتصام به: كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وأن يكون الإنسان مع جماعة المسلمين، فإن يد الله مع الجماعة، ومن شذَّ شذَّ في النار.

ثم قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣].

---

(١) ينظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٣/ ٧٢٣)، «تفسير السمعاني» (١/ ٣٤٥)، «المحرر الوجيز» (١/ ٤٨٣).

كان الناس في عداوات، وكانوا في اختلاف وتفرُّق، فجاء الله بالإسلام ومنَّ الله به على هذه الأمة؛ فأصبحوا إخواناً متحابين متوادين.

ولذلك قال النَّبيُّ ﷺ يوم تحدث بعض الصحابة من الأنصار رضي الله عنهم عن شيء وجدوه في أنفسهم: «**يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا، فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي؟ وَعَالَةً، فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي؟ وَمُتَفَرِّقِينَ، فَجَمَعَكُمُ اللهُ بِي؟**» وَيَقُولُونَ: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ».(١)

فالمنة لله، والفضل له، هذه نعمة الله، وهذا فضله وإحسانه، فأخوَّة الدين ليس في الدنيا علاقة أفضل ولا أقوى ولا أجلَّ منها: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرَات: ١٠].

والمتحابون في الله على منابر من نور يغبطهم الأنبياء والصديقون والشهداء.(٢)

والمحبة في الله من أوثق عرى الإيمان حيث أمر الله ﷻ بالمحبة بين المؤمنين والتواد بينهم.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التّوبَة: ٧١].

فالمنة لله والفضل له سبحانه.

قال الله ﷻ في الأمر بالتآلف والاجتماع وترك التفرق: ﴿وَلَا تَكُونُوا

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).
(٢) أخرجه أحمد (٢٢٧٨٢).

﴿كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٥].

فقد نهى الله عن التفرق والاختلاف؛ فالتفرق والاختلاف شر وفتنة وضلال، والاجتماع من الإيمان ومما يتقرب به إلى الله ﷻ، فهذه الأمة أمة واحدة[١].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبيَاء: ٩٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

---

(١) من صور التفرق التي كانت في المسلمين وعند قبلتهم (الكعبة) ما تكلّم عنه الرحّالة ابن جبير ؒ في رحلته سنة ٥٧٨ هـ عند مروره بمكة عن وجود أربعة أئمة سنّية للحرم، فأوّلهم إمامةً الشافعيُّ، ويصلي خلف مقام إبراهيم ؈، ثم المالكي ويصلي قِبالة الركن اليماني، ثم الحنفي ويصلّي قِبالة الميزاب، ثم الحنبلي - وصلاته مع المالكي في حينٍ واحدٍ - وموضع صلاته يقابل ما بين الحجر الأسود والركن اليماني. إلا صلاة المغرب يصلونها في وقت واحد مجتمعين لضيق وقتها، قال: «يبدأ مؤذن الشافعي بالإقامة، ثم يقيم مؤذنو سائر الأئمة، وربما دخل في هذه الصلاة على المصلين سهوٌ وغفلة لاجتماع التكبير فيها من كل جهة، فربما ركع المالكي بركوع الشافعي أو الحنفي، أو سلَّم أحدهم بغير سلام إمامه، فترى كل أذنٍ مصيخة لصوت إمامها أو صوت مؤذنه مخافة السهو، ومع هذا فيحدث السهو على كثير من الناس» «رحلة ابن جبير» (ص٧٨-٧٩).

وقد وفق الله مؤسس هذه البلاد - المملكة العربية السعودية - الملك الصالح عبد العزيز بن عبد الرحمن إلى إبطالها.

قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على «سنن الترمذي»: «بل قد بلغنا أن هذا المنكر كان في الحرم المكي، وأنه كان يصلي فيه أربعة أئمة، يزعمونهم للمذاهب الأربعة، لكننا لم نَرَ ذلك، إذ أننا لم ندرك هذا العهد بتمامه، وإنما حججنا في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (حفظه الله)، وسمعنا أنه أبطل هذه البدعة، وجمع الناس في الحرم على إمام واحد راتب، ونرجو أن يوفّق الله علماء الإسلام لإبطال هذه البدعة في جميع المساجد في البلدان، بفضل الله وعونه، إنه سميع الدعاء» «سنن الترمذي» (١/ ٤٣٢).

وقال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا: يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ، وَيَسْخَطُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ المالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ**».(١)

والله ﷻ أمر بالاعتصام بالدين وبجماعة المسلمين؛ ولذلك وعظ النبي ﷺ أصحابه موعظة بليغة؛ كما جاء في حديث العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**».(٢)

وقد جمع ﷺ في هذه الوصية كل خير لأصحابه ولإخوانه من بعدهم، تجمع خيري الدنيا والآخرة في علاقة المسلم مع ربه وعلاقته بالمجتمع والأمَّة من حوله: «**تَقْوَى اللهِ**» في كل حقوق الله سبحانه وتعالى، وإقامة حدوده، «**والسَّمْع والطَّاعَة**» لولاة الأمر، لما في السَّمع لهم من حفظ نظام الأمة، وحقن دمائها، وصيانة أموالها، والحفاظ على أعراضها؛ لأنَّ

---

(١) أخرجه أحمد (٨٧٩٩)، وأصله عند مسلم (١٧١٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣)، وصححه ابن الملقن في «البدر المنير» (٩/ ٥٨٢)، وشيخنا ابن باز «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٨/ ٢٥١)، والألباني في «إرواء الغليل» (ح٢٤٥٥).

الخلاف وعدم السمع والطاعة سيؤدي إلى شقاق ونزاع، ثم إلى قتال يفسد حال البلاد كما هو مشاهد في بعض الدول؛ نسأل الله العافية.

ولذا كان يأمر ﷺ بالسمع والطاعة لكل أمير يرسله، ينصحه هو بتقوى الله، ويوصي أصحابه بالسمع والطاعة.

ثم أكد ﷺ هذا مبدأ السمع والطاعة بقوله: «**وَلَوْ تَأَمَّر عَلَيْكُم عَبْدٌ**»، مع أنَّ العبد لا تكون له إمارة اختيارًا[١]، ولكن لو تغلب على البلاد عبد بالقوة فوصية الرسول ﷺ لزوم طاعته، وما ذاك إلا لعظم أمر السمع والطاعة في انتظام حياة الأمة.

قال ابن رجب رحمه الله: «وأمّا السَّمع والطاعة لوُلاة أُمور المسلمين، ففيها سعادةُ الدُّنيا، وبها تنتظِمُ مصالحُ العباد في معايشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعةِ ربِّهم، كما قال عليٌّ رضي الله عنه: إنَّ الناسَ لا يُصلحهم إلَّا إمامٌ بَرٌّ أو فاجر، إنْ كان فاجرًا عبدَ المؤمنُ فيه ربَّه، وحمل الفاجر فيها إلى أجله.

وقال الحسن في الأمراء: هم يلون من أمورنا خمسًا: الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا، والله لَمَا يصلح اللهُ بهم أكثر مما يفسدون، مع أنَّ -والله- إنَّ طاعتهم لغيظ، وإنَّ فرقتهم لكفر»[٢].

---

(١) «إيضاح طرق الاستقامة في بيان أحكام الولاية والإمامة» (ص٤٣)، «أضواء البيان» (١/ ٥٥)، «لقاء الباب المفتوح»، اللقاء رقم (١٨٥).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (٢/ ١١٧).




أسأل الله ﷻ أن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يهدي المسلمين وأن يردهم إليه ردًا جميلاً، وأن يؤلِّف بين قلوبهم، وأن يصلح ذات بينهم، وأن يوفق ولاة أمرنا لكل خير.

اللهم وفِّقْ إمامَنا لكل خير.

اللهم كن له عونًا في كل ما أهمَّه.

اللهم انصر به دينك وأعْلِ به كلمتك.

اللهم اجمع به كلمةَ الأُمَّةِ على الخير، وبارك له في مساعيه واجعل مساعيه فيما يقدم إليك زلفى.

اللهم حقِّق له ما نوى إليه من الخير وما أراد من الخير.

اللهم اجمع به كلمة الأمة ووحد به صفوفها على الخير، واجعله سببًا لحقن الدماء واجتماع القلوب.

اللهم شدَّ عضده بولي عهده، وبارك له في مساعيه الخيرة.

اللهم ارزقهما بطانة صالحة ووفقهما للصواب فيما يقولان ويفعلان، إنك على كل شيء قدير.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحَشر: ١٠].

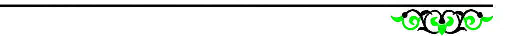
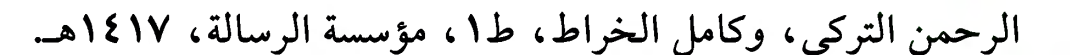
﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعرَاف: ٢٣].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البَقَرَة: ٢٠١].




فهرس المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم.**
* **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، الألباني، ط٢، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ.
* **أصول السنة**، ابن زمنين، ت: عبد الله البخاري، ط١، مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٥هـ.
* **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، الشنقيطي، دار الفكر، ١٤١٥هـ.
* **أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة**، حافظ الحكمي، ت: أحمد مدخلي، ط١، مكتبة الرشد، ١٤١٨هـ.
* **أعلام الموقعين عن رب العالمين**، ابن القيم، ت: مشهور حسن، ط١، دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ.
* **إكمال المعلم بفوائد الإمام مسلم**، القاضي عياض، ط١، دار الوفاء، ١٤١٩هـ.
* **الأحكام السلطانية**، القاضي أبو يعلى الفراء، ت: محمد حامد الفقي، ط١، مطبعة البابي الحلبي، ١٣٥٧هـ.
* **الآداب الشرعية والمنح المرضية**، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٩هـ.
* **البداية والنهاية**، ابن كثير، تحقيق: عبد الله التركي، ط١، دار هجر، ١٤١٧هـ.
* **البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير**، ابن الملقن، ت: مصطفى أبو الغيط، ط١، دار الهجرة، ١٤٢٥هـ.
* **الجامع لعلوم الإمام أحمد**، جمع: خالد الرباط وآخرين، ط١، دار الفلاح، ١٤٣٠هـ.
* **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، ط٦، ١٤١٧هـ.
* **السنة**، أبو بكر الخَلَّال، ت: عطية الزهراني، ط١، دار الراية، ١٤١٠هـ.
* **السنة**، ابن أبي عاصم، ت: الألباني، ط١، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ.
* **الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة**، ابن حجر الهيتمي، ت: عبد

الرحمن التركي، وكامل الخراط، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ.

* **الطبقات الكبرى**، ابن سعد، تحقيق: عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ.
* **العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم**، ابن الوزير، ت: شعيب الأرنؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ.
* **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ابن حزم، مكتبة الخانجي.
* **القواعد الكبرى = قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، العز بن عبد السلام، ت: نزيه حماد، وعثمان ضميرية، ط١، دار القلم، ١٤٢١هـ.
* **المجموع شرح المهذب**، للنووي، تحقيق: محمد المطيعي، مكتبة الإرشاد.
* **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية الأندلسي، ت: عبد السلام عبد الشافي، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.
* **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، الفيومي، المكتبة العلمية.
* **المغني**، ابن قدامة، ت: عبدالله التركي وعبد الفتاح الحلو، ط٣، دار عالم الكتب، ١٤١٧هـ.
* **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، النووي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ.
* **النهاية في غريب الحديث**، ابن الأثير، ت: طاهر الزواوي، ومحمود الطناحي، ط١، ١٣٩٩، المكتبة العلمية.
* **إيضاح طرق الاستقامة في بيان أحكام الولاية والإمامة**، ابن المِبْرَد الحنبلي، ط١، دار النوادر، ١٤٣٢هـ.
* **تاريخ ابن خلدون =ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ابن خلدون، ت: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر.
* **تاريخ الخلفاء**، السيوطي، ت: حمدي الدمرداش، ط١، مكتبة نزار الباز، ١٤٢٥هـ.
* **تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام**، بدر الدين ابن جماعة، ت: فؤاد عبد المنعم، ط٣، دار الثقافة، ١٤٠٨هـ.
* **تفسير القرآن العظيم**، ابن أبي حاتم، ت: أسعد الطيب، ط٣، مكتبة نزار الباز، ١٤١٩هـ.
* **تفسير ابن كثير**، تحقيق: سامي السلامة، ط٢، دار طيبة، ١٤٢٠هـ.



* **تفسير البغوي**، ت: محمد النمر، ط٤، دار طيبة، ١٤١٧هـ.
* **تفسير السمعاني**، ت: ياسر غنيم، ط١، دار الوطن، ١٤١٨هـ.
* **تهذيب التهذيب**، ابن حجر، ط١، مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٦هـ.
* **جامع الترمذي**، تحقيق: أحمد شاكر، ط٣، مطبعة البابي، ١٣٩٥هـ.
* **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم**، ابن رجب، ت: شعيب الأرنؤوط، ط٧، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ.
* **جامع بيان العلم وفضله**، ابن عبد البر، ت: أبي الأشبال الزهيري، ط١، مكتبة ابن الجوزي، ١٤١٤هـ.
* **رسالة إلى أهل الثغر**، أبو الحسن الأشعري، ت: عبد الله الجنيدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٣هـ.
* **روضة الطالبين وعمدة المفتين**، النووي، ت: زهير الشاويش، ط٣، المكتب الإسلامي، ١٤١٢هـ.
* **سراج الملوك**، أبو بكر الطرطوشي، ط١، ١٢٨٩هـ.
* **سنن ابن ماجه**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ.
* **سنن أبي داود**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ.
* **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.
* **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، أبو القاسم اللالكائي، ت: أحمد الغامدي، ط٨، دار طيبة، ١٤٢٣هـ.
* **شرح الزركشي على مختصر الخرقي**، ت: عبد الله الجبرين، ط١، شركة العبيكان، ١٤١٧هـ.
* **شرح السنة**، البغوي، ت: شعيب الأرنؤوط، ط٢، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ
* **شرح العقيدة السفارينية**، محمد العثيمين، ط١، مدار الوطن، ١٤٢٦هـ.
* **شرح العقيدة الطحاوية**، ابن أبي العز، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١٠، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ.
* **شرح رياض الصالحين**، محمد العثيمين، ط١، دار الوطن، ١٤٢٦هـ.
* **صحيح البخاري**، دار التأصيل، ١٤٣٦هـ.
* **صحيح مسلم**، دار التأصيل، ١٤٣٥هـ.
* **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي.



* **غياث الأمم في التياث الظلم**، الجويني، ت: عبد العظيم الديب، ط٢، مكتبة إمام الحرمين، ١٤٠١هـ.
* **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ابن حجر، ط١، المطبعة السلفية، ١٣٨٠هـ.
* **لسان العرب**، ابن منظور، ط٣، دار صادر، ١٤١٤هـ.
* **لقاءات الباب المفتوح**، ابن عثيمين، ط١، مؤسسة محمد بن صالح العثيمين، ١٤٣٨هـ.
* **لمعة الاعتقاد**، ابن قدامة، ط١، المكتب الإسلامي، ١٣٩٥هـ.
* **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن القاسم، ط١، مطبعة الرياض، ١٣٨١هـ.
* **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**، عبد العزيز بن باز، جمع: محمد الشويعر، ط٤، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.
* **مراتب الإجماع**، ابن حزم، ط٣، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٢هـ.
* **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.
* **مسند الدارمي**، تحقيق: حسين أسد، ط١، دار المغني، ١٤٢١هـ.
* **مسند الشاميين**، الطبراني، ت: حمد السلفي، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.
* **معالم السنن**، الخطابي، ط١، المطبعة العلمية بحلب، ١٣٥١هـ.
* **منهاج السنة النبوية**، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٦هـ.
* **موقع فضيلة الشيخ صالح الفوزان على شبكة الإنترنت**
(https://www.alfawzan.af.org.sa/ar)






فهرس الموضوعات

وجوب البيعة الشرعية لإمام المسلمين ونواقضها





المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر



سلسلة دروس ومؤلفات الشيخ عبد الرحمن السند (٦)



تأليف
عبد الرحمن بن عبد الله السند
الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
والمدرس بالحرمين الشريفين




مقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنَّ جريمة الابتزاز من الجرائم المعلوماتية التي تعتبر من آفات العَصْر التي أفرزها التَّطوُّر الكبير والهائل في مجال تقنية المعلومات والأعمال الإلكترونية، ومع أنَّ هذه الوسائل الإلكترونية لها من الفوائد ما لا يحصى؛ فإنَّ الجوانب السلبية لهذه الاستخدامات قد ظهرت على السطح، وظهرت إحدى هذه الجوانب السلبية في صورة «جرائم معلوماتية»، بل ومصنفة عالميًا في الجرائم الجنائية مما يستدعي أن يتداعى أهل الاختصاص؛ سواء في المجال الشرعي، أو في مجال الضبط الجنائي، أو في مجال تقنية المعلومات، أو في مجال الأنظمة والقوانين، أو في مجال الدِّراسات الاجتماعية والنفسية؛ للمساهمة في محاصرة هذه المشكلة من خلال ثلاثة أدوار:

الأول: الوقاية من الوقوع في هذه المشكلة من خلال التوعية بمخاطرها.

الثاني: مكافحة هذه الجريمة، والوقوف صفًا واحدًا مع الجهات الأمنية، في رصد ورقابة هذه الانتهاكات التي تحدث عبر هذه الوسائل، وذلك بوضع التنظيمات لمكافحتها بتجريم هذه الأعمال ووضع العقوبات المناسبة لها مع التوعية بخطورة هذه الجرائم، وأنها من الوسائل التي

يستغلها المجرمون لبثِّ شرورهم وسمومهم والاعتداء على حقوق الآخرين، وضبط من يقوم بهذه الجريمة، وتقديمهم للقضاء.

الثالث: تأهيل من وقع في هذه الجريمة من خلال برامج التأهيل في الجهات المتخصصة، وإصلاح من مارس هذه الجريمة ليعود عضوًا صالحًا في المجتمع.

ويأتي في مُقدِّمة موضوع مكافحة الجرائم المعلوماتية ما يعرف اليوم بالابتزاز في صورة من صور جرائم المعلومات الإلكترونية؛ بل إنَّها من الصُّور البشعة التي يقع ضرَرُها على الفرد والمجتمع.

ورغبة في المساهمة في هذا الموضوع، أقدم هذا البحث والذي هو بعنوان: «جريمة الابتزاز»، من خلال إطار نظري، وإطار تطبيقي. وفق ما يلي:

الباب الأول: الإطار النظري:

١ - تعريف الابتزاز.

٢ - واقع الابتزاز.

٣ - أنواع الابتزاز.

٤ - أسباب الابتزاز.

٥ - الحكم الشرعي للابتزاز.

٦ - جهود الرئاسة العامة في مكافحة الابتزاز.

٧ - الوقاية من الابتزاز.

٨ - أساليب التخلص من الابتزاز.

الباب الثاني: الإطار التطبيقي:

وقد تم اعتماد إحصائية وحدة مكافحة الابتزاز في الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه الخير، وأن يكفي مجتمعنا الشرور عامَّة، وشرَّ هذه الجريمة خاصَّة، وأن يوفق ولاة أمرنا لكلِّ خير، وأن يحفظ لهذه البلاد أمنها واستقرارها ودينها.

والحمد لله رب العالمين.



الباب الأول

الإطار النظري




تعريف الابتزاز

الابتزاز في اللغة: -بكسر التَّاء- أصله ثلاثيٌّ، من بَزَّ الشيءَ يبُزُّه بَزّاً: والبَزُّ: السَّلبُ، وبزَّ الشيءَ: انتزعه، وبزَّ المال: سَلَبَه من النَّاس بغير حق، أو نزعه منهم بقهر وإذلال(١).

قال ابن الأثير(٢): «في حديث أبي عبيدة «أَنه سَتَكُون نُبُوَّةٌ ورَحْمَةٌ ثم كَذا وكَذَا ثم يكُونُ بِزِّيزَى وأَخْذُ أَمْوَالٍ بغَيْر حَقٍّ»(٣)، البزيزى- بكسر الباء وتشديد الزَّاي الأولى والقصر-: السَّلْبُ والتَّغلب. من بَزَّه ثِيَابَه وابتزَّه إذا سلبه إياها».

والابتزاز في الاصطلاح: الحصول على المال أو المنافع من شخصٍ بالجبر والإكراه بواسطة التَّهديد بفضح بعض أسراره التي يمتلكها(٤).

ويمكن تعريف الابتزاز بأنه: الحصول على معلومات سِرِيَّة أو صور

---

(١) ينظر: «العين» (٧/ ٣٥٣) باب الزاي والباء، «جمهرة اللغة» مادة (بزز) (١/ ٦٨)، «لسان العرب» مادة (بزز) (١/ ٢٧٤)، «تاج العروس» مادة (بزز) (١٥/ ٢٨).

(٢) «النهاية في غريب الحديث» (١/ ١٢٤).

(٣) ذكره ابن قتيبة في «الغريب» (٢/ ١٥٩) بدون إسناد، والهروي في «الغريبين في القرآن والحديث» (١/ ١٧٣).

(٤) ينظر: «الابتزاز المفهوم والواقع» د. صالح بن حميد (ص١٣)، «جريمة الابتزاز دراسة مقارنة» لمحمد بن عبدالمحسن بن شلهوب (ص٩).



شخصية أو مواد فيلمية تخص الضحية واستغلالها لأغراض مالية أو القيام بأعمال غير مشروعة.

ويتمثَّل ذلك في صور متعددة؛ كتهديد بعض الفتيات بنشر صورهنَّ على الشبكة العنكبوتية «الإنترنت»، أو في مواقع التواصل الاجتماعي، أو إبلاغ ذويهن - مما قد يلحق الضَّرر بهن - إذا لم يَستجِبْن لمطالب المبتَزِّ السُّلوكية أو المالية.

ولفظة «الابتزاز» استعملها العلماء في كتاباتهم قديمًا وحديثًا، بما لا يَخرُج عن مفهومها المعاصر[1].



(١) ينظر: «المصنَّف» لعبدالرزاق (١٠١٧٠)، «التبصير في معالم الدين» للطبري (ص١٥٧)، «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» للمقريزي (٤/ ٣٦٣)، «نهاية الأرب في فنون الأدب» (١٥/ ١٢٩)، «معجم لغة الفقهاء» (ص٣٨).




واقع الابتزاز

تعاني المجتمعات العربية والعالمية من ازدياد الجرائم وخاصَّة الجرائم المعلوماتية المتعلقة بالجوانب الأخلاقية، وتطوُّر أساليبها، وتزايد أنماطها، لاسيما مع التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي تمرُّ بها الشعوب، والتي تزيد من عواملها، وتعقُّد عملية الوقاية منها والحد من تناميها.

وتشير الإحصاءات الجنائية الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة إلى أن حجم الجريمة بكافة أنواعها على المستوى الدولي في تصاعد مستمر، وأن الدراسات الاستقصائية للأمم المتحدة عام (١٩٩٠م) أظهرت أن نسبة الزيادة ٢٣٪ للفترة (١٩٨٠-١٩٩٠م) مقارنة بـ ١١٪ للفترة (١٩٧٥-١٩٨٥م)، بينما أظهر استقصاء الأمم المتحدة السادس عن اتجاهات الجريمة وعمليات نُظم العدالة الجنائية واستراتيجيات منع الجريمة والتي غطَّت المدّة من (١٩٩٥-٢٠٠٠م) ارتفاع معدلات الجريمة بأنواعها كافة على المستوى الدولي، وأن هذه الزيادة في استمرار، وأنَّ هناك حوالي (٤٠٠) ألف جريمة ترتكب يوميًا في العالم، وأنه نظرًا للتطور الهائل في التقنيات الاتصالية فقد ازدادت الجرائم الأخلاقية وأصبحت تدار بطريقة احترافية ومهنية [(١)].

(١) ينظر: «التدابير الوقائية للحدِّ من الجريمة الأخلاقية» (ص٥).



والمملكة العربية السعودية عضو من أعضاء المجتمع الدولي وجزء من هذا العالم يصيبها شيء من إفرازات هذه التقنية العالمية الحديثة.

ومما لا شكَّ فيه أن الجرائم التي تمسُّ الأعراض تعتبر من الجرائم الموجَّهة ضد الأشخاص، وبالتالي فهي من أشدِّ الجرائم خطورة، وهي تهدد حقوق الإنسان، وتخترق خصوصيته، وتجعله عرضة للكثير من الآثار النفسية والاجتماعية في بُعْدَيها الذاتي والعلائقي، وهي في جملتها اعتداء على الضروريات التي كفلتها الشريعة الإسلامية.

ولذا فهذه الجريمة تُعتَبر من الجرائم الكبرى في الدول، وسعيًا لمحاربتها فقد سنَّت أنظمة لمكافحتها، ووضعت لها أشدَّ العقوبات؛ من سجن وغرامة وما شابهها.

وعندما نتحدث عن هذه جريمة (الابتزاز) في مجتمعنا، فإنَّ هذا لا يعني أنَّها أصبحت مشكلة عامَّة خارجة عن السيطرة، ولكن تحتاج إلى تكاتف جميع أفراد المجتمع ومؤسساته؛ لتقليل عددها ومشكلاتها، ومن ثم عودتها إلى وضعها الطبيعي.

وينبغي أن يُعْلَم أنَّ الابتزاز جريمة من الجرائم، ووقوع الجريمة في المجتمع مِنْ أَمْرِ الله القدري، والجريمة لم يخْلُ منها مجتمع من مجتمعات البشر منذ أن قتل ابنُ آدم عليه السلام أخاه، ولم يَسلَم منها أطهر المجتمعات مجتمع النُّبوة.

ومن أجل ذلك شُرعت العقوبات الحدِّيَّة والتعزيرية؛ للحدِّ من انتشارها.






أنواع الابتزاز

والمقصود بذلك أنواع الابتزاز من حيث جنس الضحية والمجرم، وبناء على ذلك فإن للابتزاز أربع حالات:

الأولى: أن يكون المبتز رجلاً والضَّحية امرأة، وهو الأغلب والأشهر.

الثانية: أن يكون المبتز رجلاً والضَّحية رجل، حيث يتم استدراجه بالخديعة؛ كإيهامه بأن المبتز امرأة فيستجيب له الطرف الآخر، ثم لا يشعر إلا وقد أصبح ضحية لجريمة الابتزاز، كما قد يكون الضَّحية حدثاً.

الثالثة: أن يكون المبتز امرأة والضَّحية رجل، وحين تنشأ علاقة محرمة بينهما يكون في ثنايا تلك العلاقة -غالباً- تبادل للصور ومعرفة بعض المعلومات الخاصة، ثم تقوم المرأة بابتزازه بها.

الرابعة: أن يكون المبتز امرأةٌ والضَّحية امرأة؛ وذلك لسهولة حصول المرأة على أدلة التَّهديد من صور وتسجيل صوتي، وغير ذلك من الأدلة التي يضغط فيها المبتز على ضحيته؛ لأنَّ الفتاة غالباً لا تتحرَّج من رفيقتها، وهذه الحالات غالباً تتعلق بطلب الأمور المالية، وقد تكون لبناء علاقات محرمة مع رجال.





أسباب الابتزاز

عند النَّظر في جريمة الابتزاز من النَّاحية النَّفسية والاجتماعيَّة، فإنَّ المتأمِّل فيها سيخرج بعدد من العوامل الاجتماعية والدوافع النَّفسية التي أدَّت بالمبتزِّ إلى سلوك هذا الفعل المشين، أو تسهيله له.

أولاً: العوامل الاجتماعية

العوامل الاجتماعية: هي مجموعة الظُّروف التي تحيط بالشَّخص في جميع مراحل حياته وعلاقته مع غيره من الناس، واختلاطه بهم اختلاطًا وثيقًا من شأنه أن يؤثِّر في سلوكه تأثيرًا كبيرًا.

وهذه العوامل متعددة، ولعلَّ من أبرزها: البيئة الأسرية، والمدرسة، وبيئة العمل، والأصدقاء، ووقت الفراغ.

ولا شك أنَّ البيئة الاجتماعية المحيطة بالفرد لها علاقة بسلوكه الإجرامي، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [طه: ١٥-١٦].

وقد جاء في الصَّحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ؛ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ**



رِيحًا خَبِيثَةً»(١).

ومعنى الحديث: أنَّ حامل المسك مِمَّن يَنفعك لا محالة، إمَّا بإهداء المسك إليك، أو بَيْعِه لك، ولا يَخْلو على الأقل من أن ينفعك برائحته الطَّيبة، وكذلك الجليس الصالح إمَّا أن تحصل منه على عِلم ينفعك، أو أنَّه ينفعك بصحبته، ونافخُ الكير على العكس من ذلك؛ فإنَّه لا يخلو من إيذاءٍ ولو برائحتِهِ الكريهة؛ فكذلك الجليس السوء.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي الحديث: النَّهي عن مجالسة من يُتَأَذَّى بمجالسته في الدِّين والدُّنيا، والتَّرغيب في مجالسة من ينتفع بمجالسته فيهما»(٢).

وقال ﷺ: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»(٣).

وقال ﷺ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ**»(٤).

فلئن كانت الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى التي ينمو فيها الفرد، ويكتسب من خلالها معايير الخطأ والصواب، فإن الأصدقاء والأصحاب من بعد ذلك لهم أثر واضح في تعديل السلوك الخاطئ، أو العكس.

---

(١) أخرجه: البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

(٢) «فتح الباري» (٤/ ٣٢٤).

(٣) أخرجه: أحمد (٨٠٢٨)، وأبو دواد (٨٤٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨) وقال: «حديث حسن». وصححه النووي في «رياض الصالحين» (ص١٤٤).

(٤) أخرجه: البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

ثانيًا: العوامل النفسية

تتشكل الشخصية من مجموعة من السِّمات والخصائص التي تُميِّز كل فرد عن غيره.

ولا ريب أنَّ العوامل النَّفسية الذاتية لها أثر كبير في الخير والشر، ومن ذلك: النَّفس الأمَّارة بالسوء، وضعف الوازع الديني قال -تعالى-: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشّمس: ٧-٨].

وقال -تعالى-: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ [آل عِمرَان: ١٤].

لقد فطر الله ﷻ الإنسان على بعض الغرائز المختلفة والتي تعرف بأنها الاستعداد الفطري المتأثِّر بمؤثرات خاصة تدعو إلى إتيان سلوك معين، فإنَّ الله خلق النفس البشرية، ووضع حبَّ تلك الشهوات في القلوب كما ذكرها الله في هذه الآية، ولكنَّ الإيمان في قلب المسلم يصدُّه عن الشرِّ ويحجزه عنه، وإذا قوي داعي الشرِّ، فعندها ينحرف الفرد إلى السلوك الإجرامي.

ولشيخ الإسلام رحمه الله تحليل عجيب في مسألة مخالطة أهل الفساد وتأثُّر المرء بهم، وتأثيرهم عليه، يحسن ذكره على طوله:

قال رحمه الله: «فكم مِن النَّاس لم يُرد خيرًا ولا شرًا حتَّى رأى غيَره - لا سيَّما إنْ كان نظيره- يَفعله ففعله، فإنَّ النَّاس كأسْرابِ القَطَا، مَجبولون على تَشبُّه بعضهِم ببعضٍ.

ولهذا كان المُبتدئُ بالخير والشَّر: له مثلُ من تَبعه من الأجر والوزْرِ كما قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ سَنَّ سُنَّة حسنةً فله أجرُها وأجرُ من عَمِلَ بها**

إلى يَوْمِ القِيَامَة، مِنْ غَير أنْ يَنقُص من أجورهم شيئًا، ومَنْ سَنَّ سُنَّة سيئةً فعليه وزرها وَوِزْرُ مَنْ عَمِل بها إلى يوم القيامة، مِنْ غَيْر أنْ يَنْقُص من أوزارهم شَيئا»[١].

ذلك لاشتراكهم في الحَقيقة، وأنَّ حُكم الشَّيءِ حكمُ نظيره، وشَبيه الشَّيء منجذبٌ إليه.

فإذا كان هذان داعيين قويين، فكيف إذا انضمَّ إليهما داعيان آخران؟!

وذلك أنَّ كثيرًا من أهل المُنكر: يُحبون من يوافقهم عَلى ما هم فيه، ويبغضون من لا يوافقهم، وهذا ظاهرٌ في الدِّيانات الفاسدة، من مُوالاة كلِّ قومٍ لموافقيهم، ومُعاداتهم لمخالفيهم.

وكذلك في أمور الدُّنيا والشَّهوات: كثيرًا ما يختار أهلُها ويؤثِرون من يشاركهُم في أمورهم وشهواتِهِم، إمَّا للمعاونة على ذلك، كَمَا في المُتغلبين من أهل الرِّياسات وقُطَّاع الطَّريق ونحو ذلك، وإمَّا لتلذُّذهم بالمُوافقة، كما في المُجتمعين على شُرب الخَمر مثلاً، فإنَّهم يحبون أن يَشرب كلُّ من حضر عندهم، وإمَّا لكراهتهم امتيازه عنهم بالخير: إمَّا حسدًا له على ذلك، وإمَّا لئلا يعلو عليهم بذلك ويُحمد دونهم، وإمَّا لئلا يكون له عليهم حُجَّة، وإمَّا لخوفهم من معاقبته لهم بنفسه، أو بمن يرفع ذلك إليهم، ولئلا يكونوا تحت مِنَّته وحظره، ونحو ذلك من الأسباب.

قال الله -تعالى-: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ

(١) أخرجه: مسلم (١٠١٧).

﴿بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ [البَقَرَة: ١٠٩]، وقال تعالى في المنافقين: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ﴾ [النِّسَاء: ٨٩].

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «وَدَّت الزَّانية لو زنى النِّساء كُلُّهنَّ»[(١)].

والمشاركة قد يختارونها: في نفس الفجور كالاشتراك في شرب الخمر، والكذب والاعتقاد الفاسد.

وقد يختارونها في النوع الثاني: كالزَّاني الذي يودُّ أن غيره يزني، والسَّارق الذي يود أنَّ غيره يسرق، لكن في غيرِ العَيْن التي زنى بها أو سرقها»[(٢)].



(١) ذكره الخطابي في "معالم السنن" (٤/ ٨١)، وابن قدامة في "المغني" (١٠/ ١٧٧) بغير إسناد. وقال ابن المنذر في "الإشراف" (٤/ ٢٧٧): "لا أعلم ما ذكر عن عثمان ثابتًا عنه، وأشبه ذلك إلا أن يكون ثابتًا".

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٤٩).




الحكم الشرعي للابتزاز

لقد حفظ الشارع الحكيم حقوق النَّاس؛ ومن ذلك ما يتعلَّق بحياتهم وأعراضهم وخصوصيتهم.

وانتهاك هذه الحقوق اعتداء وأذيَّة بغير وجه حق، قال -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، والشريعة جاءت بحفظ الضروريات الخمس، فكفلت للمسلم حفظ دينه ونفسه وعقله وماله وعرضه، وأيُّ اعتداءٍ على إحدى هذه الضروريات فهو جريمة كبرى، والمعتدي عليها مُجرَّم في الشريعة له عقوبته الدنيوية والأخروية؛ كما جاءت به النُّصوص المبيِّنة لهذه العقوبات.

ولذلك فإنَّ جريمة الابتزاز اعتداء واضح على نفس المسلم وماله وعرضه، فهي جريمة مركَّبة وليست جريمة واحدة.

يقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وقال ﷺ في حجَّة الوداع: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وأَعرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**»[١].

وهذه الجريمة العظيمة تضمنتْ من الجرائم العظام ما يلي:

(١) أخرجه: البخاري (١٧٣٩)، ومسلم (١٢١٨)، واللفظ للبخاري.

١ - الاعتداء على المال المعصوم.

٢ - الاعتداء على العرض.

٣ - وقد تؤدي بلازمها إلى الاعتداء على النَّفس.

٤ - الإيذاء نفسيًا بالتشهير.

وعقوبة جريمة الابتزاز عقوبة تعزيرية:

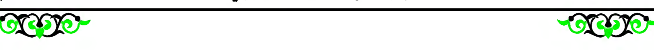
وقد سنَّ ولاة الأمر في هذه البلاد -حفظهم الله- تنظيمًا خاصًّاً لجريمة الابتزاز الإلكتروني يندرج تحت نظام «مكافحة الجرائم المعلوماتية» تصل العقوبة فيه إلى السجن خمس سنوات وغرامة تصل إلى خمسمئة ألف ريال، أو إحداهما بحسب ما يراه ناظر القضية [(١)].

وقد يرى الناظر في القضية من العقوبة ما هو أشد وفق معطيات القضية وتفاصيلها.



(١) ينظر: المرسوم الملكي رقم: م/١٧وتاريخ: ٨/ ٣/ ١٤٢٨هـ.

جهود الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكافحة الابتزاز



تقوم الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتنسيق والتعاون مع الجهات الحكومية ذوات العلاقة بدور كبير وجهد واضح في معالجة هذه الجريمة والحدِّ منها.

وقد أنشأت الرئاسة وحدتين متخصصتين، الأولى: لمكافحة الجرائم المعلوماتية، والثانية: لمكافحة الابتزاز، ووفرت لهما كافة متطلباتها من العاملين والأجهزة اللازمة؛ وتمتلك الوحدة من الإمكانات والتجهيزات ما يعينها على أداء عملها بالصورة المطلوبة، ويعمل فيها موظفون متخصصون التحقوا بدورات متعددة في هذا الجانب لرفع كفاءتهم وتطوير قدراتهم.

والرئاسة العامة تقوم بواجبها في الإسهام بالوقاية من الجرائم الإلكترونية بشكل عام وجريمة الابتزاز بشكل خاص، كما تقوم بالمساهمة مع الجهات المعنية في إنهاء معاناة حالات الابتزاز وفق ما لديها من صلاحيات.

وفي الجملة يتمثل دور الرئاسة العامة في مكافحة الابتزاز في المجالات التالية:

- التوعية والتوجيه بأخطار جريمة الابتزاز، والتحذير من ارتكاب بعض الأعمال التي قد تجعل الشاب أو الفتاة عرضة للابتزاز، وذلك من خلال حملة توعوية شاملة أطلقتها الرئاسة العامة بعنوان (شموخ) نفذت الرئاسة خلالها برامج وفعاليات في المجمعات التجارية، والأسواق، والجامعات، والمدارس، وغيرها.
- معالجة بلاغات الابتزاز التي ترد للرئاسة العامة عن طرق مركز الاتصال الموحَّد (١٩٠٩)، حيث تقوم الرئاسة باستقبال البلاغ

والتأكد من صحته، وفرز البلاغات، فبعضها يتم إنهاؤه من خلال الرئاسة العامة عن طريق تقديم نصائح لمن وقع ضحية للابتزاز في كيفية التخلص من ذلك، أو عن طريق المعالجة الأمنية بالتعاون والتنسيق مع الجهات الأمنية المختصة.






الوقاية من الابتزاز

إنَّ جريمة الابتزاز لا بدَّ لها من بداية، وقد تكون بداية يستسهلها من وقع ضحية لهذه الجريمة التي لا تقف عند حدٍّ معين -في الغالب- من مطالب المُبتز.

ولذا فإنَّ من المهم التأكيد على ما يلي:

- الحذر من الوقوع في العلاقات المحرمة، فهي طريق للوقوع في أوحال الابتزاز؛ فالكثير من حالات الابتزاز وقعت نتيجة علاقات محرمة.
- الحذر من مواقع التوظيف والاستشارات، ومواقع تأويل الرؤى والعلاجات، وعدم إرسال المعلومات التي لها طابع الخصوصية أو الصور الشخصية للنساء.
- الحذر من مواقع وحسابات الزواج، فإن بعضها يستغل قاعدة البيانات التي لديه في الابتزاز.
- أن تبتعد الفتاة عن الانضمام للمجموعات النسائية المجهولة في برامج المحادثات.
- الحذر في التَّعامل مع وسائل التقنية وبرامج التواصل الاجتماعي، لإمكانية اختراق الحسابات أو الأجهزة الذكية.
- قد يتظاهر البعض بمعرفة معلومات عن اسم الفتاة وموقعها ويستغل ذلك في الضغط عليها وابتزازها، وهذا لا يعني وجود العلاقة،

فيمكن حصوله على هذه المعلومات من طرق أخرى، فالنصيحة لمن تعرض لشيء من هذا ألا يخضع للمبتز بأي شكل من الإشكال.

- أن تحذر الفتاة من التَّساهل في التَّصوير، وتداول الصور مع الزميلات، أو الاحتفاظ بها في الأجهزة التقنية.
- هناك بعض العصابات الخارجية التي تقوم باستدراج الرجال عبر مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها، ومن ثم الإيقاع بهم وتصويرهم وابتزازهم.
- عند تعرض جهازك للاختراق من قبل شخص ما؛ فيجب على الفتاة إخبار الأهل بذلك حتى لا تقع ضحية لابتزاز المخترق.
- ينبغي التأكيد على الوالدين باحتواء الأولاد وإشباع رغباتهم النَّفسية، ومنحهم الحُبَّ والعطف والحنان. مع الحذر من سوء استخدام التقنية إذ تعتبر من أكبر أسباب الوقوع في الابتزاز فيجب على الوالدين مراقبة الأبناء وضبط استخدامهم لأدوات التقنية والبعد عن الثقة المفرطة.
- الحرص على اختيار الصُّحبة الصالحة للأبناء، والبعد عن أهل الفساد.
- معرفة العوامل والظروف المُؤدِّية لهذه الجريمة، أو المساعدة على بُروزِها، وسبل القضاء عليها من خلال الدراسات العلمية المتخصصة.






أساليب التخلص من الابتزاز

قد يتعرض الشخص في حياته إلى ابتزاز من قبل شخص ما في يوم من الأيام، وللأسف فإن الكثير لا يعرفون كيف يتصرفون، وما هي الخطوات الواجب اتِّباعها للتَّخلص من جريمة التهديد والابتزاز، فالكثير ممن وقعوا في فخِّ الابتزاز ينصاعون لأوامر المبتزِّ ورغباته، وبذلك يُسقطون أنفسهم في وَحْلِ الابتزاز، ويكونون ضحية للجرائم الإلكترونية.

والحقيقة: أن السَّبب في حيرة الضحية هو وَقْعُ المشكلة التي ألمَّت به، فالغالبية العظمى من ضحايا الابتزاز لا يتوقعون في يوم من الأيام أن يتم ابتزازهم بهذه الطريقة من أشخاص قد كانوا محل ثقتهم في يوم من الأيام!

ولهذا تجد بعضهم قد يصاب بحالة اكتئاب وانهيار نفسي جراء ما أصابه معتقدين أنَّ الأمر انتهى، وأنهم مقبلون على فضيحة، وحياة قاسية مليئة بالوساوس والضغوط النفسية، إلا أنَّ جريمة الابتزاز -في الواقع- ما هي إلا جريمة كغيرها من الجرائم التي يمكن أن يتم التَّوصُّل فيها إلى حلول منطقية تساعد وتساهم في إخراج الضَّحية وانتشاله من أزمةٍ قد تكون سببًا في تدمير حياته النَّفسية والاجتماعية إذا لم يتم التَّصرف معها بحذر شامل.

وهذه بعض النَّصائح والخطوات المهمة التي يجب على كلِّ شخص أو ضحية اتِّباعها في حالة تعرضه إلى ابتزاز، أو شعوره أنه من الممكن أن يكون ضحية ابتزاز؛ نتيجة بوادر معينة وإشارات من المجرم:

أ/ التصرف الذاتي الأولي:

- الحفاظ على الهدوء؛ فلا يصدر ردُّ فعلٍ سريع، أو توتُّر، مع أنه شعور طبيعي إلا أنه لا يُساعد على اتخاذ قرارات سليمة.
- معرفة نوع العلاقة مع المجرم، وكيفية وصوله إليك، وكيفية وصول المحتويات الخاصة بك إليه، فإذا كان عن طريق الاختراق للحاسب، فيجب التصرف بحكمة، والإسراع بفصل الإنترنت عن الجهاز المشبوه؛ سواء كان حاسبًا آليًا، أو هاتفًا، وحذف أيٍّ محتويات خاصة، أمَّا إذا كان وصول المجرم عن طريق علاقة تعارف أو إرسال صور ومحتويات برضاك فلا بدَّ من اتخاذ إجراءات أمنية مثل تحميل برنامج حماية للحاسوب.
- حصر المعلومات والمحتويات الخاصة التي يمتلكها المجرم سواء صرَّح عنها أو لم يصرِّح عنها.
- تحديد مدى معرفة المجرم بك وبخصوصياتك؛ فإذا كان المجرم لا يعرف عنك أي معلومات خاصة كالاسم أو الحسابات الإلكترونية الرسمية الخاصة بك فالإجراء الصحيح يكون في حظره، والتوقف عن التعامل معه خشية وصول أي معلومات إليه.

ب/ التعامل مع المجرم:

- معرفة ما هي مطالب المجرم، فالاستجابة لمطلب صغير للمجرم قد يفتح شهيته لمطلب أكبر، لهذا يجب عدم الاستجابة والخضوع لطلبات المجرم، وإنما التصرف بحكمة كبيرة، واتخاذ قرارات حازمة.
- عدم شتم المجرم، أو استفزازه، أو الحديث عن أشياء تثير غضبه حتى لا يكون دافعًا لتَّصرف انتقامي.

- كسب مزيد من الوقت، ومحاولة الوصول إلى أي معلومات عن هوية المجرم ومكان إقامته، فقد يكون خارج البلاد، وهذا الشيء يساعد في التَّصرف قانونيًا، كما يضع حاجز الرهبة في وجه ذلك المجرم، لاسيما أنه أصبح معروفًا، فيكون المجرم مترددًا في اتخاذ قرارات قد تضره مستقبلاً، لهذا فإن معرفة أي معلومات حقيقية عن المجرم هي مسألة في غاية الأهمية.

ج/ التعامل مع المشكلة مع من حولك:

- عدم مراسلة أي جهة إلكترونية أو جهة حكومية من خلال استخدام الحاسوب إذا كان الحاسوب قد تم اختراقه، وإنما الواجب استخدام حاسوب آخر، أو استخدام هاتف آمن.
- إذا كنت غير قادر على التصرف وتشعر أنك متوتر بشكل كبير، حاول الاستعانة بأحد الأقارب لديك، أو شخص مقرب منك، ويكتم أسرارك؛ لأنَّ ذلك يساعد في تخفيف الخوف والضغط النفسي.
- يجب على الفور إبلاغ الجهات الرسمية والمختصة بذلك كوحدة مكافحة الجرائم المعلوماتية، أو وحدة مكافحة الابتزاز، التابعتان للرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دون خجل أو خوف؛ لأنَّها الجهة المختصة بحمايتك -بعد الله- والتصرف بحكمة، ومن الممكن القبض على المجرم عن طريق الجهات المعنية سواء أكان معلوم الهوية لديك أو مجهول الهوية؛ لهذا يجب سرعة إبلاغ الجهة المختصة بذلك.

د/ مطالب المبتزين (المجرمين) من الضحية:

من المتوقع أن يطلب المبتز من الضحية ما يأتي:

- المال مقابل التستر على ما امتلك من وثائق أو معلومات أو محتويات

من شأنها أن تُحْرِج الضَّحية أو أن تهدِّد استقراره النفسي والاجتماعي أو أن تعرض الضحية للخطر الجسيم.

- قد يطلب صورًا أو مقاطع جنسيةٍ من أجل إحكام قبضته، وخصوصًا إذا كانت الضحية فتاة.
- وقد يطلب معلومات تتعلق بشخص معين، وهذا الابتزاز يعد خطيرًا جدًا كون مَن يرتكبه أحيانًا ينتسبون إلى فئات مشبوه.
- **هل تنتهي مطالب المبتز؟**

الواقع العملي لهذه الجريمة يقول: إن مطالب المبتز لا تنتهي بتحقيق الضَّحية لما يريد، بل هي أشبه بحالة إدمان للابتزاز، يقابله سرعة تنفيذها من قبل الضحية خشية الفضيحة، فهذا المبتز يتحول إلى وحش كاسر في سبيل تحقيق رغباته الجنسية والمالية، ويصبح متسلطًا على الضحية يفعل بها ما يشاء.

والواقع يؤكِّد أن أكثر من ٩٩٪ من حالات الابتزاز لا تنتهي بتحقيق طلب المبتز؛ بل يتمادى المبتز إلى طلبات أكبر وأكثر، ولم تنته علاقة من علاقات الابتزاز بتحقيق الطَّلب إلا في النَّادر، فلا تنتهي إلا من خلال التدُّخل سواء من العائلة، أو من خلال تواصل المبتزة مع الرئاسة؛ لتنتهي المأساة.

وأذكر على سبيل المثال قصة من قصص الابتزاز المؤلمة:

بدأ المبتز بالتعرف على الضَّحية وهي في المرحلة الثانوية، ولما دخلت الجامعة تَحصَّل على صور لها بعد مخادعته وإيهامه لها بأنه سيقوم بخطبتها، وبدأ مسلسل الابتزاز، فطلبها للخروج معه فرفضت أن تلبي طلب المبتز جنسياً، ثم انتقل إلى المطالبة المالية فرضخت، وأخذ



بطاقتها للصراف الآلي، وكان يأخذ مكافآتها الجامعية لمدة أربع سنوات، ولم تنته المأساة بعد!

تخرجت من الجامعة ويسَّر الله لها وظيفة تعليمية وتزوَّجت، وظنَّت أنَّ تهديده انتهى، ولكنَّه عاد لها وهددها بفضحها أمام زوجها وأهله وأهلها إن لم تستجب لمطالبه المادية! فدرأت شرَّه بمالها وسلمته بطاقة الصراف الآلي، واستولى على راتبها كل شهر، ليس شهرًا ولا شهرين ولا سنة ولا سنتين! بل عشر سنوات كاملة، ثم ماذا؟ وما هي النِّهاية؟!.

تقول علمتُ أنَّني في دوَّامة لا تنتهي وأني أعمل ليل نهار من أجل شخص استولى على مالي، فاتصلتْ بوحدة مكافحة الابتزاز، وبعد التأكد من مشكلتها انتهت مأساتها في فترة وجيزة جداً، وتم القبض على المبتز.



الباب الثاني

الإطار التطبيقي

(نسب وإحصاءات في مكافحة الابتزاز)



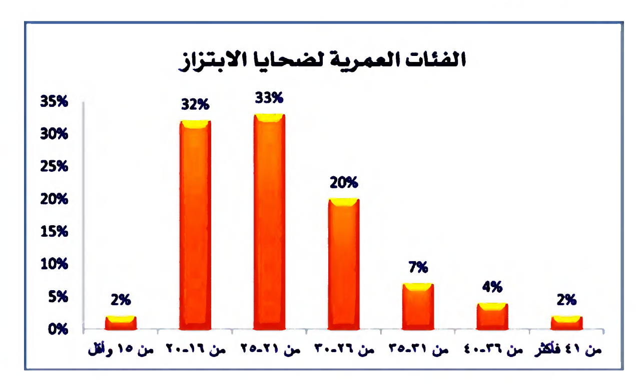


وفيه تحليل لإحصائية وحدة مكافحة الابتزاز بالرئاسة العامة، والتي أظهرت ما يلي:

- الفئة العمرية لضحايا الابتزاز:

من خلال تحليل الإحصائية المشار إليها تبين: أنَّ الشريحة الأكبر من الضحايا هي الفئة العمرية ما بين (٢١ - ٢٥) سنة بنسبة (٣٣ ٪)، وقريب منها تماماً الفئة التي تكون ما بين (١٦-٢٠) سنة بنسبة (٣٢ ٪)، تليها الفئة العمرية ما بين (٢٦ -٣٠) سنة بنسبة (٢٠ ٪)، ثم بعد ذلك نجد أنَّ هناك ما يقارب (٢ ٪) من الضَّحايا أقل من (١٥ سنة) وأكثر من (٤١) سنة بالنِّسبة نفسها تقريباً، وبين عمر (٣١ -٣٥) سنة بنسبة ٧٪، ومن عمر (٣٦ -٤٠) سنة بنسبة (٤ ٪).

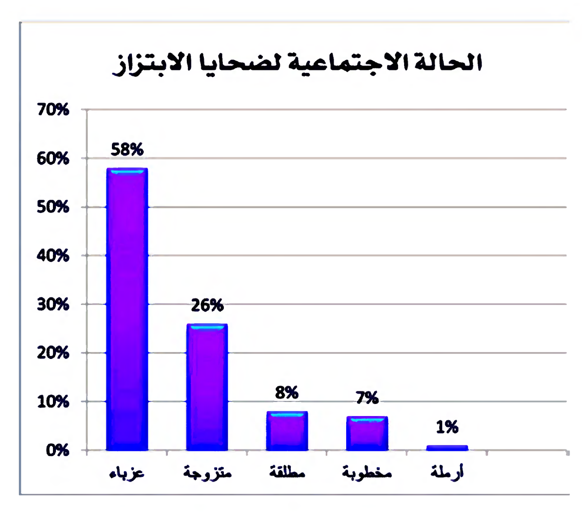
والملاحظ هنا: أن الفئة العمرية ما بين (١٦ -٣٠) سنة هي الفئة الغالبة بما يصل إلى (٨٥ ٪)، وهذا يدل على أن هذه الفترة العمرية فترة خطيرة تستلزم انتباه الأسر للحرص على الفتيات في هذه المرحلة العمرية؛ لأنها الأكثر تضرراً.





- **الحالة الاجتماعية لضحايا الابتزاز:**

من خلال التحليل الإحصائي تبين أنَّ النسبة العظمى هي من فئة (عزباء) بنسبة ٥٨٪، تليها مباشرة (٢٦ ٪) للمتزوجات، ثم وبنسبة أقل في فئة (المخطوبة والأرملة والمُعلَّقة)، كما هو موضح في الصورة التالية:






- **الوسائل المستخدمة في الابتزاز:**

ومن خلال التحليل تبين أنَّ أول الأسباب لذلك هي مواقع التواصل الاجتماعي وبرامج المحادثات بنسبة ٥٧٪.

السبب الثاني عن طريق صديقة بنسبة ١٢٪.

والثالث من الأسباب عن طريق الاتصال العشوائي بنسبة ٩٪.

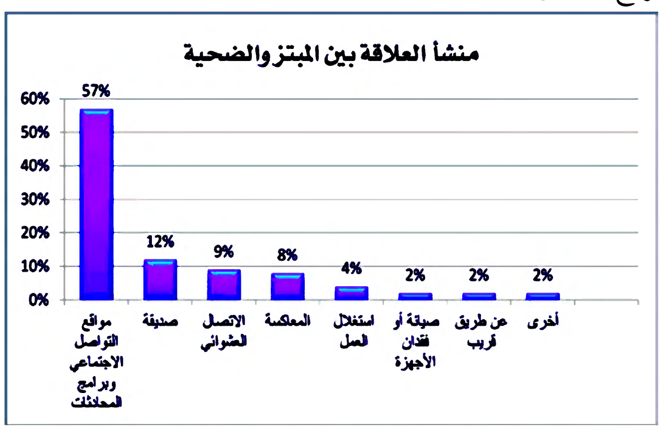
والرابع المعاكسة بنسبة ٨٪.

والخامس استغلال العمل بنسبة ٤٪.

والسادس صيانة أو فقدان الأجهزة بنسبة ٢٪.

والسابع عن طريق قريب بنسبة ٢٪.

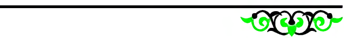
ومن الأسباب الأخرى ولكنها بنسب أقل: (شريط المحادثات في القنوات الفضائية، خَطيب المرأة، مُعبِّر الرؤى، الخاطبة، الجار، الزوج، صديق أخيها).






- الفئة العمرية للمبتزين (المجرمين):

باستعراض فئاتهم العمرية نجد أنَّ النسبة الأكثر من المبتزين تتراوح أعمارهم ما بين (٢١ –٢٥) سنة بنسبة ٣٧ ٪، تليها الفئة العمرية من (٢٦ - ٣٠) سنة بنسبة ٣٤ ٪ ، ثم من (١٦ –٢٠) سنة بنسبة ١١٪، ثم من (٣١ –٣٥) سنة بنسبة ١٠٪ ، ومن (٣٦ –٤٠) سنة بنسبة ٥٪، ومن(٤١) فأكثر بنسبة تصل إلى ٣٪.





- **مطالب المبتزين:**

من خلال تحليل الأرقام تبين أن ٧٤٪ من المبتزين مطالبهم جنسية، وتليها المطالب المالية بنسبة ١٤٪، بعد ذلك البقية الباقية ١٢٪ منها تخبيب المرأة على زوجها، والتنازل عن مبالغ مالية عند المبتز، والتنازل عن دعوى مُقدَّمة ضده في المحكمة، والتنازل عن المهر، والتنازل عن المؤخَّر.

مطالب المبتزين (المجرمين)

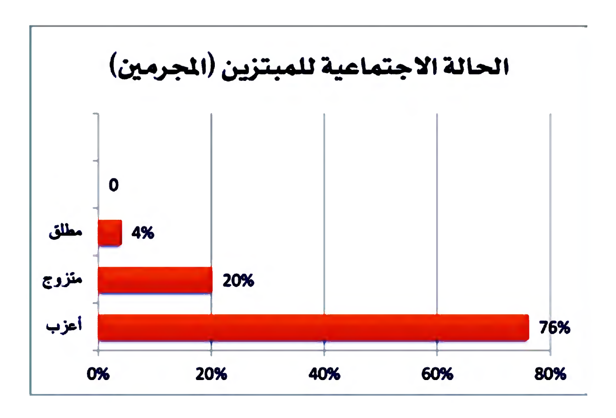
مطالب المبتزين

	مطالب المبتزين
جنسية	74%
مالية	14%
أخرى	12%




- الحالة الاجتماعية للمبتزين (المجرمين):

من خلال تحليل الأرقام تبين أن ٧٦ ٪ هم من فئة (أعزب)، ثم نسبة٢٠٪ فئة (متزوِّج)، يليها ٤٪ فئة (مُطلِّق).





- **المستوى التعليمي لضحايا الابتزاز:**

من خلال تحليل الأرقام تبين أن طالبات المرحلة الثانوية يُشَكِلْن ٤١ ٪ من الضحايا، وطالبات المرحلة الجامعية يُشَكِلْن ٤٠٪ أي أن المرحلتين تحصل على النسبة العظمى من المستوى التعليمي، وغير ذلك نسب ضئيلة.

مما يجعل من المهم أن تقوم الجهات المختصة بعقد ندوات وحلقات نقاش عن هذه المشكلة، لتبيين خطورتها على الفتيات.

المستوى التعليمي لضحايا الابتزاز

ثانوي	جامعي	متوسط	موظفة	ابتدائي	فوق الجامعي
41%	40%	8%	6%	4%	




الخاتمة

وبعد: فإنَّ جريمة الابتزاز من الجرائم المتراكمة التي تحوي عددًا من الجرائم، وهي في ذاتها وما تحتويه اعتداء على عدد من الضروريات التي أتت الشريعة بحفظها ورعايتها، وهي ليست خاصة بمجتمع دون مجتمع، بل هي مشكلة عالمية، وينبغي للأفراد والمجتمعات الحذر من هذه الجريمة، وعدم إعطاء الفرصة لمرتكبيها في ممارستها، وذلك باتخاذ الأسباب المانعة منها، ثم بالتعامل الأمثل معها بعد وقوعها.

كما أنَّ الجهات المختصة عليها واجب كبير بتوعية الأفراد بخطورة هذه الجريمة، والقبض على فاعليها من قبل الجهات ذات الصلاحية، كما أنَّ من المهم إعادة تأهيل مَنْ وقع فيها سواء أكان مجرمًا أو ضحية؛ ليعودوا مواطنين صالحين في أنفسهم مصلحين لمجتمعهم.

نسأل الله أن يحفظ لهذا المجتمع أمنه وأمانه، وأن يديم عليه ذلك في ظلِّ حكومتنا الرشيدة، وأن يوفقهم لكلِّ ما فيه خيرٌ وصلاح للعباد والبلاد.






فهرس الموضوعات

جريمة الابتزاز



المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر



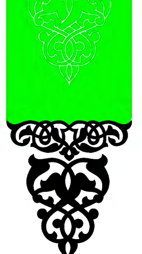
سلسلة دروس ومؤلفات الشيخ عبد الرحمن السند (٧)

أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

في تحقيق الأمن الشامل للمجتمعات



تأليف
عبد الرحمن بن عبد الله السند
الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
والمدرس بالحرمين الشريفين





المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، أَحمده سبحانه وأُثني عليه الخير كله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، وخيرته من خلقه.

أرسله الله رحمة للعالمين، وحجة على المكلفين، فأمر بالمعروف، وأجله توحيد الله ﷻ في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، ونهى عن المنكر، وأقبحه الشرك بالله ﷻ في ربوبيته، أو ألوهيته، أو أسمائه وصفاته.

صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلّم تسليماً كثيراً، **أمَّا بعد:**

فإنَّ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدِّين، وهو المهم الذي ابتعث الله به رسله وأنبياءه، فدعوة الرسل والأنبياء قائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النّحل: ٣٦].

فأصلُ الدِّين هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورأسُ المعروف هو التَّوحيد، ورأس المنكر هو الشرك.

وعبادةُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي عنوان الإيمان، ودليل السعادة والفلاح، وهي من أعمال أهل التقوى.

«وكلُّ بني آدم لا تتمُّ مصلحتهم لا في الدُّنيا، ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتَّعاون والتَّناصر، فالتَّعاون والتَّناصر على جلب منافعهم، والتَّناصر لدفع مضارِّهم، ولهذا يُقال: الإنسان مدنيٌّ بالطَّبع، فإذا اجتمعوا فلا بُدَّ لهم من أمور يفعلونها يجتلبون بها المصلحةَ، وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة، ويكونون مطيعين للآمر بتلك المقاصد والناهي عن تلك المفاسد، فجميع بني آدم لا بد لهم من طاعة آمرٍ وناهٍ»[1].

وهذا الاجتماع يستلزم أن يختلف الناس في الطاعات والحرص عليها، والوقوع في المنكرات واستسهال أمرها، ولذا شرع الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لحثِّ الناس على الخير، وتحذيرهم من الشر، يحملهم عليه رجاء الثواب، وتارة خوف العقاب في تركه، وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه، وتارة النصيحة للمؤمنين، والرحمة لهم ورجاء إنقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لغضب الله وعقوبته في الدنيا والآخرة، وتارة يحمل عليه إجلال الله وإعظامه ومحبته.

ثم إنَّ عبادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لها آثار عظيمة على الفرد والمجتمع، ومن أعظم تلك الآثار: تحقيق الأمن الشامل في المجتمع، من خلال ما يتحقق لأفراد المجتمع من أمنهم على الضرورات الخمس والمقاصد العليا، وهي: الدِّينُ، والنَّفسُ، والنَّسل، والمال، والعقل.

وقد جاء هذا الكتابُ المختصرُ للتعريف بعبادةِ الأمر بالمعروف

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٦٢).

(٢) ينظر: «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٩٧)

والنهي عن المنكر، وشروط إقامتها، وآدابها، وأثرها في تحقيق الأمن للمجتمع، وعناية ولاة الأمور في هذه البلاد منذ نشأتها على إقامتها.

وكانت الخطة وفق ما يلي:

الفصل الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحته المطالب التالية:

المطلب الأول: تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثاني: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نصوص القرآن والسنة.

المطلب الرابع: الآثار الواردة عن السلف والعلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الخامس: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب السادس: فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب السابع: آداب وصفات الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

المطلب الثامن: الشروط الواجب توافرها في المنكر للقيام بإنكاره.

المطلب التاسع: قواعد وضوابط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفصل الثاني: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق الأمن، وتحته المطالب التالية:

المطلب الأول: المقصود بالأمن.

المطلب الثاني: الضرورات الخمس.

المطلب الثالث: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ الدين.

المطلب الرابع: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ النفس.

المطلب الخامس: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ النسل.

المطلب السادس: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ العقل.

المطلب السابع: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ المال.

الفصل الثالث: جهود المملكة العربية السعودية في إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حياة الملك المؤسس رحمه الله.

المطلب الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حياة الملوك من بعده.

المطلب الثالث: شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في النظام الأساسي.

الخاتمة، وفيها أبرز النتائج.

أسأل الله أن يجعلنا من حزبه المفلحين، وأن يسلكنا في زمرة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بعلم ورفق وحلم، وأن يديم على بلادنا الأمن والأمان، والرخاء والاستقرار، وأن يحفظ لنا ولاة أمرنا، وأن يهدينا وإياهم سواء السبيل.





الفصل الأول

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وتحته المطالب التالية:

المطلب الأول: تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثاني: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نصوص القرآن والسنة.

المطلب الرابع: الآثار الواردة عن السلف والعلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الخامس: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب السادس: فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب السابع: آداب وصفات الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

المطلب الثامن: الشروط الواجب توافرها في المنكر للقيام بإنكاره.

المطلب التاسع: قواعد وضوابط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.




المطلب الأول

تعريف الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر

قبل تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باعتباره لقبًا سأذكر تعريف مفرداته اختصارًا.

الأمر في اللغة يطلق على عدة معان، منها:

الطلب على جهة الاستعلاء، كقوله: أمرته بكذا، أي طلبت منه فعل شيء.

الحال، كقولك: أصلح الله أمرك، أي حالك.

الشأن والفعل، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾ [هُود: ٩٧].

الحكم، كقوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحُجرَات: ٩][١].

وفي الاصطلاح: استدعاء الفعل بالقول الدال عليه على سبيل الاستعلاء[٢].

---

(١) ينظر: «تهذيب الصحاح» (١/ ٢٥٦)، «المصباح المنير» (ص٢٩)، «الكليات» (١/ ٢٩٢).
وزعم بعض الأصوليين والجواهري من اللغويين أنَّ العرب تفرق بين جمع الأمر الذي هو القول فتجمعه على (أوامر)، وبين جمع الأمر الذي هو الفعل فتجمعه على (أمور)، على اعتبار أنَّ لفظ الأمر حقيقة في القول المخصوص، ومجاز في الفعل. وقد ردَّ ابن القيم هذا القول، وذكر أنَّ هذا التفريق لا يعرف في لغة العرب .ينظر: «مختصر الصواعق المرسلة» (ص٣٠١).

(٢) ينظر: «العدة في أصول الفقه» (١/ ١٥٧)، «الإحكام في أصول الأحكام» للآمدي (٢/ ٤٠٢)، «مذكرة أصول الفقه» (ص٢٩٣).

والنهي لغة: خلافُ الأمر، نَهاه ينهاه نَهْيًا فانتهى، وتناهى وتناهوا عن الشيء: نهى بعضهم بعضًا.

وأصله: المنع، ومنه سُمِّي العقل نُهْية؛ لأنه ينهى صاحبه ويمنعه من الوقوع فيما لا يليق(١).

واصطلاحاً: استدعاء الترك بالقولِ على وجه الاستعلاء(٢).

والمعروفُ في اللغة من: عَرفَ يعرفُه معرفةً وعِرفانًا: عَلِمه، **والمعروف**: ضدُّ المنكر، وكلمة المعروف تتضمَّن المعرفةَ والاستحسان.

قال ابنُ منظور: «المعروف: الجود»، وقال الزجَّاج: «المعروف: ما يستحسن من الأفعال»(٣).

وفي الاصطلاح: عُرِّف بعدَّةِ تعريفات، كلها متقاربة، منها قول شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «اسم جامع لكلِّ ما يحبه اللهُ من الإيمان والعمل الصالح»(٤).

وعرفه الشيخ عبد الرحمن السعدي ﵀ بقوله: «اسم جامع لكل ما عُرف حسنه ونفعه شرعًا وعقلًا»(٥).

والمنكر في اللغة: كلمة تتضمَّن معنى الإنكار والاستهجان، والمُنكَر من الأمر خلاف المعروف، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمَان: ١٩] أي أقبح الأصوات(٦).

---

(١) ينظر: «لسان العرب» (١٥/ ٣٤٣).

(٢) «العدة في أصول الفقه» (١/ ١٥٩)، «الواضح في أصول الفقه» (١/ ١٠٤).

(٣) «لسان العرب» (٤/ ٢٨٩٩).

(٤) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ١٠٦).

(٥) «تفسير السعدي» (ص١٦٥).

(٦) «لسان العرب» (٦/ ٤٥٣٩).

وفي الاصطلاح: عرَّفه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: «اسم جامع لكل ما نهى الله عنه»[(١)].

وعرفه الشيخ السعدي رحمه الله بقوله: «ما عرف قبحه شرعًا وعقلاً»[(٢)].

ودلالة المعروف والمنكر واسعة في الشريعة، قال الطبري رحمه الله: «الأمر بالمعروف هو كل ما أمر الله به عباده أو رسوله ﷺ، والنهي عن المنكر هو كل ما نهى الله عنه عباده أو رسوله»[(٣)].

وقال شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، يدخل في المعروف كلُّ واجبٍ، وفي المنكر كل قبيح»[(٤)].

وعليه؛ فإن تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو: الأمر بواجبات الشرع، والنهي عن محرماته[(٥)].



(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١٠٦/١).
(٢) «تفسير السعدي» (١٦٥)
(٣) «تفسير الطبري» (١٦/١٢)، وينظر: «مجموع الفتاوى» (٣٤٨/١٥).
(٤) «شرح الأصبهانية» (ص٦٥٩).
(٥) «روضة الطالبين» للنووي (٢١٧/١٠)، وينظر: «الموسوعة الفقهية الكويتية» (٢٤٧/٦).




المطلب الثاني
فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من العبادات العظيمة، وهو موجود في شرائع الأنبياء والرسل من قبلنا؛ كما قال تعالى عن أهل الكتاب: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١١٣-١١٤].

ولو لم تكن تلك الأمم مكلفة به لما ذمَّهم الله على تركه، قال ﷻ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المَائدة: ٧٨-٧٩].

فهو شريعة من الشرائع التي أوجبها الله على الأمم كلها، وما ذاك إلا لعظيم شأنه وأهميته في الحفاظ على المجتمعات من الانحرافات العقدية والفكرية والأخلاقية فهو «فائدة الرسالة وخلافة النبوة»[(١)].

ومن فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١- أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم واجبات الدين، فما بعث الله الرسل وأنزل الكتب إلا لأجل إقامته، وهو من أظهر شعائر الدِّين، وهو من خصال أهل الإيمان، ومن أعمال أهل الجنة.

---

(١) «تفسير القرطبي» (٥/ ٧٣).



قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من أوجب الأعمال، وأفضلها، وأحسنها»[(١)].

وقال رحمه الله: «عمل أهل الجنة: الإيمان والتقوى، وعمل أهل النار: الكفر والفسوق والعصيان.

فأعمال أهل الجنة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، والشَّهادتان: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك...، ومن أعمال أهل الجنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[(٢)].

٢- أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخصِّ صفات النبي ﷺ التي وُصِف بها في الكتب المتقدِّمة، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

قال ابن كثير رحمه الله: «هذه صفة الرسول ﷺ في الكتب المتقدمة، وهكذا كان حاله، عليه الصلاة والسلام، لا يأمر إلا بخير، ولا ينهى إلا عن شر»[(٣)].

٣- أنَّ من أعظم أسباب الفلاح والنجاة والسعادة والفوز في الدنيا والآخرة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) «الاستقامة» (٢/ ٢٢٦)، وينظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ١٢٦).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٤٢٢).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٨٧).

قال تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٤].

أي: من قام بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد سلك سبيل المفلحين، وحاز الخيرية والسعادة، واستحق النجاة في الدنيا والآخرة.

قال ابن كثير ﵀: «يقول تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٤] أي: منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [التّوبَة: ٨٨]، والمقصود من هذه الآية: أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه».(١)

٥- أنَّ الله فضَّل هذه الأمة على سائر الأمم لأمور وخصائص؛ منها أنَّها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

قال الله: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: ١١٠].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي ﵀: «هذا تفضيل من الله لهذه الأمة بهذه الأسباب، التي تميزوا بها وفاقوا بها سائر الأمم، وأنهم خير الناس للناس، نصحًا، ومحبة للخير، ودعوة، وتعليمًا، وإرشادًا، وأمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر، وجمعًا بين تكميل الخلق، والسعي في منافعهم، بحسب الإمكان، وبين تكميل النفس بالإيمان بالله، والقيام بحقوق الإيمان»(٢).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٩١) بتصرف يسير.

(٢) «تفسير السعدي» (ص١٦٥)، وينظر: «تفسير القرطبي» (٤/ ١٧٣).



وقدَّم اللهُ ﷻ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله، مع أنَّ الإيمان بالله من أصل الدِّين؛ لعظم شأن هذا الواجب، وما يترتَّب عليه من المصالح العظيمة العامَّة، ولا سيَّما في هذا العصرِ، فإنَّ حاجة المسلمين وضرورتهم إلى الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر شديدة؛ لظهورِ المَعاصي، وانتشار الشِّرك والبدع(١).

٦- أنَّ الله فضَّل بعضَ أهل الكتاب على بعض، وكان من أسباب هذا التفضيل قيامهم بعبادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال الله تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١١٣-١١٤].

فأهل الكتاب غير متساويين ولا متعادلين، فمنهم أمة من صفاتها أنهم: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [التّوبَة: ٤٤] وهو الإيمان الذي يوجب لهم الإيمان بكل نبي أُرسل، وكل كتاب أُنزل، وآمنوا باليوم الآخر فاستعدوا له، ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٤] فكان من تمام إيمانهم تكميل إيمان غيرهم بأمرهم بكل خير، ونهيهم عن كل شر، ومن ذلك حثهم أهل دينهم وغيرهم على الإيمان بمحمد ﷺ.

٧- أنَّ من أَخصِّ خصائص أهل الإيمان، وأعظم صفاتهم ومناقبهم أنَّهم متوادُّون متحابون، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

قال الله ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ

---

(١) ينظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لشيخنا ابن باز رحمه الله (٢٧/ ٣٨٠).

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

فالمؤمنون والمؤمنات - وهم المصدقون بالله ورسوله وآيات كتابه - بعضهم أولياء بعض في الدين، واتفاق الكلمة، والعون والنصرة، يأمرون بالإيمان والتوحيد والطاعة والخير، وينهون عن الشرك والكفر والمعصية وما لا يعرف في الشرع، ويقيمون الصلاة المفروضة، ويؤدون الزكاة المفروضة لأهلها، ويأتمرون لأمر الله ورسوله وينتهون عما نهياهم عنه، هؤلاء سيرحمهم الله، فينقذهم من عذابه ويدخلهم جنته(١).

٨- أنَّ الله لما عدَّد صفات أوليائه وأهل طاعته، ذكر من بينها أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

قال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

هذه أوصاف الكَمَلة من المؤمنين ذكرها الله تعالى ليستبق إلى التحلِّي بها عباده، وليكونوا على أوفى درجات الكمال، وهذه تسع صفات ذكرها الله نسقًا في هذه الآية:

الأولى: ﴿التَّائِبُونَ﴾ من كل معصية، **الثانية:** ﴿الْعَابِدُونَ﴾ الذين أتوا بالعبادة في السراء والضراء، **الثالثة:** ﴿الْحَامِدُونَ﴾ الذين يقومون بحق شكر الله تعالى على نعمه ديناً ودنيًا، ويحمدون الله على قضائه، ويجعلون إظهار ذلك عادة لهم، **الرابعة:** ﴿السَّائِحُونَ﴾ أي الصائمون، أو

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٥٥٧)، «تفسير البغوي» (٤/ ٧٣)، «تفسير القرطبي» (٢/ ٢٠٣).



المسافرون للإتيان بالقربات، **الخامسة والسادسة**: ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ أي المكثرون من الصلاة، والمقيمون لها[(١)]، **السابعة**: ﴿ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وهو كل طاعة من واجب ومستحب، **الثامنة**: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢][(٢)]، وهو جميع ما نهى الله عنه ورسوله، **التاسعة**: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ بتعلمهم حدود ما أنزل الله على رسوله، وما يدخل في الأوامر والنواهي ولا ما لا يدخل فيها.

٩- أنَّ الله أمر بالاجتماع ونبذ التفرق والتحزب، وسبيل هذا الاجتماع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا، فإنَّ الجماعة رحمة والفرقة عذاب، وجماع ذلك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ

---

(١) خصَّ الركوع والسجود عن سائر أفعال الصلاة؛ لأن سائر أشكال المُصلي موافق لعادة الإنسان في قيامه وقعوده، والذي يخرج عن العادة في ذلك هو الركوع والسجود، وبه يتبين الفضل بين المصلي وغيره، وقيل: خصَّ الركوع والسجود بالذكر؛ لأنَّ القيام أول مراتب التواضع لله تعالى والركوع وسطها والسجود غايتها.

(٢) اختلف المفسرون في سبب الفصل بينهما بحرف الواو دون باقي الصفات المذكورة، **فقيل**: للدلالة على أنه وما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كأنه قال: الجامعون بين الوصفين، **وقيل**: إنَّ الصفات إذا تكررت وكانت للمدح أو الذم أو الترحم جاز فيها الإتباع للمنعوت والقطع في كلها أو بعضها، وإذا تباين ما بين الوصفين جاز العطف، ولما كان الأمر مباينًا للنهي- إذ الأمر طلب فعل والنهي طلب ترك فعل- حسن العطف في قوله: ﴿وَٱلنَّاهُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]. ينظر: «تفسير البيضاوي» (٣/ ٩٩)، «تفسير البحر المحيط» (٥/ ٥١١).

ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٢-١٠٤].

فمن الأمر بالمعروف: الأمرُ بالائتلاف والاجتماع، والنهي عن الاختلاف والفرقة»[١].

١٠- أنَّ عبادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب في الأجور العظيمة.

أخرج مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى**»[٢].

وأخرج أحمد من حديث عبد الرحمن بن الحضرمي، قال أخبرني من سمع النبي ﷺ يقول: «**إن من أمتي قومًا يعطون مثل أجور أولهم: ينكرون المنكر**»[٣].

وفضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يصعب حصرها، لأنَّ الدِّين هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٤]، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أخص أوصاف المؤمن.

وبالجملة، فإنَّه بتحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «تصلح

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٤٢١).
(٢) مسلم (٧٢٠).
(٣) أخرجه أحمد (١٦٥٩٢)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (ح١٧٠٠).
(٤) «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ١٢٦).



الأمة، ويكثر فيها الخير، وتظهر فيها الفضائل، وتختفي منها الرذائل، ويتعاون أفرادها على الخير، ويتناصحون، ويجاهدون في سبيل الله، ويأتون كل خير، ويذرون كل شر، وبإضاعته والغفلة عنه تكون الكوارث العظيمة، والشرور الكثيرة، وتفترق الأمة، وتقسو القلوب أو تموت، وتظهر الرذائل وتنتشر، وتختفي الفضائل، ويهضم الحق، ويظهر صوت الباطل، وهذا أمر واقع في كل مكان وكل دولة وكل بلد وكل قرية لا يؤمر فيها بالمعروف ولا ينهى فيها عن المنكر، فإنه تنتشر فيها الرذائل وتظهر فيها المنكرات ويسود فيها الفساد، ولا حول ولا قوة إلا بالله»(١).



(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٧/ ٣٧٩).




المطلب الثالث

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نصوص القرآن والسنة

حديث القرآن والسَّنَّة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بياناً لأهميته، وترغيبًا في القيام به، وترهيبًا من تركه واسع جدًا، مما يدل على أهمّية هذه الشعيرة للفرد والمجتمع.

فمما جاء في كتاب الله[١]:

١- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحَجّ: ٤١].

فالله ﷻ إذا أراد التمكين لدولة من الدول ووطَّن لها هذا الأمر يسَّر لولاتها إقامة هذه الأمور الأربعة، والمداومة عليها: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والمعنى: إن نصرناهم على أعدائهم أطاعوا الله، فأقاموا الصلاة بحدودها، وأعطوا زكاة أموالهم من جعلها الله له، ودعوا الناس إلى توحيد الله، والعمل بطاعته، وما يعرفه أهل الإيمان بالله، ونهوا عن الشرك بالله، والعمل بمعاصيه، الذي ينكره أهل الحق والإيمان بالله، فهو شرط شرطه الله ﷻ على من آتاه الملك[٢].

قال شيخنا ابن باز ؒ: «فهو سبحانه وتعالى علق نصرهم وحفظهم

---

(١) ذكرنا في فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعض الآيات، وسنذكر هنا بعضًا منها.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٥٨٧)، «تفسير القرطبي» (١٢/ ٧٣).



وحمايتهم بنصرهم دينه واجتماعهم على دينه وتعاونهم واعتصامهم بحبل الله ﷻ».[١]

٢- قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣-١٦٥].

هذه قرية كانت بقرب البحر وعلى شاطئه[٢]، ابتلاهم الله وامتحنهم بمنعهم من صيد الأسماك والحيتان يوم السَّبت، وأذن لهم فيما سواه، فكانت الحيتان تأتي يوم السبت من كل مكان، قد شرَعت رؤوسها، ظاهرة طافية على الماء من كل طريق وناحية كشوارع الطرق، سهلة الاصطياد[٣]، ولكنهم مُنِعُوا من الصَّيد ابتلاءً وامتحاناً من الله.

فخالفت طائفة أمر الله ونصبوا شباكهم يوم الجمعة، وأخذوا الحيتان يوم الأحد، وقالوا: ما اصطدنا يوم السبت، فكان هذا منهم اعتداء وتجاوز للنهي الإلهي.

وامتثلت طائفةٌ أمرَ الله ووقفت عند حدوده، ونصحوا الطائفة الواقعة وخوفتهم عذاب الله.

وطائفة لم تقع في هذا المنكر، ولم تنهَ الذين فعلوا المنكر، وقالوا

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٢٣٨).

(٢) قيل هي: أيلة، وقيل: مدين، وقيل: مقنا، ولم يأت نصٌّ في ذلك.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٥٠٩)، «النكت والعيون» (٢/ ٢٧٢).

للناصحين: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾؟ أي: لم تنهون هؤلاء، وقد علمتم أنهم هَلَكوا، واستحقُّوا العقوبة من الله؟ فلا فائدة في نهيكم إياهم.

فكان جوابهم: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أي: فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: ولعلَّهم بهذا الإنكار يتَّقون ما هم فيه ويتركونه، ويرجعون إلى الله تائبين، فإذا تابوا تابَ اللهُ عليهم ورحمهم.

فصاروا إلى ثلاث فرق: فرقة ارتكبت المحذور، فاحتالوا على اصطياد السَّمك يوم السَّبت، وفرقة نهتْ عن ذلكِ، وأنكرت واعتزلت، وفرقة سكتت فلم تفعل ولم تنه، واستنكرت الإنكار.

فانظر كيف كان المآل:

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ أي: فلمَّا أبى الفاعلون للمنكر قبول النصيحة ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ أي: أنجيناهم من العذاب، ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي: ارتكبوا المعصية ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ أي: أليم شديد.

فنصَّ على نجاة النَّاهين وهلاك الظَّالمين، وسكتَ عن السَّاكتين؛ لأنَّ الجزاء من جنس العمل، فهم لا يستحقُّون مدحًا فيمدحوا، ولا ارتكبوا عظيمًا فيذموا[(١)].

ومما يؤخذ من هذه الآية: أنَّ المنكر واقع بطبيعة البشر، وهو من

(١) اختلف العلماء: هل كانوا من الهالكين أو من الناجين؟ **ينظر**: «تفسير الطبري» (١٠/ ٥١٣)، «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٣٨٢)، «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٩٤)، و«فتح القدير» (٢/ ٢٩٢).

أمر الله الكوني، وشاهد ذلك قوله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»(١)، وإنَّما الشأن أنَّه إذا وقع المنكر فإنَّه يجب على المسلمين أن يتعاونوا على تغييره وإزالته قدر الإمكان، وهذا هو الأمر الشرعي المأمور به أهل الإسلام.

٣- قوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المَائدة: ٧٨-٧٩].

التناهي: تفاعل من النهي، أي: كانوا لا ينهى بعضهم بعضًا عن المنكرات، فجمعوا بين فعل المنكر، والتَّجاهر به، وبين عدم النَّهي عنه.

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ وهذا قَسَمٌ من الله تعالى ذكره، يقول: أقسم لبئس الفعل كانوا يفعلون في تركهم الانتهاء عن معاصي الله تعالى وركوب محارمه، فحلَّت عليهم لعنة الله بتركهم النهي عن المنكر، وكذا مَنْ بَعدهم يُذمُّ مَن فعل فعلهم(٢).

فلمَّا تركوا أَصحاب المنكر على منكرهم، ولم ينكروا عليهم؛ استحقوا هذا العذاب باللعن على لسان دواد وعيسى عليهما السلام.

قال أبو حيان رحمه الله: «﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٤٢).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٥٩١)، «تفسير القرطبي» (٦/ ٢٥٣)، «الهداية إلى بلوغ النهاية» (٣/ ١٩٠٥). قال الراغب رحمه الله: «وخصَّ تركهم النهي عن المنكر دون الأمر بالمعروف، لأنَّه أعظم الأمرين إثماً، وأوكدهما وجوباً، ففعل المعروف ليس بواجب على كل أحد، وترك المنكر واجب على كل حال». «تفسير الراغب الأصفهاني» (٢/ ٧٧٤).

ظاهره التَّفاعل، بمعنى الاشتراك، أي: لا ينهى بعضهم بعضًا، وذلك أنهم جمعوا بين فعل المنكر والتَّجاهر به، وعدم النهي عنه»[(١)].

والمعصية إذا فعلها العبد ينبغي أن يَستتر بها؛ كما قال ﷺ «**من ابتلي منكم بشيء من هذه القاذورات فليستتر**»[(٢)].

فإذا فُعلت جهارًا، وتواطأ الناس على عدم الإنكار؛ كان ذلك تحريضًا على فعلها، وسببًا لإفشائها وكثرتها.

أمَّا السنة النبوية: فهي مليئة بالنصوص الدالة على التأكيد على هذه الشعيرة العظيمة: ترغيبًا في القيام بها، وترهيبًا من تركها، وتبيانًا لأهميتها على الفرد والمجتمع.

قال ابن عبد البر رحمه الله: «والأحاديث عن النبي ﷺ في تأكيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جدًا»[(٣)].

وسيرة النبي ﷺ كلها دائرة بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فمن الأمر بالمعروف الذي دعا إليه ﷺ: توحيد الله جل وعلا، والإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج، وسائر الطاعات، والإحسان للخلق، والأمر بالاتباع، والائتلاف والجماعة، وطاعة ولاة الأمر.

ومن المنكر الذي نهى عنه ﷺ: الكفرُ بالله، والشرك به، والغلو،

(١) «البحر المحيط» (٤/ ٣٣٧).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١٥٠٦)، والحاكم في المستدرك (٧٦٨٣)، وغيرهما.

(٣) «التمهيد» (٢٣/ ٢٨٢)، وينظر: «تفسير القرطبي» (٥/ ٧٤)، «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٦١).



والابتداع، وسائر المعاصي والآثام، والتحذيرُ من التفرق والتحزب والخروج على ولاة الأمور.

وسأذكر هاهنا بعض الأحاديث التي تفي بالمقصود بإذن الله تعالى:

١- روى مسلمٌ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(١).

هذا الحديث من أعظمِ قواعد الإسلام، وهو أصل في صفة تغيير المنكر.

قال ابن الملقِّن رحمه الله «هذا الحديث يصلح أن يكون نصفَ علم الشريعة؛ لأنَّه إمَّا معروف يجب العمل به، أو منكر يجب النَّهي عنه»(٢).

وقد دلّ الحديث على وجوبِ إنكار المنكر بحسب القدرة عليه، وأنَّ المسلم إذا قام بما يجب عليه من الأمر بالمعروفِ والنهي عن المنكر، كما قام بغيره من الواجبات لم يضرهَّ ضلال من ضل. وذلك يكون تارة بالقلب، وتارة باللسان، وتارة باليد.

فأما القلبُ فيجب بكل حال، فيؤمن أنَّ هذا منكر، ويكرهه لأجل ذلك، فإذا فقد القلب معرفة هذا المنكر وإنكار المنكر ارتفع هذا الإيمان من القلب.

وليس المقصودُ أنَّ مَنْ لم ينكر لم يكن معه إيمان، وإنَّما المقصود أنَّ الإنكار بالقلب آخر حدود الإيمان، كما جاء في الحديث الآخر:

---

(١) مسلم (٤٩).

(٢) «المعين على تفهم الأربعين» (ص٣٩٣).

«ليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة خردل»[١].

«فعلم أن القلب إذا لم يكن فيه كراهة ما يكرهه الله؛ لم يكن فيه من الإيمان الذي يستحق به الثواب.

وقوله: **«من الإيمان»** أي: من هذا الإيمان، وهو الإيمان المطلق. أي: ليس وراء هذه الثلاث ما هو من الإيمان ولا قدر حبة خردل...، ليس مراده أنه من لم يفعل ذلك لم يبق معه من الإيمان شيء؛ بل لفظ الحديث إنما يدل على المعنى الأول»[٢].

فالمؤمن لا بد أن يحب الحسنات، ولا بد أن يبغض السيئات، ولا بد أن يسره فعل الحسنة، ويسوءه فعل السيئة سواء وقعت منه أو من غيره، فالله ﷻ امتنَّ على المؤمنين بحبِّ الإيمان، وبكره الكفر والفسوق والعصيان، فمن لم يكره هذه الثلاثة لم يكن منهم.

٢- روى البخاري من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعًا»**[٣].

أراد ﷺ بـ **«القائم على حدود الله»**: المُنكِر للمحرمات والنَّاهي

---

(١) أخرجه مسلم (٥٠).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٥٢)، وينظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ١٧٢)، «الاستقامة» (٢/ ٣٦)، «مجموع الفتاوى» (٧/ ٤٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٩٣).

عنها، فإنَّ الناس في المجتمع في مركب واحد، فإذا أُعلنت المعصية ولم يكن هناك من ينكرها بأحد المراتب السابقة في حديث أبي سعيد ﷺ استحقوا العقوبة، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نجاة الجميع.

وقوله: «**والواقع فيها**» أي: في الحدود، أي: التَّارك للمعروف المرتكب للمنكر.

وقوله: «**هلكوا جميعًا**» أي: كلهم، الذين سكنوا فوق، والذين سكنوا أسفل؛ لأنَّه بخرق السفينة تغرق السفينة، ويهلك أهلها.

وقوله: «**وإن أخذوا على أيديهم**» أي: وإن منعوهم من الخرق نجوا أي: الآخذون «**ونجوا جميعًا**» يعني: جميع مَن في السَّفينة.

ولو لم يذكر قوله: «**ونجوا جميعًا**»، لكانت النَّجاة اختصَّت بالآخذين فقط، وليس كذلك، بل كلُّهم نجوا لعدم الخرق.

وهكذا إذا أقيمت الحدود، وأُمر بالمعروف ونُهي عن المنكر تحصل النَّجاة للكلِّ، وإلا هَلَك العاصي بالمعصيةِ، وغيره بترك الإنكار عليه .

٣- أخرج أحمد عن قيس بن أبي حازم، قال: قام أبو بكر ﷺ، فحمد الله ﷻ، وأثنى عليه، فقال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المَائدة: ١٠٥]، إلى آخر الآية، وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**إن الناس إذا رأوا المنكر، لا يغيروه، أوشك الله أن يعمهم بعقابه**»[١].

(١) أخرجه أحمد (١٧)، وأبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢٣٠٧).

فليس للإنسان أن يقول: أفعل الخير والمعروف بنفسي، وليس عليَّ أن يضلَّ غيري، أو ألا يفعل الخير، أو أن يرتكب المنكر علانية.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبٌ على كلِّ مسلم على حسب ما تقتضيه حاله، والآية الكريمة لا تقتضي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا نهيًا ولا إذنًا، بل إنَّ من الاهتداء المقصود في الآية الكريمة: أنْ نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فالصِّدِّيق أنكر على مَنْ ظن أنها تسقط الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، لكن ذلك واجب بحسب الاستطاعة، قال أبو عبيد: خاف الصديق رضي الله عنه أن يتأوَّل النَّاس الآية على غير تأويلها فتدعوهم إلى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأعلمهم أنها ليست كذلك».(١)

فمما كُلِّف به المسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإذا فعله ولم يمتثل المُخاطب؛ فلا عَتب بعد ذلك على الآمر، لكونه أَدَّى ما عليه؛ فإنَّما عليه الأمر والنَّهي؛ لا القبول.

٤- روى الشيخان عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفِّرها الصلاة، والصوم والصدقة، والأمر والنهي**».(٢)

ومعنى الحديث: أنَّ الرجلَ مُبتلى ومختبَر في: أهله، وماله، وولده، وجاره.

(١) «بيان تلبيس الجهمية» (٨/ ٣١١).

(٢) البخاري (٥٢٥)، مسلم (١٤٤).



فإنَّ الرجل إذا قصَّر في الواجبات التي عليه نحو أهله وماله ونفسه وولده فإنه يستحقُّ المحاسبة والعقاب، ولكن تأتي الصلاة والصوم والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لتُكفِّرَ هذا التقصير، وهذا من باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هُود: ١١٤].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تخصيص الصلاة وما ذكر معها بالتكفير دون سائر العبادات فيه إشارة إلى تعظيم قدرها».[١] أي قدر الأعمال المذكورة في الحديث.

ونصوص السنة مليئة بالأحاديث القولية والفعلية الدالة على أهمية هذه الشعيرة، والترهيب من تركها، وممارسة النبي ﷺ لها قولاً وفعلاً، بل حياته كلَّها ﷺ أمر ونهي.



(١) «فتح الباري» (٦/ ٦٠٥).




المطلب الرابع

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السيرة النبوية

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص صفات النَّبي ﷺ التي وصف بها في الكتب المتقدمةِ، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعرَاف: ١٥٧].

وقد كانتُ حياة النبيُّ ﷺ عامرةً بالاحتساب في شتى المجالات، فحفظت لنا دواوين السنة أمره ﷺ بالمعروفِ ونهيه عن المنكر في أمور الاعتقاد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، والآداب، وغيرها، فحريٌّ بالمسلم أن يقتدي به ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزَاب: ٢١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله»(١).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحُجرَات: ١].

قال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحُجرَات: ١]، أصل في ترك التعرض لأقوال النبي ﷺ، وإيجاب اتباعه،

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٥٠).




والاقتداء به»(١).

وسأستعرض بعضًا من جوانب ارتباط هذه الشعيرة بحياته ﷺ:

١ - أخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم وفد عبد القيس على النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، إنَّ هذا الحي من ربيعة قد حالت بيننا وبينك كفار مضر، ولسنا نخلص إليك إلا في الشهر الحرام، فمرنا بشيء نأخذه عنك وندعو إليه مَن وراءنا، قال: «**آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: الإيمان بالله، وشهادة أن لا إله إلا الله** - وعقد بيده هكذا - **وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم، وأنهاكم عن: الدُّباء، والحنتم، والنقير، والمزفت**»(٢).

٢ - أخرج أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله، وشئت، فقال له النَّبي ﷺ: «**أجعلتني واللهَ عدلاً! بل ما شاء الله وحده**»(٣).

٣ - أخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه، أن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا سيدنا، وابن سيدنا، ويا خيرنا، وابن خيرنا، فقال النبي ﷺ: «**يا أيها الناس، قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمدُ بن**

---

(١) «أحكام القرآن» (٤/ ١٤٥).

(٢) البخاري (٥٢٣)، مسلم (١٧)، **الدباء**: الدباء: القرع، واحدها دباءة، كانوا ينتبذون فيها فتسرع الشدة في الشراب، **الحنتم**: جرار مدهونة خضر كانت تحمل الخمر فيها إلى المدينة، وإنما نهي عن الانتباذ فيها؛ لأنها تسرع الشدة فيها لأجل دهنها، **النقير**: أصل النخلة ينقر وسطه ثم ينبذ فيه التمر، ويلقى عليه الماء ليصير نبيذًا مسكرًا، والنهي واقع على ما يعمل فيه، لا على اتخاذ النقير، فيكون على حذف المضاف، تقديره: عن نبيذ النقير، وهو فعيل بمعنى مفعول، **المزفَّت**: هو الإناء الذي طلى بالزفت وهو نوع من القار، ثم انتبذ فيه .**ينظر**: «النهاية في غريب الحديث».

(٣) أحمد (١٨٣٩)، وأخرجه النسائي (١٠٧٥٨)، وزاد في أوله: «**ويلك**».



عبدالله، ورسولُ الله، واللهِ ما أحب أن ترفعوني فوق ما رفعني الله»[١].

٤ - أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ مرَّ وهو يطوف بالكعبة بإنسان ربط يده إلى إنسان بسير - أو بخيط، أو بشيء غير ذلك - فقطعه النبي ﷺ بيده، ثم قال: «**قده بيده**»[٢].

٥ - أخرج الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: «**ما هذا الحبل؟**» قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلَّقت، فقال النبي ﷺ: «**لا، حلُّوه، ليصلِّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد**»[٣].

٦ - أخرج الشيخان عن عبد الله بن عمرو، قال: تخلف عنَّا النبي ﷺ في سَفْرة سافرناها فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا، فنادى بأعلى صوته: «**ويل للأعقاب من النار**» مرتين أو ثلاثًا[٤].

٧ - أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجل، فصلى، فسلَّم على النبي ﷺ، فردَّ وقال: «**ارجع فصل، فإنك لم تصل**»، فرجع يصلِّي كما صلى، ثم جاء، فسلم على النبي ﷺ، فقال: «**ارجع فصل، فإنك لم تصل**» ثلاثًا، فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره، فعلمني، فقال: «**إذا**

---

(١) أحمد (١٣٥٢٩) والنسائي (١٠٠٠٠٦).

(٢) البخاري (١٦٢٠)، ونقل ابن حجر رحمه الله أن أهل الجاهلية كانوا يتقربون إلى الله بمثل هذا الفعل .ينظر: «فتح الباري» (٣/ ٤٨٢).

(٣) البخاري (١١٥٠)، ومسلم (٧٨٤).

(٤) البخاري (٦٠)، ومسلم (٢٤١).




قمت إلى الصَّلاة فكبِّر، ثم اقرأ ما تيسَّر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، وافعل ذلك في صلاتك كلها»[١].

٨ - أخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان الفضل رديف رسول الله ﷺ، فجاءت امرأة من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجعل النَّبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر[٢].

٩ - أخرج مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ مرَّ على صبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً فقال: «**ما هذا يا صاحب الطعام؟**» قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: «**أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني**»[٣].

١٠ - أخرج مسلم عن المسور بن مخرمة، قال: أقبلت بحَجرٍ أحمله ثقيل وعليَّ إزار خفيف، قال: فانحلَّ إزاري ومعي الحجر، لم أستطع أن أضعه حتى بلغت به إلى موضعه، فقال رسول الله ﷺ: «**ارجع إلى ثوبك فخذه، ولا تمشوا عراة**»[٤].

١١ - أخرج مسلم عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: «**كل بيمينك**»[٥].

---

(١) البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧).
(٢) البخاري (١٨٥٥)، مسلم (١٣٣٤).
(٣) مسلم (١٠٢).
(٤) مسلم (٣٤١).
(٥) مسلم (٢٠٢١).



١٢ - أخرج مسلم عن عبد الله بن عباس ﵄، أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل، فنزعه فطرحه، وقال: «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده**»(١).

١٣ - أخرج البخاري عن أنس بن مالك ﵁، قال: مرَّ النبي ﷺ بامرأة عند قبر وهي تبكي، فقال: «**اتقي الله واصبري**»(٢).

١٤ - أخرج الشيخان عن عائشة، ﵂، أن قريشًا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يُكلِّم رسول الله ﷺ، ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله ﷺ، فكلَّم رسول الله ﷺ، فقال: «**أتشفع في حد من حدود الله؟ !**» ثم قام فخطب، قال: «**يا أيها الناس، إنما ضلَّ من قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وايم الله، لو أن فاطمة بنت محمد ﷺ سرقت لقطع محمدٌ يدها**»(٣).

فهذه مواقف متعددة من حياته ﷺ، كان قائمًا فيها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.



(١) مسلم (٢٠٩٠).

(٢) البخاري (١٢٥٢).

(٣) البخاري (٦٧٨٨)، مسلم (١٦٨٨).




المطلب الخامس

الآثار الواردة عن السلف والعلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تواردت كلمات السَّلف الصالح من الصحابة فمن بعدهم على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والترغيب في فعله، والترهيب من تركه، ومن ذلك ما يلي:

١ - روى الطبري في تفسيره أن قتادة، قال: ذُكر لنا أنَّ عمرَ بنَ الخطاب ﷺ قال في حَجَّة حَجَّها ورأى من النَّاس رِعَةً سَيئةً، فقرأ هذه الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: ١١٠] الآية، ثم قالَ: «يا أيها الناس: مَنْ سَّره أن يكون مِنْ تلك الأمة، فليؤد شرط الله منها»[(١)].

٢ - روى المقدسي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: «الجهاد على أربع شعب: على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن، وشنآن الفاسقين. فمن أمر بالمعروف شدَّ ظهر المؤمن، ومن نهى عن المنكر أرغم الله أنف المنافق، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه، ومن شنأ الفاسقين وغضب لله غضب الله له»[(٢)].

---

(١) «تفسير الطبري» (٥/ ٦٧٢)، وَالرِّعَةُ: «مَا يَظْهَرُ مِنَ الخُلُق»، «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٦٤).

(٢) «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للإمام عبد الغني المقدسي (ص٦٨).

٣ - روى ابن أبي حاتم عن يحيى بن يعمر قال: خطب علي بن أبي طالب ﵁، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس! إنما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصي، ولم ينههم الربانيون والأحبار، فلما تمادوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار أخذتهم العقوبات، فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم، واعلموا أنَّ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر لا يقطع رزقًا ولا يقرب أجلاً»[1].

٤ - روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عبَّاس ﵄ فِي قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسۡنًا﴾ [البَقَرَة: ٨٣]، قال: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[2].

٥ - قال حذيفة ﵁: «والله لتأمرنَّ بالمعروف، ولَتَنْهوُنَّ عن المُنكر أو ليسلطنَّ الله عزَّ وجلَّ شراركم على خياركم فيقتلونهم، ولا يَبقى أَحد يأمر بالمعروف ولا ينهى عن منكر، ثم لتدعن الله ﷻ فليمقتنكم فلا يستجيب لكم»[3].

٦ - قال حذيفة ﵁: «الإسلام ثمانية أسهم: الصلاة سهم، والزكاة سهم، والصوم سهم، والحج سهم، والعمرة سهم، والجهاد سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم، وقد خاب من لا سهم له في الإسلام»[4].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٤٥).
(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ١٦١).
(٣) «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للإمام عبد الغني المقدسي (ص٦١).
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١٩٥٦١)، وعبد الرزاق (٥٠١١)، وقد روي مرفوعًا، ولكن الموقوف أصح. ينظر: «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٠٠)، «المطالب العالية» (٣/ ٢٦٥).



٧ - قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ: «إن الله عزَّ وجلَّ لا يعذب العامة بعمل الخاصة، فإذا المعاصي ظهرت فلم تغير أخذت العامة والخاصة».[(١)]

٨ - قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: «اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد منها»[(٢)].

٩ - قال أبو بكر الجصاص رَحِمَهُ اللهُ: «أكد الله تعالى فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواضع من كتابه الكريم وبينه رسول الله ﷺ في أخبار متواترة، واجمع السلف وفقهاء الأمصار رَحِمَهُمُ اللهُ على وجوبه»[(٣)]

١٠ - قال ابن الإخوة رَحِمَهُ اللهُ: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين»[(٤)].

١١ - قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «قد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو أيضًا من النصيحة التي هي من الدين»[(٥)].

١٢ - وقال رَحِمَهُ اللهُ: «والثواب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أكثر منه في التسبيح والتهليل؛ لأنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

---

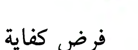
(١) «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للإمام عبد الغني المقدسي (ص٢٢).

(٢) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ١٣٢).

(٣) «أحكام القرآن» (٤/ ١٥٤).

(٤) «معالم القربة في طلب الحسبة» (ص١٥)، وهي من كلام الغزالي في إحياء علوم الدين (٢/ ٣٠٦).

(٥) «شرح صحيح مسلم» (٢/ ٢٢).



فرض كفاية وقد يتعيَّن، ولا يتصوَّر وقوعه نفلاً، والتسبيح والتحميد والتهليل نوافل، ومعلوم أنَّ أجر الفرض أكثر من أجر النَّوافل»(١).

١٣ - قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من أوجب الأعمال وأفضلها وأحسنها»(٢).

١٤ - قال ابن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أعظم منافع الإسلام، وآكد قواعد الأديان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتناصح، فهذا أشق ما تحمَّله المكلف؛ لأنه مقام الرسل، حيث يثقل صاحبه على الطباع، وتنفر منه نفوس أهل اللذات، ويمقته أهل الخلاعة، وهو إحياء للسنن، وإماتة للبدع»(٣).

١٥ - قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [هو] الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، ووصف به هذه الأمة، وفضَّلها لأجله على سائر الأمم التي أخرجت للنَّاس»(٤).

١٦ - وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن تأمَّل أحوال الرسل مع أممهم: وجدهم كانوا قائمين بالإنكار عليهم أشد القيام. حتى لقوا الله تعالى، وأوصوا من آمن بهم بالإنكار على من خالفهم وأخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّ المتخلِّص من مقامات الإنكار الثلاثةِ ليس معه من الإيمان حبَّةُ خردل، وبالغ في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر أشدَّ المبالغة، حتى قال: «**إن الناس إذا تركوه: أوشك أن يعمهم الله**

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (٢/ ٩٢).
(٢) «الاستقامة» (٢/ ٢٢٦).
(٣) «الفروع» (٣/ ١٨٠).
(٤) «الطرق الحكمية» (ص١٩٩).



بعقاب من عنده»، وأخبر أنَّ تركه: يوقع المخالفةَ بين القلوب والوجوه، ويُحِلُّ لعنةَ الله، كما لعن اللهُ بني إسرائيل على تركه»[١].

١٧ - قال ابن رجب رحمه الله: «واعلَمْ أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارةً يحملُ عليه رجاءَ ثوابه، وتارة خوف العقاب في تركه، وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه، وتارة النَّصيحة للمؤمنين، والرحمة لهم، ورجاء إنقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التَّعرض لغضب الله وعقوبته في الدنيا والآخرة، وتارة يحملُ عليه إجلال الله وإعظامه ومحبته»[٢].

١٨ - قال الشوكاني رحمه الله: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم واجبات الشريعة المطهرة وأصل عظيم من أصولها، وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها»[٣].

١٩ - قال جمال الدين القاسمي رحمه الله: «على أنَّ النَّهي عن المنكر لا يسقط، ولو عَلم المُنكِر عدمَ الفائدة فيه. إذ ليس من شرطه حصول الامتثال منه (أي من فاعل المنكر). ولو لم يكن فيه إلا القيام بركن عظيم من أركان الدين، والغيرة على حدودِ الله، والاعتذار إليه تعالى-إذا تشدد في تركه- لكفاه فائدة»[٤].

٢٠ - قال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله: «فلو قدِّر أنَّ رجلاً يصوم النهار ويقوم الليل ويزهد في الدنيا كلها، وهو مع هذا لا يغضب، ولا

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ١٩٩).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٥٥).

(٣) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ١٣٢).

(٤) «محاسن التأويل» (٥/ ٢١٣).

يتمعَّر وجهه، ولا يحمرُّ لله، فلا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، فهذا الرجل من أبغض النَّاس عند الله، وأقلُّهم دينًا»[(١)].

٢١ - قال شيخنا ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الواجبات، ومن فرائض الإسلام، ولأن القيام بذلك من أهل العلم والإيمان والبصيرة من أعظم الأسباب في صلاح المجتمع، وسلامته من عقاب الله سبحانه، واستقامته على الصراط المستقيم»[(٢)].



(١) «الدرر السنية» (٨/ ٧٨).

(٢) «فتاوى نور على الدرب» (١٨/ ٣١٦).




المطلب السادس
حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب بنص القرآن الكريم، وصريح السنة النبوية، وإجماع الأمة.

واختلف أهلُ العلم في هذا الوجوب أهو كفائي أم عيني؟

١ - فذهب جمهور أهل العلم أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب كفائي إذا قام من يكفي سقط عن الباقين[(١)].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب على كل أحد بعينه، بل هو على الكفاية، كما دلَّ عليه القرآن...، فإذا لم يقم به من يقوم بواجبه أثم كلُّ قادر بحسب قدرته، إذْ هو واجب على كلِّ إنسان بحسب قدرته»[(٢)].

فلا بدَّ أن تقوم طائفة من أمة محمد ﷺ في كلِّ عصرٍ ومصرٍ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما تَظهرُ معه هذه الشعيرة العظيمة، بحيث إنَّ الذي يرتكب المنكر، والذي يترك الأمر الواجبَ يجدُ من يأمره بالمعروف، ومَن يفعل المحرم يجدُ من ينهاه عن المنكر، وإلا وجب

---

(١) «تفسير القرطبي» (٤/ ١٦٥)، «شرح صحيح مسلم» (٢/ ٣٢)، «الحسبة» لابن تيمية (٧٨)، «أعلام الموقعين» (١/ ٢٦٦)، «فتح الباري» (١٣/ ٥٣)، «غذاء الألباب» (١/ ١٧٠)، «الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص٣٢)، «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٥/ ٥٥٥)، «فتاوى نور على الدرب» لشيخنا ابن باز (١٨/ ٣٠٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٢٦).

الأمرُ على الجميعِ، وتعلَّق في ذمَّة الجميع.

واستدلوا لذلك بما يلي:

١ - قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٤].

وجه الدلالة: أنَّ (من) في قوله تعالى: ﴿مِنكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٢٢] للتبعيض، فيجزئ قيام بعض الأمة عنها[(١)].

٢ - قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحَجّ: ٤١].

وجه الدلالة: أنَّ هذا التمكين هو لبعضِ الأمة لا كلها، ومن صفاتهم أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وهم بعض الأمة.

٢- وذهبَ بعضُ أهل العلم إلى أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وجوبًا عينيًا، وممن قال بذلك: ابنُ حزم، وابنُ كثير، وابنُ مفلح وابن رجب[(٢)].

واستدلوا بما يلي:

١ - قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٤].

وجه الدلالة: أنَّ (مِن) في قوله تعالى: ﴿مِنكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٢٢] بيانية: أي لتكونوا جميعًا آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر.

(١) «أحكام القرآن» للجصاص (٢/ ٢٩)، «إحياء علوم الدين» (٧/ ٥).

(٢) ينظر: «المحلى» (١/ ٤٦)، «تفسير ابن كثير» (٢/ ٩١)، «الآداب الشرعية» (١/ ١٥٥) «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٤٥).



والصحيح: أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبٌ على الكفاية لعموم الأمة، إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، ويكون واجبًا وجوباً عينياً في حالات معينه، ومنها:

١ - إذا كلَّفه وليُّ الأمر؛ كرجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهؤلاء أَنابهم وليُّ الأمر في إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وجعل لهم رَزْقًا من بيت مال المسلمين، وفُرِّغوا لهذه المهمَّة العظيمة؛ فالواجب عليهم أن يَأمروا بالمعروف بمعروف وأن ينهوا عن المنكر بلا منكر، بمقتضى ما أمرت الشريعة، وبمقتضى ما فوَّضهم ولي الأمر من صلاحيات أنابهم فيها عنه في إقامة هذه الشعيرة العظيمة.

٢ - من له ولايةٌ على أحدٍ كالأب على أولاده، والزَّوج مع زوجته بإنكار المنكر الذي يظهر له منهم ولا يعلم به أحد سواه؛ فيجب عليه وجوبًا عينيًا أن يُغيِّر هذا المنكر ويؤدي واجبه الذي أوجبه الله عليه.

٣ - إذا كان المنكر قائمًا في مكان لا يعلمه إلا هو، فيجب عليه إنكاره بما يقدر عليه بشرطه.

قال النووي ﵀: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف، ثم إنه قد يتعين؛ كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو، أو لا يتمكن من إزالته إلا هو، وكمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر أو تقصير في المعروف»[١].

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (٢/ ٢٣)، وينظر: «الحسبة» لشيخ الإسلام (ص١١).




المطلب السابع
آداب وصفات الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر

لمَّا كانت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهذه المنزلة في الدِّين؛ اشترط أهل العلم لمن يقوم بهذه الفريضة شروطًا، وذكروا له آدابًا وصفات ينبغي أن يتحلَّى بها[(١)].

ذكر الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أوصافًا للعَالِم تصلح أن تكون للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن يأمن شره من خالطه، ويأمل خيره من صاحبه، لا يؤاخذ بالعثرات، ولا يشيع الذنوب عن غيره، ولا يقطع بالبلاغات، ولا يفشي سِرَّ من عاداه، ولا ينتصر منه بغير حق، ويعفو ويصفح عنه، ذليل للحق، عزيز عن الباطل، كاظم للغيظ عمن آذاه، سليم القلب للعباد من الغلِّ والحسد، يغلب على قلبه حسن الظن بالمؤمنين في كل ما أمكن فيه العذر، لا يحب زوال النعم عن أحد من العباد، يُداري جهل من عامله برفقه، لا يتوقع له بائقة، ولا يُخاف منه غائلة»[(٢)].

قال أبو بكر الخلال: «أخبرنا أبو بكر المروذي، قال: قرأت على أبي عبد الله بن الربيع الصوفي قال: دخلت على سفيان[(٣)] بالبصرة،

---

(١) سيكون الحديث مقتصرًا على أبرز الآداب والصفات، أمَّا تفصيل ذلك فليس مقصودًا لنا في هذه الرسالة، كما أنَّ شروط الأمر بالمعروف مثل: الإسلام، والتكليف، والاستطاعة، ليست مما أدرنا حيالها البحث.

(٢) «أخلاق العلماء» (ص٦٤) بتصرف.

(٣) هو الإمام سفيان الثوري.



فقلت: يا أبا عبد الله، إني أكون مع هؤلاء المحتسبة فندخل على هؤلاء الخبيثين، ونتسلق على الحيطان؟ قال: أليس لهم أبواب؟ قلت: بلى، ولكن ندخل عليهم لكيلا يفروا، فأنكر ذلك إنكارًا شديدًا، وعاب فعالنا، فقال رجل: من أدخل ذا؟ قلت: إنما دخلت إلى الطبيب لأخبره بدائي، فانتفض سفيان وقال: «إنما أهلكنا أنَّا نَحن سَقمى ونُسمى أطباء! ثم قال: لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر، عدل بما ينهى، عالم بما يأمر، عالم بما ينهى»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «أن يقوم بالأمر والنهي على الوجه المشروع من العلم والرفق والصبر وحسن القصد وسلوك السبيل القصد»[(٢)].

وقال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلا ينبغي أن يسند الأمر بالمعروف إسنادًا مطلقًا، إلا لمن جمع بين العلم والحكمة والصبر على أذى الناس؛ لأنَّ الأمر بالمعروف وظيفة الرسل وأتباعهم، وهو مستلزم للأذى من الناس؛ لأنهم مجبولون بالطَّبع على معاداة من يتعرض لهم في أهوائهم الفاسدة، وأغراضهم الباطلة»[(٣)].

وقال شيخنا ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) يكون بالحكمة، يكون بالعلم، لا بالجهل، ولا بالعنف والشدة، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر عن علم وعن بصيرة بما أمر الله به وما نهى

---

(١) «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص٢٤).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٤٨٢).

(٣) «أضواء البيان» (٢/ ٢٠٦).

الله عنه، سواءً كان رجلاً أو امرأة، لا بد أن يكون على علم وإلا فليمسك، حتى لا يأمر بالمنكر أو ينهى عن المعروف»(١).

وأرى أن الآداب والصفات التي ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر التحلي بها هي: العلم، والعدل، والرفق والحلم، والحكمة، والصبر، والقدوة الحسنة.

١- العلم:

العلم: نقيض الجهل، وهو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا.

والعلم شرط أساس في الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر، ولا يستقيم عمل الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر إلا بالبصيرة والمعرفة التامة؛ فيكون عالمًا بما يأمر، عالمًا بما ينهى؛ لأنَّ أمر الناس بالمعروف لا يكون إلا عن علم، فكيف تعرف أنَّ هذا من المعروف الذي أمر الله عزَّ وجلَّ به، أو من المنكر الذي نهى الله عنه إلا بالعلم؟.

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يجوز أن يدعو إلى الخير إلا من علمه، ولا يمكن أن يأمر بالمعروف إلا من عرفه، ولا يقدر على إنكار المنكر إلا من يميزه»(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا بدَّ من العلم بالمعروف والمنكر، والتمييز بينهما»(٣).

(١) «فتاوى نور على الدرب» (٢/ ٢٠٦).
(٢) «الإحكام في أصول الأحكام» (١٨/ ٣١٧).
(٣) «الاستقامة» (٢/ ٢٣٠)، وينظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٤٥).



وقال ﷺ: «والله سبحانه قد أمرنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمر بالشيء مسبوق بمعرفته، فمن لا يعلم المعروف لا يمكنه الأمر به، والنهي عن المنكر مسبوق بمعرفته، فمن لا يعلمه لا يمكنه النهي عنه»[١].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي ﷺ: «وكذلك أمره لعباده أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، ويتوقف ذلك على العلم بالمعروف والمنكر ليأمروا بهذا، وينهَوْا عن هذا»[٢].

فلا يأمرُ الإنسان بجهلٍ، وإنما يأمر عن علم أنه من المعروف الذي أمر الله به.

٢- العدل:

العدل: ضد الجور، وهو الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط.

قال ابن حزم رحمه: «حدُّ العدل: أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه، وحدُّ الجور: أن تأخذه ولا تعطيه»[٣].

وقد حثَّ الله ﷻ على العدل، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النّحل: ٩٠]، وقال سبحانه: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحُجرَات: ٩].

وأخرج مسلم عن جابر بن عبد الله ﷺ، أنَّ رسول الله ﷺ، قال:

---

(١) «بيان تلبيس الجهمية» (٨/ ٣١٠)، وينظر: «أضواء البيان» (٢/ ٢٠٦).
(٢) «مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي» (٣/ ٣٥٦)
(٣) «الأخلاق والسير» (ص١٠٦).

«اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»[١].

قال ابن القيم رحمه الله: «إن الله أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي به قامت السماوات والأرض»[٢].

فالعدل من أعظم صفات الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فليس فيهم ظلم للعباد، ولا اعتداء عليهم، ولا سيما من كانت معه صلاحية وسُلْطَة، لا يظلم غيره من إخوانه المسلمين، بل يكون بهم رحيمًا، فهذه الشريعة العظيمة رحمةٌ بالخلق.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر رَحمةٌ بالخلق، والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر رحيم بالخلق، يريد لهم الخير كما يريده لنفسه، ويحذِّرهم من الشر كما يحذره هو.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - في معرض حديثه عن الفوائد المستنبطة من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥] «ألا يعتدي على أهل المعاصي بزيادة على المشروع في بغضهم أو ذمهم أو نهيهم أو هجرهم أو عقوبتهم؛ بل يقال لمن اعتدى عليهم عليك نفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ [المائدة: ٢] الآية، وقال: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وقال: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا

(١) مسلم (٢٥٧٨).
(٢) «أعلام الموقعين» (٥/ ٤٠٧).



عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٩٣]، فإن كثيرًا من الآمرين الناهين قد يتعدى حدود الله؛ إما بجهل، وإما بظلم، وهذا باب يجب التثبت فيه، وسواء في ذلك الإنكار على الكفار والمنافقين والفاسقين والعاصين»[(١)].

ولذلك لا بد من العدلِ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يبغي ولا يظلم ولا يحتقر غيره لأنَّه خالف أمر الله ﷻ، بل يأمره بالعدل.

ويعلم أن ارتكاب هذا المخالف لهذه المخالفة بمعصية الله ﷻ لا يجعل الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر مستحلاً حق أخيه بأذيَّته، أو بالاعتداء عليه، أو بالتَّشهير به في المجالس وفي المنتديات وفي المجامع: فلان بن فلان وجدناه يفعل كذا ويفعل كذا.

هذا من أعظم المحرمات، فليس للإنسان أن يُشَهِّر بالمخالفين، بل الواجب الستر، والنصيحة، والعدل معهم.

وتأمل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على الحديث الذي أخرجه أحمد عن علي ابن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[(٢)].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا سيما كثرة الفضول فيما ليس بالمرء إليه حاجة من أمر دين غيره ودنياه لا سيما إن كان التكلم لحسد أو رئاسة. وكذلك العمل فصاحبه إما معتد ظالم، وإما سفيه عابث، وما أكثر ما يصور الشيطان ذلك بصورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ويكون من باب الظلم والعدوان»[(٣)].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٤٨١).
(٢) أخرجه أحمد (١٧٣٧)، والترمذي (٢٣١٨).
(٣) «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٤٨٢).

٣- الرفق:

الرِّفق: هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف.

الرفق خلُق عظيم من أخلاق الإسلام التي حثَّ الله ﷻ عليها في كتابه، ونبيه محمد ﷺ في سنته القولية، وامتثل هذا الخلق في سيرته الفعلية.

قـال الله ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩].

وأخرج الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله رفيق، يحب الرفق في الأمر كله**»(١).

وهو الرفيق يحب أهل الرفق بل يعطيهم بالرفق فوق أماني(٢)

قال ابن رجب رحمه الله: «قال أحمد: الناس محتاجون إلى مداراة ورفق الأمر بالمعروف بلا غلظة إلا رجلاً معلنًا بالفسق، فلا حرمة له، قال: وكان أصحاب ابن مسعود إذا مروا بقوم يرون منهم ما يكرهون، يقولون مهلاً رحمكم الله، مهلاً رحمكم الله»(٣).

والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يجب أن يكون رفيقًا بما يأمر، رفيقًا بما ينهى، لأنَّ مقصده استصلاح الناس، وعدم ظهور المنكرات التي تغضب الله وتستجلب سخط الله ﷻ، ويكون ذلك بالرفق.

---

(١) البخاري (٦٩٢٧)، مسلم (٢١٦٥).

(٢) البيت من نونية ابن القيم رقم (٣٣٠٣).

(٣) «جامع العلوم والحكم» (٢/٢٥٦).

والله ﷻ أمر رسوله ﷺ بذلك ونهاه عن ضده قال -سبحانه-: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩].

ومن أعظم صفات محمد ﷺ أنه رفيق بأمته، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التّوبَة: ١٢٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «الرفق سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».(١)

فالرحمة بالخلق والرفق بهم مما جاءت به الشريعة، فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أيًا كان ممن فوَّضهم ولي الأمر، أو الأب في بيته، أو المسلم عندما يرى من المنكر ما يُفعل، أو يَرى من الواجبات ما يُترك أن يكون ذلك بالرفق واللين؛ لأن ذلك أدعى لقبول دعوته وأمره ونهيه.

قال شيخنا ابن باز ﷺ: «فالواجب على المسلمين، ولا سيما العلماء، والأمراء والأعيان أن يأمروا بالمعروف، وأن ينهوا عن المنكر، وهكذا يجب على النساء، ولا سيما من لها أمر ولها قدرة، فإن هذا متعين على الجميع، تأمر أهل بيتها، تأمر بناتها، خدمها، تأمر أخواتها، تأمر من ترى يقع منه منكر، تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، حتى تأمر الرجال، كما أن الرجل يأمر المرأة بالمعروف، وينهاها عن المنكر، كذلك المرأة تأمر الرجل؛ زوجها وأخاها وابنها وغيرهم، تأمرهم بالمعروف، وتنهاهم عن المنكر، هذا واجب على الجميع، لكن بالكلام

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٨/ ١٣٦)، وينظر: (١٥/ ١٦٧).

الطيب، والأسلوب الحسن، الذي يرغب في الحق، ويسبب قبوله، ولا ينبغي الشدة في هذا؛ لأنها قد تنفر من قبول الحق، يقول الله ﷻ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [العَنكبوت: ٤٦]، وهم اليهود والنصارى، ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العَنكبوت: ٤٦]، يعني إلا من ظلم، فله جواب آخر، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩]، فالآمر والناهي يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر بالأسلوب الحسن، والكلمات المناسبة، التي تدعو إلى قبول الحق، وترغب في الخضوع للاستجابة»(١).

وقال الشيخ محمد العثيمين ﵀: «ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون رفيقاً بأمره في نهيه؛ لأنه إذا كان رفيقاً أعطاه الله سبحانه وتعالى ما لا يعطي على العنف، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف**».

ثم إنه ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يقصد بذلك إصلاح الخلق وإقامة شرع الله، لا أن يقصد الانتقام من العاصي، أو الانتصار لنفسه، فإنه إذا نوى هذه النية لم ينزل الله البركة في أمره ولا نهيه؛ بل يكون كالطبيب يريد معالجة الناس ودفع البلاء عنهم، فينوى بأمره ونهيه أولاً: إقامة شرع الله، وثانياً: إصلاح عباد الله، حتى يكون مصلحاً وصالحاً»(٢).

---

(١) «فتاوى نور على الدرب» (١٨/ ٣٣٠)، وينظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٧/ ٤١٨).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٢/ ٤٠٥) بتصرف، والحديث أخرجه مسلم (٢٥٩٣).



مرَّ رجل على صلة بن أشيم قد أسبل إزاره، فَهمَّ أصحابه أن يأخذوه بألسنتهم أخذًا شديدًا فقال صلة: دعوه أكفكم أمره. فقال له: يا ابن أخي إليك حاجة. قال: وما حاجتك؟ قال: أحب أن ترفع من إزارك. قال: نعم ونعمة عين، فرفع إزاره، فقال صلة لأصحابه: كان هذا أمثل مما أردتم، لو شتمتموه وآذيتموه شتمكم[١].

فحسن الخلق هو أصل باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأساسه.

٣- الحكمة

الحكمة: وضع الشيء في موضعه الموافق للغايات المحمودة منه.

إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقوم على قواعد شرعية كليَّة، مرجعها إلى قاعدة المفاسد والمصالح، وتقديم المصلحة وتغليبها على المفسدة.

وتتفاوت رتب الأمر والإنكار بتفاوت رتب المأمور به والمنهي عنه، فقد يكون الآمر عالمًا بالمنكر لكنَّه يفتقد الحكمة التي تجعله يوازن بين الأمور؛ بحيث يترك الأمر إذا تبين له أن المفسدة المترتبة على الإنكارِ أعظم، فإنه لا يجوز إنكار المنكر بما هو أنكر منه.

فإنكار المنكر على أربع درجات:

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده.

---

(١) ينظر: «الطبقات الكبرى» (٧/ ٩٧)، «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» لابن أبي الدنيا (ص٩٠). وصلة بن الأشيم ترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤٩٧)، وقال: «الزاهد، العابد، القدوة، أبو الصهباء العدوي».

الثانية: أن يقل وإن لم يَزُل بجملته.

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه.

فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضعُ اجتهاد، والرابعة محرمة[١].

وذلك أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنَّما شُرع لتحقيق ما يحبُّه اللهُ ورسولُه، فإذا ترتَّب على ذلك ما هو أنكر مِنه وأبغضُ إلى الشَّارع فإنَّه لا يسوغُ إنكاره[٢]؛ وترك الإنكار لا يعني إقرار المنكر، بل تبقى منزلة الإنكار بالقلب.

قال عباس العنبري: «كنت مارًا مع أبي عبد الله[٣] بالبصرة، قال فسمعت رجلاً يقول لرجل:

يا ابن الزاني، **قال**: فقال له الآخر: يا ابن الزاني .**قال**: فوقفت ومضى أبو عبد الله، فالتفت إليَّ **فقال**: يا أبا الفضل أيُّ شيء قال؟ **قلت**: قد سمعنا، قد وجب علينا. **قال**: امض ليس هذا من ذلك»[٤].

---

(١) «أعلام الموقعين» (٣/ ٤٣١)، وينظر: «الفتاوى» (١٤/ ٤٧٢)، «المستدرك على الفتاوى» (٣/ ٢٠٣)، «منهاج السنة» (٤/ ٥٣٦)، «مفاتيح الغيب» للرازي (١٣/ ١١٠).

(٢) ومن ذلك ما يفعله كثير من الجهلة وخوارج هذا العصر من الخروج على الحكَّام بالقول والفعل، فيحدث بسبب فعلهم من عظائم الأمور ما هو أشد وأعظم من منكرات الحاكم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لا يجوز إنكار المنكر بما هو أنكر منه؛ ولهذا حرم الخروج على ولاة الأمر بالسيف؛ لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن ما يحصل بذلك من فعل المحرمات وترك (الواجبات) أعظم مما يحصل بفعلهم المنكر والذنوب». «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٤٧٢).

(٣) يعني: الإمام أحمد رحمه الله.

(٤) «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للخلال (ص٣٧).



والحكمة في ترك الإنكار عليهما واضحة لسفاهتهما واشتداد غضبهما، وخشية وقوع ما هو أكبر من ذلك منهما.

وقد ترجم عليه الخلالُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «باب ما يوسع على الرجل في ترك الأمر والنهي إذا رأى قومًا سفهاء».

ومردُّ ذلك أن النَّظر في مآلات الأفعال والأقوال معتبرٌ مقصودٌ شرعًا، فلا يقدم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

٤- الصبر والحلم:

الصبر: نقيض الجزع، **وحقيقته**: حبس النفس عن الجزع والشكوى لغير الله.

والحلم: الأناة والتعقل، وهو ضبط النفس عن هيجان الغضب(١).

يحتاج الآمرُ بالمعروف والناهي عن المنكر إلى الصَّبر في أمره ونهيه، لأنها وظيفة الأنبياء والرسل.

فسيجد من يشقُّ عليه، ويرهقه، لأنَّ ملاقاة النَّاس وأمرهم ونهيهم فيه مشقَّة عظيمة، ولكنَّه إذا علم أنَّ هذه وظيفة الأنبياء والمرسلين وأنه بهم مقتدٍ هان عليه ما يواجهه من صعوبات.

أخرج الشيخان عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبيَّ ﷺ قال: «**عُرضتْ عليَّ الأُمم، فَجعلَ يَمُرُّ النَّبيُّ معه الرَّجل، والنَّبيُّ معه الرَّجلان، والنَّبيُّ معه الرهط، والنَّبيُّ ليس معه أحد**»(٢).

---

(١) ينظر: «فتح الباري» (١٠/٤٤٩)، «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٢٥٣).

(٢) البخاري (٥٧٥٢)، مسلم (٣٧٤).

فهؤلاء أنبياء اختارهم الله واصطفاهم لهذه المهمة العظيمة وأيدهم بالوحي، ومع ذلك يأتون يوم القيامة وليس مع بعضهم إلا الرهط، والبعض ليس معه إلا الرَّجل، والبعض ليس معه أحد؛ صلوات الله وسلامه عليهم وعلى نبينا محمد.

فإذا أدرك الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر هذا ازداد صبره وعظم، وتحمل في سبيل هذه العبادة ما يواجهه.

ومما يدخل في الصبر: ترك الجزع عند رؤية المنكرات، وهذا يفارق الغضب لرؤية المنكرات وانتشارها.

قال ابن تيمية ﷺ: «وكثير من الناس إذا رأى المنكر أو تغير كثير من أحوال الإسلام جزع وكلَّ وناح كما ينوح أهل المصائب وهو منهي عن هذا؛ بل هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين الإسلام وأن يؤمن بالله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأن العاقبة للتقوى»[(١)].

وهذا من دقيق فقهه ﷺ، فهذا النائح يحتاج إلى من ينكر عليه فعله، فإنَّ هذا الفعل ليس من دين الله، الذي أمر بالصبر وعدم الجزع، وأن يعلم أنَّ العبد مأمور بإنكار المنكرات بالطريقة الشرعية، وهذا من أمر الله الشرعي، ولا يكون متسخطًا على أمر الله القدري، وإنما يرد أمر الله الكوني بأمره الشرعي.

فكل احتساب فارق الصبر فليس من هدي محمد ﷺ، فإنَّ الطيش والعجلة خصلتان مذمومتان، لا يرتجى من صاحبهما القبول في أمره ونهيه.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٢٩٥).

والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يحتاج مع الصبر إلى حلمٍ، وبعد عن تأجيج المواقف، أو تصعيدها، فإنَّ مفارقةَ هذين الخلقين مفسدة للأمر والنهي.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ «من أَمر ولم يصبر، أَو صبر ولم يأْمر، أو لم يأْمر ولم يصبر حصل من هذه الأقسام الثَّلاثة مفسدة، وإنَّما الصَّلاح في أنْ يأمر ويصبر».[1]

فلا بدَّ للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون حليمًا صبورًا على الأذى؛ فإنه لا بد أن يحصل له أذى، فإنَّ المشقَّة في عبادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تنفكُّ عنها غالبًا، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح، كما قال لقمان لابنه: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

فالصَّبر على أذى الخلق عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنْ لم يُستعمل؛ لزم أحدَ أمرين: إمَّا تعطيل الأمر والنهي، وإمَّا حصول فتنة ومفسدة أعظم من مفسدة ترك الأمر والنهي أو مثلها أو قريب منها، وكلاهما معصية وفساد[2].

٥- القدوة الحسنة:

القدوة: هي اتباع الغير على الحالة التي يكون عليها حسنة أو قبيحة.

---

(١) «المستدرك على الفتاوى» (٣/ ٢٠٦).

(٢) ينظر: «الاستقامة» (٢/ ٢٣١)، «المستدرك على الفتاوى» (٣/ ٢٠٦)، «قواعد الأحكام» للعز بن عبد السلام (٢/ ١٣).

وإنَّ من أهم صفات الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون من الممتثلين للمعروف ومن المنتهين عن المنكر، فإنَّ القول بيانٌ، والفعل شاهدٌ له ومصدق.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصَّف: ٢-٣].

وقال تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البَقَرَة: ٤٤].

وأخرج الشيخان من حديث أسامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»**.(١)

فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر قدوة وأسوة، ولا بد أن يكون أول ما يأمر وينهى نفسه، يأمرها بالمعروف وينهاها عن المنكر، يصلح حال نفسه ويتقي ربه؛ فإنَّ ذلك من أعظم أسباب قبول دعوته ونجاته في الدنيا والآخرة.

لا تَلُمِ الـمَرْءَ عـلـى فِـعْـلِـه   وأنـتَ مَـنْـسـوبٌ إلـى مِـثْـلِـهِ

---

(١) «البخاري» (٣٢٦٧)، و«مسلم» (٢٩٨٩)، قال الشنقيطي رحمه الله: «اعلم أن التحقيق أن هذا الوعيد الشديد، ليس على الأمر بالمعروف، وإنما هو على ارتكابه المنكر عالمًا بذلك، ينصح الناس عنه، فالحقُّ أن الأمر بالمعروف غير ساقط عن صالح ولا طالح، والوعيد على المعصية لا على الأمر بالمعروف؛ لأنه في حد ذاته ليس فيه إلا الخير». «أضواء البيان» (٢/ ٢٠٥).



مَــنْ ذَمَّ شَــيْـئًـا وَأَتَــى مِــثْــلَــه فَــإِنَّــمَــا يُــزْرِيْ عَــلَــى عَــقْــلِــهِ[١]

قال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ المفتي إذا أمر - مثلاً - بالصمت عما لا يعني؛ فإن كان صامتًا عما لا يعني ففتواه صادقة، وإن كان من الخائضين فيما لا يعني فهي غير صادقة، وإذا دلَّك على الزهد في الدنيا وهو زاهد فيها صدقت فتياه، وإن كان راغبًا في الدنيا فهي كاذبة، وإن دلَّك على المحافظة على الصلاة وكان محافظًا عليها صدقت فتياه، وإلا فلا.

وعلى هذا الترتيب سائر أحكام الشريعة في الأوامر، ومثلها النواهي؛ فإذا نهى عن النظر إلى الأجنبيات من النساءِ، وكان في نفسه منتهيًا عنها صدقت فتياه، أو نهى عن الكذبِ وهو صادق اللسان، أو عن الزنى وهو لا يزني، أو عن التفحش وهو لا يتفحش، أو عن مخالطةِ الأشرار وهو لا يخالطهم، وما أشبه ذلك؛ فهو الصادقُ الفتيا؛ لأن علامةَ صدق القول مطابقة الفعل، بل هو الصدق في الحقيقة عند العلماء.

وحسبُ الناظر من ذلك سيد البشر ﷺ، حيث كانت أفعاله مع أقواله على الوفاق والتمام، وفي القرآن عن شعيب عليه السلام: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ٨٩]، وقوله: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هُود: ٨٨]»[٢].

---

(١) البيتان أنشدهما ثعلب، ينظر: «شعب الإيمان» للبيهقي (٩/ ١٢٧)، وثعلب: هو العلامة، المحدث، إمام النحو، أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولاهم، البغدادي، ثقة حجة، ديِّن صالح، مشهور بالحفظ، توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين. «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٥).

(٢) «الموافقات» (٥/ ٢٦٩) بتصرف، وينظر: (٤/ ٨٥).

وليس من شرط الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر ألا يقع في معصية:

مَــنْ ذَا الَّــذِي مَــا سَــاءَ قَــطْ وَمَــنْ لَــهُ الْــحُــسْــنَــى فَــقَــطْ؟!

بل عليه الأمر وإن كان مُخِلًّا بما يأمر به، والنهي وإن كان مُتلبسًا بما ينهى عنه، فعليه أن يأمر نفسه وينهاها، ويأمر غيره وينهاه، فإذا أخلَّ بأحدهما فلا يجوز له الإخلال بالأمر الآخر، كيف يباح له الإخلال بالآخر؟!

ولعله في أمره لغيره حملٌ لنفسه أن تتوب وتقلع، وأن يحملها على الخير، ويحذِّرها من الشر، فأبواب الخير الذي يأمر الناس بها يأتيها وأبواب الشر التي يحذِّر منها يجتنبها، وهذا من أعظم صفات أهل التقوى أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦- الستر على العاصي مالم يكن خطرُه متعديًا، أو مجاهرًا:

والسترُ هو إخفاءُ العيب وعدمُ إظهاره. وهو مقصد من مقاصد الشارع الحكيم، الذي يتشوَّف إلى ستر المعاصي والآثام، وعدمِ ظهورها وإعلانها، وما ذلك إلا أنَّ المعصية إذا استتر بها لم تضر إلا صاحبها، أمَّا إذا أُعلنت فإنَّ الأمَر يتعلق بمصلحةِ الجماعة، فلا بدَّ من إنكارها وفق الجهد والطرق الشرعية التي سبق بيانها.

قال ابن حجر ﵀: «والشرع مُحرِّض على الستر»[(١)].

أخرج مسلم عن أبي هريرة ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «من

---

(١) «فتح الباري» (٩/ ٣٤٠).




ستر مسلما، ستره الله في الدنيا والآخرة»[١].

وأرشد الشارع الحكيم من ابتُلي بشيء من هذه القاذورات أن يستتر بستر الله[٢]، وحذر من هتك ستر الله عليه، فإنَّ الذنوب الخاصة بين العباد وربِّهم، لم نؤمر بتتبعها ولا بملاحقتها ولا بالتجسس عليها، بل نهى الشارع الحكيم عن ذلك.

قال الشاطبي رحمه الله: «وأمرنا بالستر على المذنبين ما لم يبد لنا صفحة الخلاف...، وقد قالت طائفة: إن من الحكمة في تأخير هذه الأمة عن سائر الأمم أن تكون ذنوبهم مستورة عن غيرهم، فلا يطلع عليها كما اطلعوا هم على ذنوب غيرهم ممن سلف.

وللستر حكمة أيضًا، وهي أنها لو أظهرت -مع أن أصحابها من الأمة- لكان في ذلك داع إلى الفرقة والوحشة، وعدم الألفة التي أمر الله بها ورسوله»[٣].

والله الغفور قد فتح باب التوبة لعباده، وأسدل عليهم ستره بما فَرَضَ عليهم من أحكام، وشرع لهم الاستغفار حتى لا يلجئهم إلى الإقرارِ، وبذلك يجد العاقلُ فسحةً ومندوحة عن الاعتراف، فيقي نفسه شر عقوبة هو في غنى عنها، وليس مضطرًا إليها.

جاء ماعز الأسلمي رضي الله عنه - لما وقع فيما وقع فيه من الفاحشة - إلى هَزَّال الأسلمي رضي الله عنه فأخبره بما حدث منه، فقال له هَزَّال: اذهب

---

(١) مسلم (٢٦٩٩).

(٢) أخرج مالك (٢٣٨٦)، والبيهقي (١٧٥٧٤) أن رسول الله ﷺ قال: «**من أصاب من هذه القاذورات شيئًا، فليستتر بستر الله**».

(٣) «الموافقات» (٥/ ١٥٢).

إلى رسول الله ﷺ وأخبره[١].

فذهب ماعز رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فأخبره بما وقع منه من الزنى، فأقام النَّبي ﷺ عليه الحدَّ في قصَّة مشهورة، والشاهد من إيرادها أن رسول الله ﷺ لَمَّا بلَغه أنَّ هَزَّالاً نصح ماعزًا أن يأتي رسول الله ﷺ فيعترف أمامه، قال له النبي ﷺ: «**ويحك يا هزَّال ألا رحمته!**»[٢]، وفي رواية: «**ويلك يا هزال لو سترته بثوبك كان خيرًا لك**».[٣]

هكذا جاءت السنة بأن يُستَر على من تاب بينه وبين ربِّه لا يُهتَك الستر، بل يُعان التائبُ على توبته والمستتر على ستره.

يقول أبو الوفاء بن عقيل رحمه الله: «يعزُ عليَّ - والله - بأقوام التزموا لله سبحانه ما أسقطه عنهم، وفتحوا على نفوسهم طُرقًا سَدَّها عنهم، وأبواباً أغلقها دونهم، والشريعة من ذلك مملوءة، وهم عنها غُفَّل!

الرجل يقول «**زنيت**»[٤]، وصاحبُ الشرع يَلتفتُ عنه[٥]، ولما كلَّمه

---

(١) أخرج ابن أبي شيبة (٢٨٧٧٨) عن سعيد بن المسيب: أن ماعز بن مالك، أتى أبا بكر فأخبره أنه زنى، فقال له أبو بكر: «استتر بستر الله، وتب إلى الله، فإنَّ الناس يُغيِّرون ولا يُعيِّرون، والله يقبل التوبة عن عباده»، فلم تقر نفسه، حتى أتى عمر فذكر مثل ما ذكر لأبي بكر، فقال له عمر مثل ما قال له أبو بكر.
وقال أبو بكر رضي الله عنه: «لو لم أجد للسارق، والزاني، وشارب الخمر إلا ثوبي؛ لأحببت أن أستره عليه». أخرجه عبد الرزاق (١٨٩٣١).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦٩٣٤).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٢٣٧٦)، وأحمد في المسند (٢١٨٩١).

(٤) يعني: ماعز الأسلمي رضي الله عنه.

(٥) أخرج البخاري (٧١٦٧)، ومسلم (١٦٩١) من حديث عن أبي هريرة، أنه قال: أتى رجل من المسلمين رسول الله ﷺ وهو في المسجد، فناداه، فقال: يا رسول الله، إني زنيت، فأعرض عنه، فتنحى تلقاء وجهه، فقال له: يا رسول الله، إني زنيت، فأعرض عنه، حتى ثنى ذلك عليه أربع مرات، فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه رسول الله ﷺ، فقال: «**أبك جنون؟**».



عرَّض له بالرجوع عن التَّصميم: «**لعلك قبلت؟**»[(١)] وقد سَمِعْتني: «**العينان تزنيان**»[(٢)]، «**أبك خبَل؟**»، «**استنكهوه**»[(٣)]. كُلُّ ذلك دفعٌ عن تحقيق الإقرار، وهَرَبَ مِنْ وقع الأحجار، والحقُّ لله قد ثبت، قال: «**هلا تركتموه**»[(٤)]، فما زال يَدفع الإقرار بِجهده، وهو المستناب لله في استيفاء حقه... ويقول للمُقر: «**ما إخالك سرقت**»[(٥)]، مع كون السرقة تَتَضمَّن حقَّين: حقَّ الله وحقَّ الآدمي، «**أسرقت؟ قل لا**»[(٦)]، «**تعافوا الحدود فيما**

---

(١) أخرج البخاري (٦٨٢٤) عن ابن عباس ﵄، قال: لما أتى ماعز بن مالك النبي ﷺ قال له: «**لعلك قبلت، أو غمزت، أو نظرت**».

(٢) أخرج أحمد عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قال: «**لكل بني آدم حظ من الزنا، فالعينان تزنيان وزناهما النظر، واليدان تزنيان وزناهما البطش، والرجلان تزنيان وزناهما المشي، والفم يزني وزناه القبل، والقلب يهوى ويتمنى، والفرج يصدق ذلك، أو يكذبه**». وهو في البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧) بلفظ مقارب.

(٣) الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٨٤٣).

(٤) أخرج أحمد (٢١٨٩٠)، والترمذي (١٤٢٨)، وأبو داود (٤٤١٩)، والنسائي (٧١٦٧) في قصة رجم ماعز ﵁: فلقيه عبد الله بن أنيس، وقد عجز أصحابه، فنزع له بوظيف بعير فرماه به، فقتله، ثم أتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فقال: «**هلا تركتموه**».

(٥) أخرج أحمد (٢٢٥٠٨)، وأبو داود (٤٣٨٠)، والنسائي (٧٣٢٢) عن أبي أمية المخزومي: أن رسول الله ﷺ أتي بلص، فاعترف اعترافًا، ولم يوجد معه متاع فقال له رسول الله ﷺ: «**ما إخالك سرقت؟**»، قال: بلى مرتين أو ثلاثًا. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**اقطعوه، ثم جيئوا به**». قال: فقطعوه، ثم جاءوا به فقال له رسول الله ﷺ: «**قل: أستغفر الله وأتوب إليه**». قال: أستغفر الله وأتوب إليه. فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم تب عليه**».

(٦) قال ابن حجر ﵀: «ولم أره عن النبي ﷺ، ولا عن أبي بكر؛ إلا أنَّ في مصنف عبد الرزاق عن ابن جريج قال: سمعت عطاء يقول: كان من مضى يؤتى إليهم بالسارق، فيقول: أسرقت؟ قل: لا، وسمَّى أبا بكر، وعمر. وعن معمر، عن ابن طاوس، عن عكرمة بن خالد قال: أتى عمر بن الخطاب برجل فسأله أسرقت؟ قل: لا، فقال: لا. فتركه. وروى ابن أبي شيبة من طريق أبي المتوكل: أن أبا هريرة أتى بسارق وهو يومئذ أمير، فقال: أسرقت؟ قل: لا، مرتين أو ثلاثة. وفي جامع سفيان، عن حماد، عن إبراهيم قال: أتى أبو مسعود الأنصاري بامرأة سرقت جملاً، فقال: أسرقت؟ قولي: لا». «التلخيص الحبير» (٤/ ١٢٦).

قال الخطابي ﵀: «وقد روي تلقين السارق عن جماعة من الصحابة، وأتي عمر بن الخطاب =

بينكم»[١]، «**هلا سترته بثوبك**»[٢]...

فالشرع يتغاضى عن حقوقه، وأنتم تَتَبَّعون النَّاس تتبُّع أصحاب الأخبار! قد كفى المكلف ما وُكل به من الرَّقيب والعتيد، ما قَنَعْتم أَنتم بما وضع، وقد رأيتم تغاضيه عن حقوقه حتى جعلتم نفوسكم حفظة له، تُراكم لا تخافون أن يفضحكم في قعر بيوتكم على أقبح ذنوبكم؟

صاحب الحق يعفو، وأنت بسوء طبعك تكشف وتجفو!

صاحب الشرع يقول - على علم منه ببواطن الأحوال - «**من أتى شيئًا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله**»[٣]، تراه يريد: فليستتر عن الله بستره، أو عنكم؟ فإذا استتر الجاني عنك امتثالاً لأمري، وكشفت أنت، كانت جريمتك في الكشف على أخيك المسلم أكبر من جريمته، حيث امتثل بسترها أمر الشارع.

يا جاهل! أنا صاحب الحق وقد سترت.

فيا فضولي! فما بالك، فيما ليس لك بحثت وكشفت، احذر المقابلة مني بكشف، وأنت بين مصدق لك ومكذب، فإن مقابلتي كشفك بحيث لا تقبل معذرتك، ولا يصدق جحدك.

نعوذ بالله من التعبد بالجهل، أنت تعتقد أنك منكر وأنت غير المنكر، حيث تطفلت بما لم تكلفه، بل بما نهيت.

= رضي الله عنه برجل فسأله أسرقت؟ قل: لا، قال: فقال: لا، فتركه ولم يقطعه. وروي مثل ذلك عن أبي الدرداء وأبي هريرة رضي الله عنهما. وكان أحمد وإسحاق لا يريان بأسا بتلقين السارق إذا أتي به، وكذلك قال أبو ثور: إذا كان السارق امرأة أو مصعوقًا» «معالم السنن» (٣/ ٣٠١).

(١) أخرج أبو داود (٤٣٧٦)، والنسائي (٧٣٣١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ قال: «**تعافوا الحدود فيما بينكم، فما بلغني من حد فقد وجب**».

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.



لا توقرني في الخلوة، وتتعاصب لي على غيرك مع توقيه منك بأكثف ستر»[١].

ومما ينبغي ملاحظته: أنَّ الستر لا يتناول:

١ - من كان منكره يُلحق الضرر بالمجتمع عامة ولو استتر به، فكل مَن أراد إلحاق الضرر بالمجتمع من خلال عمل ما، فإنه لا يجوز ستره؛ كأصحاب الأفكار الضَّالة الذين يخطِّطون لتدمير العباد والبلاد بمخططات تفجير وتدمير، وإفساد للشباب والفتيات، فهؤلاء ينبغي تتبعهم والبحث عنهم، وهذا مما جاءت به الشريعة لقطع دابِرهم لأن شرَّهم متعدٍّ، وضررهم يفتك بالعباد والبلاد، وكذلك من يروِّج الشرَّ والضرر بالمسلمين كمروِّجي المخدرات والمسكرات، والداعين إلى الرَّذيلة، فهؤلاء يُتتبَّعون لقطع شرهم وضررهم عن العباد والبلاد.

٢ - المجاهر بالمنكر اعتيادًا عليه واستخفافًا بجرمه، الذي لو ستر عليه لم يزده إلا طغيانًا وفسادًا وإفسادًا للمجتمع بإظهار معصيته.



(١) «الفنون» (٢/ ٦٨٣).




المطلب الثامن

الشروط الواجب توافرها في المنكر للقيام بإنكاره

من المتقرر أنَّ المنكر لا تُقِرُّه الشريعة بأيٍّ حال من الأحوال[١]، ولكن يشترط للمُنكر الذي يصحُّ النهي عنه عليه شروط، وهي:

١- التحقق من كونه منكرًا بدليل شرعي، ولا يتم ذلك إلا بالعلمِ الشرعي بما يأمر به وما ينهى عنه وفق الدليل الشرعي.

فما كان من الأفعالِ متفقاً على وجوبه أو تحريمه أنكره، وما كان من المسائل المختلف فيها لدليل ضعيف فيجري فيها الخلاف، أمَّا إذا كانت المسألة مبنية على الاجتهاد المحض فلا إنكار فيها على الصحيح، وإنما فيه الإرشاد[٢].

قال الشيخ محمد العثيمين ﵀: «لابد أن يكون منكراً واضحاً يتفق عليه الجميع، أي المُنكِر والمُنكَر عليه، أو يكون مخالفةُ المُنكَر عليه مَبنية على قول ضعيفٍ لا وجه له، أمَّا إذا كان من مسائل الاجتهادِ فإنه لا ينكره»[٣].

ومن المهم التأكيدُ على أنَّ المسائلَ الكبار في الأمَّة لا يتصدَّى لها إلا أولو العلم الراسخون، ومثلها المسائل المشكلة، كما قال ابن مفلح

---

(١) ينظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٣٢-١٢٨).

(٢) «بيان الدليل» (ص٢١٠)، «الفتاوى الكبرى» (٦/ ٩٦)، «المستدرك على مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٠٥)، «روضة الطالبين» للنووي (١٠/ ٢٢٠).

(٣) شرح الأربعين النووية» (ص٣٣٤).

رَحِمَهُ اللهُ: «ما اختص علمه بالعلماء اختص إنكاره بهم»[١].

٢- أن يكون ظاهرًا من غير تجسس؛ وهو البحث بوسيلة خفية عن معايب الناس وأسرارهم التي لا يرضون بإفشائها، أو اطلاع الغير عليها.

فكل من ستر معصيته في داره وأغلق بابه، واستتر بستر الله، فلا يجوز التجسس عليه، أو الدخول عليه لتعرف معصيته.

قال ابن عبد القوي رَحِمَهُ اللهُ في منظومة الآداب الشرعية:

وَيَحْرُمُ تَجْسِيسٌ عَلَى مُتَسَتِّرٍ   بِفِسْقٍ وَمَاضِي الْفِسْقِ إنْ لَمْ يُجْدَدِ

فيحرم على كل مسلم مكلف البحث عن عيوب الناس وتتبع أخبارهم الناس، وهو منهي عنه سواء كان في البحث عن عيوبهم، أو ليطلع على أخبارهم ما دام متسترًا، بخلاف المعلن بالفسق، ويحرم التجسيس على أمور الفسق التي وقعت في زمن مضى، فلا يبحث عن تلك الأفعال وقد سترها الله جَلَّ جَلَالُهُ على عبده؛ لأن ذلك إشاعة للمنكر بما لا فائدة فيه ما لم يعد إليه مجاهرًا به[٢].

قال الإمام أحمد «ما غاب فلا تُفتِّش»[٣].

فالمنكرات الظاهرة يجب إنكارها، بخلاف الباطنة التي تقتصر عقوبتها على صاحبها.

---

(١) «الآداب الشرعية» (١/ ١٨٥).

(٢) ينظر: «غذاء الألباب» (٢/ ٢٢٦).

(٣) روى الخلال أنَّ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ سُئِل عن الرَّجل يَسْمع حِسَّ الطَّبل والمزمار ولا يعرف مكانه، فقال: وما عليك؟ وقال: ما غاب فلا تفتِّش. «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص٧٠).

فإنَّ المقصودَ بالأمر بالمعروف: المعروفُ الذي ظهرَ تركه، والمقصودَ بالنهي عن المنكر: المنكرُ الذي ظَهرَ فعله.

كما أنَّ مما ينبغي التنبيه عليه أنَّ الأصل في المسلم السلامة من الإثم، فلا ينتقل عن هذا الأصل إلى غيره بالتجسس والتحسس[(١)]، بل يستحب ظنُّ الخير بالمسلم، فليس للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتنصت على المسلمين، أو يتجسس عليهم، أو يتتبع عوراتهم، أو يلاحقهم، بل الأصل سلامة المسلمين، والتجسس من آثار الظن؛ لأن الظن يبعث عليه حين تدعو الظان نفسه إلى تحقيق ما ظنه سرًا، وهو ضرب من الكيد والتطلع على العورات.

قال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد تُستر قارورةُ الخمر وظروفُه في الكمِّ وتحت الذيل، فإذا رؤي فاسق وتحت ذيله شيء؛ لم يجز أن يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصةٍ، فإن فسقه لا يدل على أن الذي معه خمر، إذ الفاسق محتاج أيضًا إلى الخل وغيره، فلا يجوز أن يستدل بإخفائه، وأنه لو كان خلّاً لما أخفاه؛ لأن الأغراض في الإخفاء مما تكثر... وليس له أن يقول: أرني لأعلم ما فيه، فإنَّ هذا تجسس، ومعنى التجسس: طلب الأمارات المعرِّفة، فالأمارة المعرِّفة إن حصلت وأورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها، وأمَّا طلب الأمارة المعرِّفة فلا رخصة فيه أصلاً»[(٢)].

أخرج عبد الرزاق عن المِسْوَر بن مَخرَمة، أنَّ عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حرس ليلة مع عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالمدينة، فبينما هم يمشون

---

(١) ينظر للفرق بين التجسس والتحسس: «فتح الباري» (١٠/ ٤٨٢).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٥٩٩) بتصرف.

شَبَّ لهم سراج في بيت فانطلقوا يَؤُمُّونه، حتى إذا دنوا منه؛ إذا باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة، فقال عمر ﵁ وأخذ بيد عبد الرحمن: أتدري بيت من هذا؟ قال: لا، قال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شَرْبٌ، فما ترى؟ فقال عبد الرحمن: أرى قد أتينا ما نهى الله عنه، نهانا الله ﷻ فقال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحُجرَات: ١٢]، فقد تجسسنا، فانصرف عمر عنهم وتركهم[(١)].

هذا هو حال السلف في عدم تتبّع العورات والتجسس، وإنَّما يُؤخَذ الإنسان بما ظَهر منه.

وعلى هذا فليس لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يتجسَّس على المسلمين، أو أن يذهب ينظرَ فيما لم يَظهر له من حال المسلمين فيتتبع العورات والسقطات.

أخرج أبو داود عن معاوية ﵁، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم، أو كدت أن تفسدهم**»، فقال أبو الدرداء ﵁: كلمة سمعها معاوية من رسول الله نفعه الله تعالى بها[(٢)].

٣ - أن يكون المنكر قائمًا في الحال، أي لا يزال فاعله متلبساً بالفعل ولم يفرغ منه، وفي هذا الشرط احتراز من المنكر الذي فُرغ منه، فهذا لا إنكار فيه، ولكن ينصحه إن لم يحدث توبة منه.

٤ - القدرة، بأن يكون لديه القدرة والسلطة على التغيير سواء باليد

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٨٩٤٣)، والحاكم (٨١٣٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٦٢٥).

(٢) أبو دواد (٤٨٨٠).

أو اللسان، وذلك أنَّ الله لا يكلف المسلم إلا ما يستطيعه ويقدر عليه لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦].

وقوله ﷺ: «**وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»[١].

وهو داخل تحت القواعد العامة في هذا الأمر، مثل: (التكليف بحسب الوسع)، و(لا تكليف إلا بمقدور).

وفي المسألة نصٌّ خاصٌّ هو قوله ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه**»[٢].

فهذا دليلٌ على أنَّ تغيير المنكر باليد أو اللسان مشروط فيه القدرة، أما الإنكار القلبي فهو متعين على كل مسلم، ولا يعذر أحد بتركه، فلا يشترط له القدرة بل لا يتصور ذلك بحال.

قال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإجماع منعقد على أن النهي عن المنكر واجب لمن أطاقه، ونهى بمعروف، وأمن الضرر على نفسه وعلى المسلمين، فإن تعذر على أحد النهي لشيء من هذه الوجه ففرض عليه الإنكار بقلبه، وأن لا يخالط ذا المنكر»[٣].



(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) «المحرر الوجيز» (٣/ ٥٩٠).




المطلب التاسع

قواعد وضوابط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١]

سبق ذكر عدد من القواعد والضوابط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مرَّ من حديث.

وقد ارتأيت أن أضيف إليها نظائرها؛ ليُعلم أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائم على أصول علمية قررها أهل العلم ﷺ.

١ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كغيره من مُهِمَّات الدِّين، وأصوله العظيمة، فيحتاج في القيام فيه إلى إخلاصٍ وصبرٍ ومتابعةٍ[٢].

٢ - ما من مكلف إلا ويجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إما بيده، أو بلسانه، أو بقلبه[٣].

٣ - المُنكرات الظَّاهرة يجبُ إِنْكارها، بخلاف البَاطنة فإنَّ عُقوبتها على صاحبها خاصَّة[٤].

٤ - لا يجوزُ إنكارُ المُنْكر بمباشرة فعلٍ محرمٍ شرعاً إلا لِمُعارض[٥].

---

(١) اجتمع لدي قرابة السبعين من هذه القواعد والضوابط، وقد بدأتُ بشرحها، وصدرت المجموعة الأولى منها بعنوان: «الثمر المستطاب في شرح قواعد الاحتساب».

(٢) «فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم» (٦/ ١٧٣).

(٣) «مفاتيح الغيب» للرازي (٨/ ٣١٤).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٠٥).

(٥) «شرح الإلمام بأحاديث الأحكام» (٢/ ٢١٧).

٥ - إنكارُ المُنكرِ غَيرُ تَغيير المُنكر[١].

٦ - «**أَقِيلُوا ذَوِيْ الهَيْئَاتِ عَثَرَاتُهم**»[٢].

٧ - الغضبُ لله لا يعني الجَورَ، وتجاوز الحد الشَّرعي في إنكار المنكر[٣].

٨ - قيد الرسول التَّغيير، ولم يُقَيِّد الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر[٤].

٩ - باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتسع جًّدا ومن طلب العلم لله فهَّمه الله تعالى[٥].

١٠ - المنكر لا تُقِرُّه الشريعة بأيِّ حال من الأحوال، فلابدَّ من تغييره، ولكنْ تغييره على مراتب[٦].

١١ - إذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - كما قام بغيره من الواجبات - لم يَضُرَّه ضلالُ الضَّال وذلك يكون تارة بالقلب، وتارة باللسان، وتارة باليد[٧].

---

(١) «لقاءات الباب المفتوح» (٩ / ٥٣٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٤٧٤) وأبو داود (٤٣٧٥)، **قال الإمام الشافعي** رحمه الله: «ذوو الهيئات الذين تقال عثراتهم: الذين ليسوا يعرفون بالشرِّ فيزلَّ أحدُهم الزلَّة فيغفرُ له؛ إلا أن يكون حدًا من حدود الله -عز وجل- ويبلغ الإمام، فلا يجوز أن يدعه؛ ولا ينبغي لأحد أن يشفع فيه» «الشافي في شرح مسند الشافعي» (٥/ ٣٣٩).

(٣) قال شيخ الإسلام «ومن لم يعدل في خصومه ومنازعيه ويعذرهم بالخطأ في الاجتهاد بل ابتدع بدعة وعادى من خالفه فيها أو كفره فإنه هو ظلم نفسه. وأهل السنة والعلم والإيمان يعلمون الحق ويرحمون الخلق». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٩٦).

(٤) «شرح السفارينية» لابن عثيمين (ص٧٠٩).

(٥) «الاستذكار» لابن عبدالبر (٨/ ٥٤٠).

(٦) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٣٢-١٢٨). (٧) «الاستقامة» لابن تيمية (٢/ ٢١٢).




١٢ - الأمر بالمعروف تابع للمأمور به، إن كان واجبًا فواجب، وإن كان ندبًا فندب[(١)].

١٣ - ليس لأحدٍ أنْ يُزيل المُنكر بما هو أنكر منه[(٢)].

١٤ - «**إنَّ فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة**»، وضدُّهم الطَّيش والعَجَلة[(٣)].

١٥ - كل احتساب فارق الحلم والصَّبر فليس من هدي محمد ﷺ[(٤)].

١٦ - يجب الوقوف في الإنكار على قدر الحاجة[(٥)].

١٧ - النَّظر في مآلات الأفعال والأقوال معتبر مقصود شرعًا[(٦)].

١٨ - المسائل المجمع عليها محلُّ إنكار، ولا إنكار في مسائل الاجتهاد، ويجري الإنكار في مسائل الخلاف[(٧)].

١٩ - أعراف كلِّ بلد معتبرة ما لم تخالف الشرع[(٨)].

٢٠ - يحرم سوء الظَّن بمسلم ظاهره العدالة، ويستحب ظن الخير بالمسلم[(٩)].

---

(١) «التحبير لإيضاح معاني التيسير» للصنعاني (١/ ٣٢٦)، «الكشَّاف» للزمخشري (١/ ٢٩٧)، «قواعد الأحكام» (١/ ١٦٦)، «المنثور في القواعد» للزركشي (٣/ ٣٦).

(٢) «المستدرك على الفتاوى» (٣/ ٢٠٣)، «منهاج السنة» (٤/ ٥٣٦).

(٣) «زاد المعاد» (٥/ ٢٠٥)، وحديث: «**إنَّ فيك خصلتين...**» أخرجه مسلم (١٧).

(٤) **ينظر**: «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٣٦)، «الاستقامة» (٢/ ٢٣١).

(٥) **ينظر**: «الآداب الشرعية» (١/ ١٧٤).

(٦) «الموافقات» (٥/ ١٧٧).

(٧) «بيان الدليل» (ص٢١٠)، «الفتاوى الكبرى» (٦/ ٩٦)، «المستدرك على مجموع الفتاوى» ٣/ ٢٠٥، «روضة الطالبين» للنووي (١٠/ ٢٢٠).

(٨) «الموافقات» (٢/ ٤٨٨).

(٩) «الروض المربع» (ص١٨٠)



الفصل الثاني

أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق الأمن للمجتمع

وتحته المطالب التالية:

المطلب الأول: تعريف الأمن.

المطلب الثاني: الضرورات الخمس.

المطلب الثالث: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ الدين.

المطلب الرابع: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ النفس.

المطلب الخامس: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ النسل.

المطلب السادس: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ العقل.

المطلب السابع: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ المال.



المطلب الأول
المقصود بالأمن

الأمن في لغة العرب: ضد الخوف[(١)]، وهو يتعلق بالمستقبل، فلا يخاف الإنسان إلا مما سيأتي.

وعرَّفه الجرجاني رحمه الله بقوله: «عدم توقع مكروه في الزمان الآت»[(٢)].

وأصدق تعريف للأمن هو قوله تعالى في امتنانه على قريش: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قُرَيش: ٣-٤].

والخوف بالمفهوم الحديث يعني: التهديد الشامل، سواء الاقتصادي أو الاجتماعي، أو الغذائي، أو السياسي؛ الداخلي منه والخارجي.

وتأمل قوله تعالى عن قريش أيضًا: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ﴾ [العَنكبوت: ٦٧].

قال ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى مُمتنًا على قريش فيما أحلهم من حرمه، الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والبادي، ومن دخله كان آمنًا، فهم في أمن عظيم، والأعراب حوله ينهب بعضهم بعضًا ويقتل

(١) «الصحاح» (٥/ ٢٠٧١).

(٢) «التعريفات» (ص٣٧).

بعضهم بعضًا، كما قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾ [قُريش: ١-٤]»[١].

وإذا ذُكر الأمن ذُكر الاستقرار والاطمئنان للإنسان في حياته، فهو آمن في وطنه، مطمئنٌ على قوته وقوت عياله، وهو ما أشار إليه النبيُّ ﷺ في الحديث الذي أخرجه الترمذي عن عبيد الله بن محصن الخطمي، عن أبيه، وكانت له صحبة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه؛ فكأنما حيزت له الدنيا**»[٢].

فالأمن إحساس بالطمأنينة التي يشعر به الفرد، سواء بسبب غياب الأخطار التي تهدد وجوده، أو نتيجة لامتلاكه الوسائل الكفيلة بمواجهة تلك الأخطار حال ظهورها

وللأمن أهمية كبرى تتمثل أنَّه بدونه لا يمكن للإنسان أن يطمئن على نفسه ومعاشه وأرزاقه، وهو ضروري لازدهار الدول وتنميتها.

وقد حدَّد الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ست قواعد تصلح بها الدنيا، وقال في الرابعة: «أمن عام تطمئن إليه النفوس وتنتشر فيه الهمم، ويسكن إليه البريء، ويأنس به الضعيف. فليس لخائف راحة، ولا لحاذر طمأنينة. وقد قال بعض الحكماء، الأمن أهنأ عيش، والعدل أقوى جيش»[٣].

والأمنُ في المصطلح الحديث يُعنى بالنظر إلى كل مجال من

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٩٥).

(٢) الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١).

(٣) «أدب الدنيا والدين» (ص١٤٢).

مجالات الحياة في الدولة المستقرَّة، فلم يعد الأمن بصورته النمطية التقليدية المتمثل بحماية الحدود والثغور، وأمن الناس على أنفسهم وأموالهم فقط، بل توسَّع ليشمل: الأمن الاجتماعي، والأمن الغذائي، والأمن الصناعي، والأمن المائي، والأمن السياسي، والأمن الدبلوماسي، والأمن السياحي، والأمن التعليمي، والأمن البيئي، والأمن الصحي.

وهذا التفريع للأمن هو مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية الخاتمة، وتُحقِّقه بحفظ الضروريات الخمس وهي: الدِّين، والنفس، والنَّسل، والمال، والعقل.

قال الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ: «اتفقت الأمة -بل سائر الملل- على أنَّ الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس - وهي: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل- وعلمها عند الأمة كالضروري»(١).

إنَّ الأمن للفرد وللمجتمع وللدولة من أهم ما تقوم عليه الحياة؛ إذ به يطمئن الناس على دينهم، وأنفسهم، وأموالهم، وأعراضهم، ويتجه تفكيرهم إلى ما يرفع شأن مجتمعهم وينهض بأمتهم.



(١) «الموافقات» (١/ ٣١).



المطلب الثاني
الضرورات الخمس

ذكرنا أنَّ الضرورات الخمس هي: الدِّين، والنَّفس، والنَّسل، والمال، والعقل، وقد نظمها بعضهم فقال:

قد أجمع الأنبياء والرسل قاطبة   على الدِّيانة بالتوحيد في الملل
وحفظ نفس، ومال، معهما نسب   وحفظ عقل، وعرض غير مبتذل

وهذه الضرورات لم تَخْلُ من رعايتها مِلَّة من الملل ولا شريعةٌ من الشَّرائع، وإنَّ الحفاظ على هذه الضروريات من أهم مقاصد دين الإسلام، وأجلِّ حِكمه، فلا بُدَّ منها لقيام مصالح الدِّين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج، وفوت الحياة[1].

فكل ما يتضمن رعاية هذه الضرورات الخمس فهو مصلحة، وكل ما يفوتها فهو مفسدة يجب دفعة، بل جعل الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ الكبائر منحصرة بما يخلُّ بهذه الضروريات، فقال: «الكبائر منحصرة في الإخلال بالضروريات المعتبرة في كل ملة، وهي: الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال»[2].

---

(١) ينظر: «الموافقات» (٢/ ١٨).

(٢) «الاعتصام» (٢/ ٣٨٩)، وينظر: «الموافقات» (١/ ٣٣٨)، (٢/ ٣٤٣).

والمحافظة على هذه الضرورات الخمس يكون عن طريقين:

الأول: فعل ما به قيامها وثباتها، وهو ما يعرف بالطريق الوجودي.

الثاني: ترك ما به تنعدم، وحمايتها من كل ما يخل بها، وهو ما يعرف بالطريق العدمي(١).

وهذه الضرورات بينها قاسمٌ مشترك وهو الأمن:

فلن يستطيع المرء أن يعبد الله حق العبادة بلا أمن، قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٨-٢٣٩]، ولن يكون حفظ للنفس من الاعتداء بلا أمن، ولا مال بيد المرء يتصرف فيه بلا أمنٍ، ولا شرف سالم بلا أمن، ولن يكون للمرء عقل ثابت وفكر متَّزن بلا أمن.

أخرج أحمد وأبو داود عن سعيد بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد**»(٢).

فأيَّ طمأنينة تبقى للمرء وهو يقاتل دون ماله ودينه وعرضه؟!

وسأذكر مثالين أحدهما في غابر الزمان وأحدهما في حديثه للعظة والعبرة:

---

(١) قال الشاطبي رحمه الله: «والحفظ لها يكون بأمرين، أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود، والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم». «الموافقات» (٢/ ١٨).

(٢) أحمد (١٦٥٢)، أبو داود (٤٧٧٢).

أمَّا الأول: فقد ذكر الطبري في تأريخه عن اختلال الأمن في عاصمة الخلافة بغداد بعد مقتل الأمين سنة ٢٠١هـ، فقال: «وكان فساق الحربية والشطار الذين كانوا ببغداد والكرخ آذوا الناس أذى شديدًا، وأظهروا الفِسق، وقطع الطريق، وأخذ الغلمان والنساء علانية من الطرق، فكانوا يجتمعون فيأتون الرجل، فيأخذون ابنه، فيذهبون به فلا يقدر أن يمتنع، وكانوا يسألون الرجل أن يُقرضهم أو يَصلهم فلا يقدر أن يمتنع عليهم، وكانوا يجتمعون فيأتون القرى، فيكاثرون أهلها، ويأخذون ما قدروا عليه من متاع ومال وغير ذلك،... وكانوا يجبون المارة في الطرق وفي السفن وعلى الظُّهُر، ويخفرون البساتين، ويقطعون الطرق علانية، ولا أحد يعدو عليهم، وكان الناس منهم في بلاء عظيم، ثم كان آخر أمرهم أنهم خرجوا إلى قُطْرَبُّل، فانتهبوها علانية، وأخذوا المتاع والذهب والفضة والغنم والبقر والحمير وغير ذلك، وأدخلوها بغداد، وجعلوا يبيعونها علانية»(١).

أمَّا المثال الحديث: فلينظر العاقل للدول التي اختلَّ فيها الأمن بالخروج على ولاة الأمر فيها بما يسمى الثورات كيف أمسى حالهم، ويكفي المرء العاقل التفكر ليعلم أنَّ اختلال الأمن مفضٍ إلى ضياع الضرورات الخمس التي أتت الشريعة بحفظها(٢).

ومن المعلوم أنَّ أحكام هذه الشريعة الغراء قد شُرعت لمقاصد عظيمة، وأنَّها قد جاءت بتحقيق مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم في الدنيا والآخرة، وهذا من مقتضيات علم الله وحكمته وإرادته ورحمته،

---

(١) «تاريخ الطبري» (٨/ ٥٥١).

(٢) ينظر كتابنا: «وجوب البيعة الشرعية».

وهذه المقاصد ترجع جميعها إلى الضروريات الخمس المشار إليها آنفًا.

وإذا كان الدين هو الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر وهو أساس بعثة الأنبياء والمرسلين - كما قدمنا من كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ - فإن شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعمومها - داخلة في حفظ هذه الضرورات.

وقد تقدم أن شيخَ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرى أن جميع الولايات داخلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1].



(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٦٥)

المطلب الثالث

أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ الدين

الدين هو: الشرع الإلهي المتلقَّى عن طريق الوحي، وهو طاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ، وهو التقوى، والبر، والعمل الصالح، والشرعة، والمنهاج، وإن كان بين هذه الأسماء فروق(١).

وإن أعظم المقاصد وأجلها هو حفظ الدين، فهو أصل الرسالات السماوية، ومن أجله بعثت الرسل، ولأجله تبذل النفوس والأموال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «معرفة رب العالمين غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية»(٢).

والمقصود بحفظ الدين إقامة شعائره وفرائضه وإحياء معالمه وتعاليمه، وذلك بالمحافظة عليه، والعمل به، ونشره بالدعوة الصحيحة إليه، وتبليغه للأمم، والحرص على ما يقويه في النفوس، ومحاربة ما يخل بأصله أو نقصانه، أو الزيادة عليه.

ومقصد حفظ الدين يقوم على أصلين:

الأول: حفظ الدين من جانب الوجود، وذلك بالمحافظة على ما يقيم أركانه، ويثبت قواعده.

---

(١) ينظر: «مجموع الفتاوى» (٢٠/٤٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٥/٧).

الثاني: حفظ الدِّين من جانب العدم، وذلك برفع الفساد الواقع، أو دفع الفساد المتوقع.

فمن جانب الوجود يتمثل حفظ الدين: بأعظم حفظ له وهو الإيمان بالله ﷻ وتوحيده، ومعرفة أسمائه وصفاته، وكفى بمعرفة الله ومعرفة صفاته شرفًا في الدنيا وفي الآخرة[١].

ومن ذلك: إقامة شعائر الدين الظاهرة في البلاد؛ كرفع الأذان في وقته، وإقامة الجمع والجماعات، وبناء المساجد، والقيام بفروض الإسلام الخمسة، وفروض الكفايات، وسائر الطاعات، وإعلاء السنة، وتحكيم الشريعة في مناحي الحياة.

ويمكن إجمالها في: العلم بالدين، وتعليمه، والدعوة إليه، والتحاكم إليه، ودفع الإضرار به.

ومن جانب العدم: يتمثل ذلك بحفظ بيضة الإسلام، والنهي عن الكفر والشرك، وإماتة البدع، والبعد عن التشبه عن غير المسلمين فيما هو من خصائصهم[٢].

وعبادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائمة على تحقيق التوحيد لله رب العالمين.

فلا يعبد إلا الله، ولا يدعى إلا هو، ولا يستعان إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ليس ذلك لنبي مرسل، ولا ملك مقرب.

---

(١) ينظر: «قواعد الأحكام» (٢/ ٢٦).

(٢) ذكر العز بن عبد السلام ﷺ أن من حفظ الدين من جانب العدم ترك استفتاء الجاهل، لأنه سبب للجهل والإضلال عن أحكام الله عز وجل، وكذلك الفتيا بغير علم، لأنه لا يلبث أن يعمل بخلاف الدين، وتكون رغبة الطبائع خلاف رغبة الشرائع، ثم يزداد تهاون الناس حتى ينسى الدين. ينظر: «شجرة المعارف والأحوال» (ص٣٢٦).

فالتوحيد هو المعروف الأكبر، وضده الشرك والكفر هو المنكر الأكبر:

ولذا لمَّا سئل النبيُّ ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله**» [(١)].

وسُئِل ﷺ -: أيُّ الذنب أعظم عند الله؟ فقال: «**أن تجعل لله ندًّا، وهو خلقك**»[(٢)].

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «إنما أُرسلت الرسل وأنزلت الكتب للأمر بالمعروف الذي رأسه وأصله التوحيد، والنهي عن المنكر الذي رأسه وأصله الشرك»[(٣)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله فأعظمه الشرك بالله»[(٤)].

كما أنَّه - سبحانه - لا يعبد إلا بما شرع، وهذان هما شرطا القبول للأعمال: الإخلاص والمتابعة.

فإذا تحقق ذلك في المجتمع استقام أمر دينهم، واستتب أمنهم، ففي التوحيد الأمن والطمأنينة، وفي البعد عنه اختلال الأمن والفزع.

ومن نعم الله علينا في هذه البلاد أنها قائمة على التوحيد الخالص، تدعو إليها وتقيم شعائر الإسلام الظاهرة، وفروض الكفايات، وتأمر بالمعروف ومن أعظم ذلك طباعة المصحف الكريم، والاهتمام بنشر

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) «الدرر السنية» (٨/ ٦٧)، وينظر: «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٣/ ٤٢٤).

(٤) «الاستقامة» (٢/ ٢١٠)، وينظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٥/ ٥٩).

السنة النبوية، ومن ذلك ما أمر به خادم الحرمين الشريفين من تأسيس «مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود للحديث النبوي الشريف»، ليكون مكملاً لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، فضلاً عن نشر كتب التوحيد والسنة والأخلاق الإسلامية.

كما أنَّ هذه البلاد – ولله الحمد والمنة - تقوم على منع كل معتقد فاسد يفسد أصل التوحيد أو كماله، وكل بدعة تزيد فيه ما ليس منه.





المطلب الرابع

أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ النفس

أجمعت الأمَّة على أنَّ حفظ النفس هو المقصد الأعظم من الشريعة بعد حفظ الدين، ولأجل هذا جاءت هذه الشريعة السمحة بالرخص والتخفيف في العبادات، وأباحت المحظورات والمحرَّمات، من أجل الحفاظ على النفس البشرية من التلف.

ومن تأمل الرخص الشرعية في العبادات المبنية على التخفيف والتيسير يتبين له أنها قائمة على حفظ النفس في الجملة.

فمن وسائل حفظ النفس من جانب الوجود: القيام بما يلزم لمعيشتها من الأكل والشرب والسكن، وما يلزم من التداوي عند المرض، ودفع الصائل عليها.

ومن وسائل حفظ النفس الزواج والحث عليه؛ لأنَّ المقصد الأول من الزواج هو إيجاد النسل(١).

ومن وسائل حفظ النفس من جانب العدم: حرَّمت الشريعة الاعتداء على الغير؛ سواء بالقتل للنفس المعصومة(٢)، أو الإرهاب والتخويف، سواء أكان عن فكرٍ يحمله المعتدي، أو اعتداء يحمله عليه التهور والتعدي، أو كان ذلك بالانتقاص بحق الله عليها من قبل المرء ذاته؛ إمَّا

---

(١) ينظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٤٦٩).

(٢) وهي النفس المعصومة بالإسلام أو الجزية أو الأمان.

باستعمال ما يضرها كالمخدرات والمسكرات، أو تعريضها للهلكة ببعض الممارسات المحرمة الأخرى مثل التهور في قيادة المركبات.

وإن من نعم الله على هذه البلاد - المملكة العربية السعودية - ما ترفل فيه من أمن وأمان، أصبح مضربًا للمثل في زمن افتقدت كثير من الدول والشعوب هذه النعمة العظيمة.

وإنَّ من الجهود التي أصبحت مضرب مثلٍ لهذه البلاد - المملكة العربية السعودية - ما قامت به من بتر للإرهاب في أرجاء هذا البلد الآمن.

فقد خطت المملكة العربية السعودية خطوات مهمة وملموسة في مكافحة ظاهرة الإرهاب الخطيرة، وأسهمت بفعالية في التَّصدي لها، ولمآلاتها المدمرة من خلال المكافحة العملية بالتصدي للهجمات الإرهابية وانتهاء بملاحقة الإرهابيين واستباق ضرباتهم التدميرية، ومن خلال عقد المؤتمرات واللقاءات والمشاركات العربية والدولية.

وفي سبيل الدفاع عن المنهج السلفي دأبت المملكة العربية السعودية في توضيح أنَّ هذه الأعمال ليست من الدِّين في شيء، وأنَّ الدين منها براء، وأنَّ منهج أهل السنة والجماعة – الذي تقوم عليه هذه البلاد – بريء من هذه الأفكار والأفعال.

وقد كانت المملكةُ العربية السعودية أول دولة توقع على معاهدة مكافحة الإرهاب الدولي بمنظمة المؤتمر الإسلامي في شهر صفر من عام (١٤٢١هـ).

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز - أيَّده الله ونصره – أتت واحدة من أكبر المبادرات الدَّولية والإسلامية في

مكافحة الإرهاب بتشكيل «التحالف العربي الإسلامي لمحاربة الإرهاب» بقيادة المملكة، وإقامة مركز عمليات مشتركة في الرياض لتنسيق ودعم العمليات العسكرية لمكافحة الإرهاب ولتطوير البرامج والآليات اللازمة لدحره.

ومن أظهر مقامات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما تقوم به الجهات المختصَّة من متابعة لهذه الجماعات المتطرفة وأفكارها المنحرفة، ووقاية المجتمع من شرورهم الفكرية والتدميرية.



المطلب الخامس

أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ النسل[١]

وهذا المقصد يشمل حفظ النَّسل، وحفظ النَّسب، وحفظ العرض.

فحفظ النسل معناه التناسل والتوالد لإعمار الكون.

وحفظ النسب معناه: القيام بالتناسل المشروع عن طريق العلاقة الزوجية الشرعية.

وحفظ العرض معناه: صيانة الكرامة والعفة والشرف.

والله سبحانه خلق البشر من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبثَّ منهما عن طريق التزاوج والتوالد رجالاً كثيرًا ونساء، وجعلهم شعوبًا وقبائل ليتعارفوا، ويتعاونوا على البر والتقوى.

والزواج سنَّة الله في عباده، وآية من آيات العظيمة.

قال تعالى ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم: ٢١].

ووضع سبحانه في الذَّكر والأنثى دوافع طبيعية، ونوازع فطرية تكفل للنوع الإنساني البقاءَ والاستمرار، وعزَّز تلك الدوافع بالضوابط والقواعد التي تكفل للنسل أحسن السُّبل، وأسلم الطُّرق في الوجود والاستمرار،

---

(١) أغلب الأصوليين يعبرون **بالنسل** ليدخل فيها عموم الولد والذرية سواء أكان بطريق شرعي أم محرم، وبعضهم يعبر بلفظ النسب ويقصد به النسل المنضبط بضابط الشرع.

ثمَّ إنَّ حبَّ البقاء والشوق إلى دوام الحياة من الأمور التي فطر الله الخلق عليها، مما يجعل المخلوق يبحث عن عقبٍ وذرية، وخشية ازدحام الرجال على النساء مع وجود الغيرة المجبولة في النفوس تطلَّب هذا الأمر أن لا يصلح أمرهم إلا بشرعية اختصاص الرجل بزوجته وإعلان ذلك على الملأ؛ بناء على قواعد وأعراف مرضيَّة في مجتمعهم.

ولأجل حفظ النسل من جانب الوجود: حثَّ الشارع الحكيم على النكاح الشَّرعي ورغَّب فيه، وأمر به، كما قال تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النِّسَاء: ٣].

وقال ﷺ فيما أخرجه الشيخان عن ابن مسعود: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج**»(١).

ولحفظ النسل من جانب العدم: حرم الشَّارع الحكيم الزِّنا، وجعله من كبائر الذنوب.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسرَاء: ٣٢].

وأخرج الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النَّبي ﷺ: أيُّ الذَّنب أعظم عند الله؟ قال: «**أنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وهو خَلَقَك**». قلت: إنَّ ذلك لعظيم، قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**وَأنْ تَقْتُلَ وَلَدَك تَخافُ أنْ يَطْعَم مَعَك**»، قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**أنْ تُزَاني حَليلة جَارِك**»(٢).

وحرَّم كلَّ طريق يوصل إلى هذه الكبيرة؛ فحرم النظر للمرأة الأجنبية، أو لمسها، أو الخلوة بها.

---

(١) البخاري (٤٧٧٨)، مسلم (١٤٠٠).

(٢) البخاري (٤٤٧٧)، مسلم (٨٦).

ومن صور الحفاظ على النسل وعدم اختلاط الأنساب تحريم ما يعرف ببنوك الحليب، والتلقيح الصناعي من غير الزوجين[١].

وإنَّ من وسائل الحفاظ على هذا المقصد العظيم القيام بالأمر بالفضائل الجالبة للستر والعفاف، والحفاظ على الحجاب، والمحافظة على الآداب العامة للمجتمع، ونشر ما يدعو إلى صيانة الأعراض، وكذلك التحذير مما يجرح ذلك، والاحتساب على المخالفات التي تخدش هذا المقصد أو تخلُّ به من تبرج أو اختلاء محرم، وغير ذلك.



(١) ينظر: «قرارات مجمع الفقه الإسلامي» (ص١٨)، (ص٣٠).



المطلب السادس

أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ العقل

العقل كما قال العز بن عبدالسلام ﷺ من أشرف المخلوقات، وأخطر من كلِّ خطير[١].

والعقلُ هو عمدة التكاليف، وبه يُعرف اللهُ، ويفهم كلامه، وهو الفارق بين الإنسان والحيوان، فلا نعمةَ أعظم من نعمة الله به، فالإيمانُ بالله والتعبد له ﷻ متعلقان بالعقل، فلا تكليف بدونه.

وقد حدَّ الشارعَ للعقل حدودًا لا يتعدَّاها؛ لأنَّ في تعدِّيها إخلالاً بإيمان المسلم، كما قال النبي ﷺ: **«لَنْ يَبْرحَ النَّاسُ يَتَساءلونَ حتَّى يَقُولوا: هَذا اللهُ خَلَقَ كُلَّ شَيءٍ، فَمْن خَلَقَ الله»**[٢].

وقد وردت مادة العقل في القرآن الكريم في تسع وخمسين موضعاً كلها يفيد أن انتفاء العقل مذمة ونقص.

وحفظ العقل يكون من جانب الوجود: بإعماله في تقوية الإيمان بتدبر كلام الله ﷻ، والتفكر في آياته الكونية التي يخاطب الله بها عباده.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عِمرَان: ١٩٠-١٩١].

---

(١) «قواعد الأحكام» (١/ ٢٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٩٦)، ومسلم (١٣٦).

ومن ذلك تعلم العلم النافع الذي ينفع صاحبه، ويرفع عنه الجهل.

وحفظ العقل من جهة العدم: يكون بحفظه بالبعد عن كلٍّ ما يغطيه من مسكر ومخدِّر ومفتِّرٍ.

وهذه البلاد -ولله الحمد- قائمة على هذا الأمر في جانب الوجود، فقامت بالحثِّ على التعلم، وإعمال العقل في كل ما ينفعه ويغذيه.

وفي جانب العدم فقد منعت من كل ما يُؤثر في العقل، وأقامت الحدود الشرعية على متعاطي المسكرات والمخدرات، فاستقام للناس دينهم وديانتهم بحفظ العقل الذي يقوم عليه التكليف.






المطلب السابع
أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ المال

أولت الشريعة المحمديَّة اهتمامًا كبيرًا للمال، لما له من دور كبير في قوام أعمال الأمَّة وقضاء حوائجها، والحفاظ على نظامها، وتقوية شوكتها، فهو العصب الذي تدور عليه مصالح الأمم للقيام بعبادة الله ﷻ.

والمال في حقيقته وسيلة لا مقصدٌ بذاته، بل هو وسيلة للمحافظة على مقاصد الشرع، وما خلق الله الأموال إلا إعانة على عبادة الله[1].

لذا شرع الله لعباده طُرقًا لتحصيل هذا المال من خلال التّكسُّب، سواء أكان ذلك عن طريق الوظيفة أو التجارة، أو الهبة، أو الإرث، وغيرها من الأمور الشرعية.

وفي المقابل: حذَّر الشارع من كسب المال من الوجوه المحرمة.

وحرَّم التفريط فيه من خلال تبذيره، أو إسناد إدارته لمن لا يصلح لذلك من السفهاء.

وحرَّم التعدي على مال الغير بأي طريق: فحرم السَّرقة وجعل عليها حدًّا بقطع يد من سرق، وحرَّم الرِّبا، والقمار، والنجش، والعقود الفاسدة، والاحتكار.

---

(١) ينظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨/٢٧٦). وقد أوجز الطاهر بن عاشور ﷺ مقاصد الأموال في خمسة أشياء: **الرواج** أي: دورانه بين أيدي أكبر عدد ممكن من الناس بوجه مشروع، **والوضوح**: فيكون الحصول عليه بعيد عن الغرر، **والإثبات**: بأن يختص أصحابها بملكيتها، **والعدل**: فيكون حصولها بوجه سائغ شرعًا، **والحفظ**: بتنميتها وعدم إتلافها. ينظر: «مقاصد الشريعة» (ص٤٧٠).

وهذه البلاد - ولله الحمد- قائمة على هذا الأمر في جانب الوجود فأذنت للناس بالاتجار والتكسب مالم يقع المرء في مخالفة شرعية أو نظامية، وفي جانب العدم تحرص على مكافحة الاتجار والتربح غير المشروع، ومتابعة الغش بشتى طرقه، ومنع البيوع المحرمة.

كما أنَّ من أوجه التسلط على أموال النَّاس في هذا الزمان ما يعرف بالابتزاز وهو اغتصاب مال الغير مقابل السكوت عن خطأ حصل منه سابقًا، وهذه الجريمة تتناول ثلاث ضروريات هي حفظ الدين، والنسل (العرض)، والمال.

فما من مبتزٍّ إلا وهو فاسد الديانة، متلاعب بالأعراض، باغٍ على الأموال المصانة.

وبالجملة، فلا تزال هذه البلاد - بحمد الله - هي حصن الإسلام ومأرزه في الحفاظ على هذه الضروريات بالعمل على تقويتها وجودًا، والبعد عمَّا يصادمها عدمًا.





الفصل الثالث

جهود المملكة العربية السعودية في إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حياة الملك المؤسس.

المطلب الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حياة الملوك من بعده.

المطلب الثالث: شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في النظام الأساسي للحكم.





المطلب الأول

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حياة الملك المؤسس

لا تذكر شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا ذكرت المملكة العربية السعودية، فقد أصبحت معلمًا من معالمها العظيمة، ونصَّ نظامها الأساسي على قيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله.

وإنَّ نعم الله تعالى على هذه البلاد المباركة - المملكة العربية السعودية - متنوعة وعظيمة، وأعظمها وأجلها: نعمة الدِّين واتِّباع السنة النبوية، وخدمة الحرمين الشريفين والقيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وهذه الأسس هي التي قامت عليها هذه البلاد وهي التي كان ولازال يفاخر بها ولاة أمرها.

واهتمام الدولة بهذه الشعيرة يدركه المتابع لها في كلِّ أدوارها منذ تأسيسها على يد الإمام محمد بن سعود رحمه الله الذي كان يأمر الناس بالمعروف ويلزمهم به، وينهى عن المنكرات ويزجرهم عن الباطل، فظهر الحق وانتشر، وكبت الباطل وانقمع، وصار النَّاس في سيرة حسنة.

واستمرت هذه الأسرة المباركة «آل سعود» في رعاية هذه الشعيرة العظيمة في الدولة السعودية الأولى والثانية، ثم الثالثة والتي توحدت بفضل الله جل وعلا على يد الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن رحمه الله،

فسار على ما سار عليه آباؤه من قبله، فكان أول عمل يقوم به عند دخول المناطق والمدن في ولايته تعيين والٍ للحسبة، ويزوده بالعدد الكافي لذلك.

وقد عُرِفَ عن الملك المؤسس رَحِمَهُ اللَّهُ حبه لهذه الشعيرة، وأولاها عنايته الكاملة، وشواهد ذلك كثيرة جدًا.

فمن شواهدها الفعلية أنه رَحِمَهُ اللَّهُ منذ دخوله للرياض كان من أولى الأوليات لديه إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكلَّف بها عددًا من العلماء وأمدَّهم بالأعوان الذي يساعدونهم في هذا الأمر.

وفي كل بلد أو إقليم ينضوي تحت حكمه فإنَّ أول ما يعنى به رَحِمَهُ اللَّهُ إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن حرصه على هذه الشعيرة ما كان يخاطب به رعيته بين حين وآخر عن أهمية هذه الفريضة، ومن ذلك خطابه الذي خاطبهم به وفيه:

«... تعلمون أنَّ الله سبحانه وتعالى مَنَّ علينا وعليكم بنعمة الإسلام التي بعث الله بها رسوله محمدًا ﷺ، وهي مضمون مباني الإسلام الخمسة...، مع ما يتبع ذلك من شرائع الدين وحقوقه، فأكمل الله بنبيه ﷺ الدين وأتم به النعمة...، وشرع الأحكام، وأحل الحلال وحرم الحرام، وأجب علينا القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...، عزمنا متوكلين على الله أن نقوم بالواجب، ونعمل ما جاء عن نبينا محمد ﷺ...، ونحن نبين لكم الأمور التي حصل الاتفاق منا ومن علماء المسلمين عليها، فقد قررنا أن نعين هيئات في جميع بلدان المسلمين تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ومن أهم ذلك إلزام الناس بالمحافظة

على الصلوات الخمس في جماعة وحض الناس على تعلم دينهم، والقيام على أهل المنكرات»[١].

وقال رحمه الله في خطاب آخر موجه لهم: «فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله من أعظم الواجبات وأهم المهمات...، فلا صلاح للخاصة والعامة في جميع القرى إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٢].

وبعد انضمام الحجاز له أرسل خطابًا للعلماء جاء فيه: «وبما أنَّ الأمر واجب من قبل الله، ونحن وأنتم ملزمون به، ولا حجة لأحد يدعي الإسلام وهو تارك للصلاة، فالرجاء أن تنظروا في الأمر وتعيِّنوا رجالاً من إخوانكم المنتسبين للخير، يمشون في كل سوق ومجمع، يأمرونهم بالصلاة كلما أذن المؤذن، حيث يعزِّل أصحاب الدكاكين ويصلون... ويلزم أن لا تقوموا من مقامكم هذا إن شاء الله إلا وأنتم ناظرون في هذه المسألة، لأنَّ فيها قوام الدين والدنيا، واتفاق الكلمة، ولا حجة لأحد»[٣].

وكلما توسَّعت البلاد أمدَّ الملك عبد العزيز رحمه الله المحتسبين بالأعوان، وكان المقر الرئيسي للمحتسبين مدينة الرياض، وكان هناك فروع في المدن الكبرى في نجد، ولما انضمت عسير إلى الدولة السعودية أنشئ لها فرع، وكذلك أنشئ فرع في كل من الأحساء وحائل، حينما دخلتا تحت حكم الملك عبد العزيز رحمه الله.

---

(١) «الكتاب الوثائقي للرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص٥٦).
(٢) المرجع السابق (ص٥١).
(٣) «التطبيقات العملية للحسبة» (ص٩١).

وفي رسالة منه رَحِمَهُ اللهُ إلى الأمير مشاري بن جلوي: «من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب المكرم مشاري بن جلوي -سلمه الله-، بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، من خصوص الشيخ عبد الله بن حسن والشيخ محمد ابن تركي حال توجها إليكم، وقد عمدناهما بأن ينظرا في المحكمة الشرعية، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجميع ما يقررانه تنفذونه بدون تردد، وتجرون ما يلزم لهما من المساعدة عند الاقتضاء يكون معلوماً. هذا ما لزم بيانه. والسلام»[١].

وفي خطاب آخر: «من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل إلى الإخوان الكرام.... وفقنا الله وإياهم لفعل الخيرات وترك المنكرات، وأصلح لنا ولهم الأقوال والأفعال والنيات، آمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وموجب الخط الوصية بتقوى الله تعالى في السر والعلانية، لأنها وصية الله للأولين والآخرين... وتقوى الله امتثال أمره واجتناب نهيه ومن أوامره الأمر بالمعروف وهو ما حسن في الشرع، والنهي عن المنكر وهو ما قبح في الشرع... فأنتم توكلوا على الله وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر واحذروا أن تأخذكم في الله لومة لائم»[٢].

وفي خطاب موجه منه رَحِمَهُ اللهُ إلى أحد ولاته: «من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل إلى جناب الأخ المكرم... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... أحوالنا من كرم الله جميلة، ولكن من طرفكم إن شاء الله تحرصون عل القيام التام على أهل الديرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحثهم على الخير...»[٣].

(١) «الكتاب الوثائقي للرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص٩).
(٢) المرجع السابق (ص١٥).
(٣) المرجع السابق (ص٣٠).

وكان من وصيته رحمه الله لأحد ولاته الذين وقع اختياره عليهم للقيام بشؤون إحدى البلدات: «... ونوصيك بتقوى الله تعالى، ومراقبته، وتحري العدل بين الناس، وتنفيذ أوامر الشرع، وتأييد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[١].

وكان رحمه الله يتمثل في مملكته قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج: ٤١].

وكان من آثار ذلك على مملكته رحمه الله أن بسط الله له الأمن والأمان، وأفاء عليها من الخيرات بعد أن عاشت أقاليمها وبلدانها زمنًا طويلاً متشتتة متناحرة، لا يأمن المسافر على نفسه، ولا على ماله ولا على عرضه، مع فقر مدقع.

فالحياة في جزيرة العرب قبل توحيدها مأساة حقيقية في سلمها وحربها، وفي باديتها وحاضرتها، من جميع جوانبها: في الحرب والسلم، في البادية والحضر، فلم تكن لديها موارد تقوم عليها الحياة، فكان الفقر يفتك بأهلها، فكانت الهجرات إلى البلدان الساحلية على فقرها أهون من البقاء في نجد، وكانت الأمراض فاشية فيها تفتك بالناس جماعات!

وحسبك أن تعلم أنَّ كل بلدة لها سورة تتسور به من أعدائها الذين هم جيرانها وقد يكونوا أبناء عمومتهم!

ومع الخوف من القريب المعروف كان هناك قطَّاع الطرق[٢] الذي

---

(١) المرجع السابق (ص٣١).

(٢) كانوا يعرفون باسم الحنشل، واحدهم حنشولي، وهم الذين يسرق بقوة السلاح والعدوان، وفي سلوكهم الاعتداء.

يجوسون الديار ويتربصون بأصحاب القوافل شرًا لسلبهم ونهبهم[١]!

فأبدلهم الله بعد خوفهم أمنًا، وبعد فقرهم غنى، وبعد تشرذمهم اجتماعًا، وبعد تنافرهم محبة، وبعد حربهم سلمًا. فلله الحمد من قبل ومن بعد، ورحم الله الملك المؤسس، وجزاه خير الجزاء.

ودونك هذه الحادثة ودلالاتها، قال الأمير شكيب أرسلان وكان قد حجَّ عام ١٣٤٨هـ:

«كنت صاعداً مرة من مكة إلى الطائف وكانت معي عباءة إحسائية سوداء، جعلتها وراء ظهري في السيارة، فيظهر أنها سقطت من السيارة في أرض لُقَيم ولم نتنبه لها، فأخذ الناس يمرون، فيرون هذه العباءة ملقاة على قارعة الطريق، فلا يجرؤ أحد أن يمسَّها، بل شرعت القوافل تتنكَّب عن طريق لُقَيم عمداً، حتى لا تمر على العباءة؛ خشية أنه إذا أصاب هذه حادث يكون من مرَّ من هناك مسؤولاً، فكانت هذه العباءة على الطريق أشبه بأفعى يفر الناس منها، بل لو كانت ثَمَّة أفعى ما تجنبوها هذا التجنب كله.

وأخيراً وصل خبرها إلى أمير الطائف محمد بن عبد العزيز - من سلالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - فأرسل سيارة كهربائية من الطائف أتت بها، وأخذ بالتحقيق عن صاحبها فقيل له: إننا نحن مررنا من هناك، وإن الأرجح كونها سقطت من سيارتنا، فجاء الأمير ثاني يوم

---

(١) ممن صوَّر تلك الحياة الشاعر محمد بن عبد الله العثيمين رحمه الله حيث قال:

فقد كان في نجـــد قبيل ظهـــوره ... من الهرج ما يبكي العيون تفاصله

تهارش هذا الناس في كل بلدة ... ومن يتعد السور فالذئب آكله

فما بين مسلوب وما بين سالب ... وآخر مقتول، وهـذاك قاتلـــه

يزورنا وسألنا: هل فُقِد لكم شيء من حوائجكم في أثناء مجيئكم من مكة؟ فأهبت برفاقي ليتفقدوا الحوائج، فافتقدوها فإذا بالعباءة السوداء مفقودة، وكنا لم ننتبه لفقدانها، فقلنا له: عباءة سوداء إحسائية قال: هي عندنا، وقص علينا خبرها.

وقد أتيت على هذه النادرة هنا مثلاً من أمثال لا تعد ولا تحصى من الأمن الشامل للقليل والكثير في أيام «ابن سعود» مما لم تُحدِّث عن مثله التواريخ حتى اليوم، فالمكان الذي سقطت فيه العباءة كان في الماضي كثيراً ما تقع فيه وقائع السلب والقتل، ولا يمر الناس فيه إلا مسلَّحين، فأصبح إذا وجدت لقطة هناك على قارعة الطريق تجنب الناس الطريق لئلا يتهموا بها إذا فقدت، وكل يوم يأتي الشرطة والخفراء والعسس بلُقَط وحاجات ضائعة مما فقده السُفَّار أو سقط بدون انتباه عن الأكوار، وذلك إلى دائرة الأمن العام، فتبحث عن أصحاب هذه اللقطات وتردها لهم مما يقضي بالعجب.

وإنك لتجد هذا الأمن ممدود الرواق على جميع البلدان التي ارتفعت فيها راية «ابن سعود» من مُنجد ومُتْهم ومُعرق ومُشئم بدون استثناء، وقد علَّل بعضهم هذا التأمين البليغ للسوابل بأنه من أركان عقيدة الوهابيين الذين يقولون:

وما الدين إلا أن تقام شعائرٌ وتأمن سبْل بيننا وشعاب[1]

قلت: أيًا كان السبب في هذه الأزمان فإنه نعم العمل، ولا يوجد معنى للحكومة إن لم تكن أول ثمراتها الأمن والعدل، ولو لم يكن من

(١) البيت لحسَّان بن ثابت رضي الله عنه.

مآثر الحكم السعودي سوى هذه الأَمَنة الشاملة الوارفة الظلال على الأرواح والأموال التي جعلت صحاري الحجاز وفيافي نجد آمن من شوارع الحواضر الأوروبية لكان كافياً في استجلاب القلوب إليه، واستنطاق الألسن في الثناء عليه.

فاليوم نجد التاجر، والفلاح، والحادي، والملاح، والحاج القاصد على الضوامر، أو على الجواري المنشآت بالدُّسر والألواح، يتحدثون بنعمة هذا الأمن الذي أنام الأنام بملء الأجفان، وجعل الخلق يذهبون ويجيؤون في هاتيك الصحاري، وقد يكون معهم الذهب الرنان، وهم بلا سلاح ولا سِنان، فلا عمران للبلاد إلا بالأمان والاطمئنان.

حدثني بعض الأشراف الهاشميين من أولاد أمراء مكة أنفسهم أنهم كانوا في القرى التي لهم حول الطائف يوصدون أبوابها ليلاً، ولا يفتحونها لأي طارق خيفة الغيلة، وحذراً من سطو اللصوص، حتى جاء هذا العهد السعودي فصاروا يأمنون أن يبيتوا وأبوابهم مفتحة، وصاروا يفتحون لأي طارق جاءهم.

وحدثني الجميع أنهم كانوا لا يقدرون على التجوال إلا مسلحين، فأصبح الآن كل إنسان يجول في الحواضر والبوادي أعزل لا يحمل شيئاً ولا السكين، وقد يكون حاملاً الذهب ولا يخشى عادية ولا حادثة، وكثيراً ما يترك الناس أوقار دوابهم في قارعة الطريق وتبقى أياماً وليالي إلى أن يعود أصحابها فيأخذوها ولا يتجرأ أحد أن ينظر إليها.

وكل يوم يؤتى إلى دوائر الشرطة في كل بلدة بأمتعة وأسباب وحوائج وأموال، منها الكثيرة ومنها القليل، ومنها الثمين ومنها الخسيس مما يجده السابلة في الطريق اتفاقاً، فلا تجد أحداً يطمع في شيء بعد

أن كان الدُّعَّار يذبحون ابن السبيل من أجل حاجة لا تكاد تساوي قِطميرًا»[(١)].

وقال الدكتور عبد الوهاب عزَّام - وكان قد حج عام ١٣٥٦هـ: «والناس في إقامتهم بمكة، وسيرهم إلى منى وعرفات، وسفرهم إلى جدة والمدينة يرتحلون بالليل والنهار آمنين مطمئنين لا يخافون على نفس ولا مال. ويظفرون بطمأنينة لا يظفرون بمثلها في البلاد الأخرى، ولا يغلو في الحق من يقول إن الأمن في بلاد الحجاز اليوم لا يظفر به إنسان في غيره من بلاد العالم. فإذا خرج الرجل الفرد يملأ جيوبه الذهب يقطع الطريق بين مكة والمدينة نهاراً وليلاً ليس معه رفيق ولا حارس لم يخش على نفسه ولا ماله، وأحاط به الأمن في يقظته ونومه وليله ونهاره. أمر لم نسمع به ولا نسمع به اليوم في قطر من أقطار العالم المتمدن أو المتوحش»[(٢)].

وكان المسلمون يعيشون تفرقًا عظيمًا في أعظم بقعة تجمعهم وفي أعظم عمل يؤدونه لله رب العالمين!

فقد كان الحرم المكِّي فيه أربعة مقامات، لكلِّ مذهب فقهي من المذاهب الأربعة إمام يصلي بمتبوعيه، ولا يصلي معهم غيرهم! حتَّى وفَّق الله الملك عبد العزيز ﷫ إلى إزالة هذا الأمر وجمع المسلمين الموحدين على إمام واحد؛ فاجتمعت القلوب باجتماعهم على إمام واحد، وهذا أثر واضح من آثار الأمن .

---

(١) «الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف» (ص١٨٦)، وقد حصل للأديب إبراهيم المازني في حجٍّ عام ١٣٥٠هـ قصَّة مماثلة، ذكرها في كتابه «رحلة إلى الحجاز» (ص٦٧).

(٢) مقال للدكتور عبد الوهاب عزام بعنوان (الحج) منشور في مجلة «الرسالة» العدد (٢٨٦).

فقد تكلّم الرحّالة ابن جبير في رحلته عند مروره بمكة سنة ٥٧٨هـ، عن وجود أربعة أئمة سنّية للحرم، فأوّلهم إمامةً الشافعيُّ، ويصلي خلف مقام إبراهيم ﷺ، ثم المالكي ويصلي قِبالة الركن اليماني، ثم الحنفي ويصلّي قِبالة الميزاب، ثم الحنبلي - وصلاته مع المالكي في حينٍ واحدٍ - وموضع صلاته يقابل ما بين الحجر الأسود والركن اليماني. إلا صلاة المغرب يصلونها في وقت واحد مجتمعين لضيق وقتها، قال: «يبدأ مؤذن الشافعي بالإقامة، ثم يقيم مؤذنو سائر الأئمة، وربما دخل في هذه الصلاة على المصلين سهوٌ وغفلة لاجتماع التكبير فيها من كل جهة، فربما ركع المالكي بركوع الشافعي أو الحنفي، أو سلَّم أحدهم بغير سلام إمامه، فترى كل أذنٍ مصيخة لصوت إمامها أو صوت مؤذنه مخافة السهو، ومع هذا فيحدث السهو على كثير من الناس»[(١)].

قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على «سنن الترمذي»: «بل قد بلغنا أن هذا المنكر كان في الحرم المكي، وأنه كان يصلي فيه أربعة أئمة، يزعمونهم للمذاهب الأربعة، لكننا لم نَرَ ذلك، إذ أننا لم ندرك هذا العهد بتمامه، وإنما حججنا في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (حفظه الله)[(٢)]، وسمعنا أنه أبطل هذه البدعة، وجمع الناس في الحرم على إمام واحد راتب، ونرجو أن يوفّق الله علماء الإسلام لإبطال هذه البدعة في جميع المساجد في البلدان، بفضل الله وعونه، إنه سميع الدعاء»[(٣)].

---

(١) «رحلة ابن جبير» (ص٧٨).

(٢) رحمه الله، وكان تعليق الشيخ على السنن صدر عام ١٣٥٧هـ.

(٣) «سنن الترمذي» (١/ ٤٣٢).




المطلب الثاني
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
في حياة الملوك من بعده

عاش ملوك هذه البلاد المباركة في كنف والدهم، ورأوا وسمعوا حرصه الشديد على إقامة شعائر الدين الظاهرة، والحفاظ عليها، ومنها: شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكان خطاب الملك عبد العزيز لابنه سعود رحمهما الله عند مبايعته للعهد عام ١٣٥٢هـ مذكرًا له بأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نصًّا ملهمًا لهم جميعًا.

فمما جاء فيه: «وعليك بالحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن ذلك يكون كلُّه على برهان وبصيرة في الأمر، وصدق في العزيمة»[(١)].

وقد سار الملك سعود ﷺ عاملاً بهذه الوصية المباركة، فقد شهدت فترة حكمه استمرار نهج والده المؤسس في طباعة عدد كبير من الكتب التي لها أهميتها في العلم الشرعية، كما كان له اهتمام بتوسعة الحرمين الشريفين.

وفيما يخصُّ الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد كانت أعمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بفرعيها في

---

(١) «جريدة أم القرى» السنة (٩) العدد (٤٤٠).

نجد والحجاز وما يتبعهما من ضمن الجهات الحكومية التي طالها التطوير بعد أن أخذت الدولة بأساليب التطور الإداري الحديث وهو امتداد لما كان في عهد المؤسس رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفي عهد الملك فيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ استمر الاهتمام بهذه الشعيرة العظيمة واستمر في على نهج والده في طباعة الكتب الشرعية، واهتم بأمر الدعوة إلى الله.

وفيما يخصُّ الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد اقتضى التطور الإداري التخصص في الصلاحيات والمهام، فنقلت بعض الصلاحيات إلى الجهات المختصة بها أصالة، والتي هي ألصق بها بحكم التطور التقني الحديث، واختصاصات الدولة الحديثة[١].

وفي عهد الملك خالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ استمر على نهج أسلافهبالاهتمام بالحرمين الشريفين، والحرص على جمع كلمة المسلمين، والاهتمام بشعائر الإسلام الظاهرة، ومنها شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فكان من كلماته: «أول النعم وأجلها وأعظمها نعمة الإسلام،

---

(١) مرَّت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - كغيرها من الدوائر الحكومية - بعددٍ من التغييرات في أنظمتها قبل أن تصل لتنظيمها الحالي، وفي كل نظام أو تنظيم أو ما دونهما يجري نقل بعض أعمال الرئاسة إلى الجهات المختصَّة أوْ لَها، وفق ما يراه ولي الأمر يحفظه الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عموم الولايات وخصوصها، وما يستفيده المتولِّي بالولاية يُتلقى من الألفاظ والأحوال والعرف، وليس لذلك حد في الشرع، فقد يدخل في ولاية القضاة في بعض الأمكنة والأزمنة ما يدخل في ولاية الحرب في مكان وزمان آخر، وبالعكس، وكذلك الحسبة». «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٦٨)، وقال ابن نجيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القضاء يجوز تخصيصه وتقييده بالزمان والمكان، واستثناء بعض الخصومات، وعلى هذا لو أمر السلطان بعدم سماع الدعوى بعد سنة لا تسمع، ويجب عليه عدم سماعها» «الأشباه والنظائر» (ص١٩٤)، وغير القضاء من الولايات من باب أولى.

ولا يكون شكرها إلا باتباع أوامر الله، واجتناب نواهيه، وإتمام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...والتهاون في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر يؤدي إلى سخط الله، وغضبه، وحلول لعنته»[١].

وفيما يخص عمل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد تم توحيد رئاسة نجد ورئاسة الحجاز تحت مسمى (الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وصدر نظام الرئاسة العامة بتاريخ ٢٦/ ٤/ ١٤٠٠هـ الذي ينظم أعمال الرئاسة في تلك الفترة بما يلائمها.

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ﵀ استمر الاهتمام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان من أعظم الأعمال التي قام بها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ﵀ تأسيس مطبعة الملك فهد للمصحف الشريف بالمدينة المنورة، وتوسعة الحرمين الشريفين، وصدور النظام الأساسي للحكم والذي اصطبغ بالصبغة الشرعية في كافة مواده تأكيدًا على هوية هذه البلاد.

ومن أقواله ﵀: «لقد تأسس الحكم في هذا البلد العزيز علينا وعلى كل مسلم في العالم على تقوى من الله، وإقامة حدود الله، والتمسك بتعاليم العقيدة الإسلامية نصًا وروحًا، وقولاً وفعلاً، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، ونقيم العدل بين الناس، نفشي السلام، ونصل الأرحام...»[٢].

وفيما يخص عمل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد

---

(١) ينظر: «جريدة أم القرى» العدد (٢٨٥٣).

(٢) ينظر: «الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية حقائق ووثائق» (ص٣٢٤).

كان دعمه ﵀ واضحًا للرئاسة من الاهتمام بتطوير أعمالها، وكان من عناية الملك رحمه أن تضمن النظام الأساسي للحكم الإشارة إلى أنَّ الدولة تقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله ﵀ استمر الاهتمام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن جميل ما أثر عنه ﵀ قوله: «لقد كان الإسلام ولا يزال أعظم رسالة إصلاحية شهدتها البشرية عبر تاريخها الطويل»[1]، واستمرت عنايته ﵀ بالاهتمام بالحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة توسعة وتسهيلاً للحجاج والمعتمرين.

وفيما يخص عمل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد كان اهتمامه بها واضحًا من خلال زيادة ميزانيتها، وتوفير الفرص الوظيفية التي تتناسب مع تلك الفترة الزمنية، ومن صور اهتمامه بهذه الشعيرة الموافقة على إنشاء المعهد العالي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بجامعة أم القرى.

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان - حفظه الله ورعاه - سار على نهج أسلافه ﵏ من العناية بالعقيدة الإسلامية والشريعة السمحة، وعمارة الحرمين الشريفين، وأمر بإنشاء مجمع الملك سلمان للسنة النبوية في المدينة المنورة.

كما أنَّ خادم الحرمين الملك سلمان يحفظه الله من أقرب الناس إلى معرفة أصول الدعوة السلفية التي قامت بعد الاتفاق التاريخي بين

---

(١) «جهود الأمير عبد الله بن عبد العزيز في الدعوة إلى الله حتى عام ١٤١٩هـ» (ص٣١٦).

الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود رحمهما الله، ولم يزل - يحفظه الله - يُذكِّر ما امتنَّ الله على هذه البلاد من قيامها على الدعوة السلفية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآزره فيها الإمام محمد بن سعود رحمهما الله، وأكَّد - حفظه الله- أنها دعوة نقية، إسلامية صرفة، ليس فيها زيغ ولا ظَلال، وأنه لما قامت الدولة السعودية وتبنى الإمام محمد بن سعود دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهما الله انطلقت الدعوة الصافية الخالصة التي ترجع لكتاب الله وسنة رسوله لا شيء غير ذلك، وتحدى من يأتيه بحرف واحد في كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب أو رسائله التي أصدرها يخالف كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ[١].

وقال - يحفظه الله -: «نحن دولة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر كما جاء في النظام الأساسي للحكم، فهذه الدولة قامت على العقيدة ونحمد الله أن جعل هذه البلاد تحكم بالشريعة فهي بلد الحرمين وبلد قبلة المسلمين، وهذا التكريم من الله يجب علينا أن نحافظ عليه وأن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تطبيقاً لما جاء في سنة النبي ﷺ»[٢].

وقال - يحفظه الله -: «لا شك أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كاد أن يكون ركنًا من أركان الاسلام، وهو في الواقع إصلاح للنفس وإصلاح للمجتمع»[٣].

---

(١) ينظر: «جريدة الرياض» العدد (١٥٢٤١).

(٢) ينظر: «جريدة الرياض» العدد (١٥٥٣٤).

(٣) «جريدة اليوم» العدد (١٢٥٨٤).

وقال - يحفظه الله -: «إن من أجّلِ النعمِ على أمةِ الإسلام نعمة القرآن الكريم الذي نزل بلسانٍ عربي مبين، فكلما تمسكنا بهدية في جميع شؤوننا كانت لنا العزةُ والمنعةُ وكلما بعدنا عنه أصابنا الذلُ والتفرقُ. قال ﷺ: «**إن اللَه يرفعُ بهذا الكتابِ أقواماً ويضعُ به آخرين**»، وإننا نشكرُ اللَه تعالى أننا نعيشُ في دولةٍ مباركةٍ تطبق أحكامَ الشريعةِ منذ أن أسسها الإمام الباني الملكُ عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ـ طيب الله ثراه ـ وأبناؤه من بعده...، فقد اتخذت من كتابِ الله العزيز وسنةِ نبيه المصطفى دستوراً يَحكم جميع مناحي الحياة فيها كما نصت علية المادةُ (السابعة) من النظامِ الأساسي للحكم»(١).

وفيما يخص عمل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد كان اهتمامه بها قديمًا ولا يزال، بتواصله مع مسؤولي الرئاسة، ومتابعة أخبارها، والحرص على إقامة هذه الشعيرة وفق المنهج الشرعي الصحيح.

قال - يحفظه الله - في توجيهٍ لأعضاء الهيئة: «انْصَحْ وناصح، تكلَّم ولا تُغلظ، رغِّب الانسان ولا ترهبه، رغِّبه في الخير، رغِّبه في عمل الخير، أرشده وإن شطَّ، كن معه حتى تدله إلى الخير إن شاء الله»(٢).

ولم يزل - حفظه الله - داعمًا لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومساندًا، ومؤازرًا لأعمال الرئاسة منذ كان أميرًا لمنطقة الرياض.

---

(١) ينظر: موقع مسابقة القرآن الكريم المحلية والدولية على الشبكة العالمية.

(٢) المرجع السابق.

وكان من ضمن هذا الاهتمام موافقته - حفظه الله - على إقامة الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مؤتمرًا وطنيًا بعنوان: (منهج السلف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودور المملكة العربية السعودية في تعزيزه).



المطلب الثالث

شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في النظام الأساسي

النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية هو نظام الدولة الأساسي المستمَدُّ من الكتاب والسُّنَّة، وأحكام الشريعة، والذي يجب أنْ تدور كلُّ الأنظمة في فلكِه؛ بحيث لا تُناقضه، أو تختلف عنه. وقد صدر هذا النظام بالأمر الملكي رقم (أ/ ٩٠) وتاريخ ٢٧/ ٨/ ١٤١٢هـ.

ويعد هذا النظام امتدادًا لما تعيشه المملكة العربية السعودية من تطور إداري وتنظيمي في شتى المجالات[١].

ويعتبر هذا النظام أسلوبًا فريدًا في صياغة دساتير الدول، حيث عماده أحكام الشريعة الإسلامية، والتي هي منهج حياة كاملة، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾ [البَقَرَة: ٢٠٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين به المصدقين برسوله: أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك»[٢].

---

(١) لا يعني تأخر صدور هذا النظام أنَّ المملكة كانت تعيش فراغًا دستوريًا، بل كانت أسسها التنظيمية الداخلية والخارجية قائمة على الأصلين: الكتاب والسنة، ومواد النظام هي متوافقة معهما بالكامل، ومستوحاة من النظرة الإسلامية الشاملة.

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٦٥).

ومن جملة ما يقوم عليه هذا النظام تأكيد شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إمَّا منطوقًا، أو مفهومًا بدلالة الاقتضاء، أو الإيماء، أو غيرها.

وسأتعرض هاهنا بالإشارة إلى بعض المواد:

١- جاء في المادة الثانية: (عيدا الدولة هما الفطر والأضحى).

وهذا فيه دلالة على منع ما عداهما من الأعياد المرتبطة بالأمم السابقة، أو الأعياد والاحتفالات البدعية، وبالتالي فإِنَّ أي عيد بدعي أو محرم فهو مشمول بالمنع، وتحتسب عليها الجهات المختصَّة.

٢- جاء في المادة السابعة: (يستمد نظام الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عيه وسلم، وهما الحاكمان على هذا النظام وجميع أنظمة الدولة).

وهذا فيه دلالة على التأصيل الإسلامي المطلق لسيادة الشريعة في هذه البلاد المباركة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة إسلامية كما مرَّ معنا، وبالتالي فإنَّ الحرص على وجودها هو امتداد لهذا النهج الإسلامي الخالص.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «جماع الدين وجميع الولايات هو أمرٌ ونهيٌ؛ فالأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر»[1].

وقال ﵀: «جميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[2].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٦٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٦٦).

٣ - جاء في المادة الحادية عشرة: (يقوم المجتمع السعودي على أساس من اعتصام أفراده بحبل الله، وتعاونهم على البر والتقوى، والتكافل فيما بينهم، وعدم تفرقهم).

٤ - جاء في المادة الثانية عشرة: (تعزيز الوحدة الوطنية واجب، وتمنع الدولة كل ما يؤدي للفرقة والفتنة والانقسام).

وهذا مقصد عظيم من مقاصد الشريعة وأصولها الكبرى، وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى أنَّ من الأمر بالمعروف الأمرَ بالائتلاف والاجتماع والنهي عن الاختلاف والفرقة[(١)]

ومن فضل الله على هذه البلاد أنه لا يوجد فيها انقسام أو تحيز أو جماعات فكرية، بل كلما نعق ناعق حول هذه الأمور ألقمه المجتمع حجرًا بتكاتفه والتفافه حول ولاة الأمر.

٥- جاء في المادة الثالثة والعشرين: (تحمي الدولة عقيدة الإسلام، وتطبق شريعته، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتقوم بواجب الدعوة إلى الله).

وهذه المادة من فرائد هذا النظام، فلا يوجد مادة مثيلة له في جميع أنظمة الدول، فنصَّت على أنَّ الدولة تحمي العقيدة الإسلامية، وهي حمايتها من كل ما يشوبها من شركيات وبدع، فليس في هذه البلاد المباركة - ولله الحمد - مكان معروف يُعظم ويقصد دون ما عظمه الشارع وشرع قصده، ولا فيها مكان يعرف أنه يذبح فيه لغيره الله، أو أنَّ فيها مكانًا يُتبرك به، وليس فيها مجاهرة بأعمال السحر والكهانة، بل هي

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٤٢٠).

قائمة على منع وإزالة كل ما يشوب العقيدة الإسلامية الصافية، واحتساب الدولة على قائم على منع هذه الأمور كلها.

ثم هي تطبق شريعة الإسلام في أنظمتها ومحاكمها، فلا سلطة إلا لسلطان الشريعة.

ثم هي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وهو تنفيذ لأمر الله في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [الحَجّ: ٤١].

وهي تقوم بواجب الدعوة إلى الله، وهذا الأمر من أوضح الأمور وشواهده قائمة لا تحتاج إلى تبيان، نسأل الله أن يزيد ولاة هذه البلاد توفيقًا وسدادًا.

٦- جاء في المادة التاسعة والثلاثين: (تلتزم وسائل الإعلام والنشر وجميع وسائل التعبير بالكلمة الطيبة، وبأنظمة الدولة، وتُسهم في تثقيف الأمة ودعم وحدتِها، ويُحظر ما يؤدي إلى الفتنة، أو الانقسام، أو يمس بأمن الدولة وعلاقاتها العامة، أو يُسيء إلى كرامة الإنسان وحقوقه، وتبين الأنظمة كيفية ذلك).

وهذه المادة كسابقاتها في تحديد الهوية الثقافية والإعلامية للدولة، واتساقها مع الشريعة الإسلامية، وحظر ما يؤدي إلى الفتنة والانقسام بين أفراد الشعب، أو يمس أمن الدولة، أو يسئ إلى كرامة الإنسان، والاحتساب على ذلك.



الخاتمة

وفيها أبرز النتائج

الحمد لله الذي تمم لنا المراد من هذا الكتاب، وأسأله أن يمنَّ علينا فيه بإصابة الصواب، وإخلاص النية له ﷻ.

ثم إنِّي أذكر أهم ما انتهيتُ إليه:

١ - أن المعروف اسم جامع لكل ما عرف حسنه ونفعه شرعًا وعقلاً.

٢ - أنَّ المنكر اسم جامع لكل ما عرف قبحه شرعًا وعقلاً.

٣ - أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أجل العبادات.

٤ - أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له فضائل عديدة، فهو دعوة الرسل عليهم السلام، وهو من خصال أهل الإيمان، ومن أعمال أهل الجنة.

٥ - وردت آيات كريمة وأحاديث نبوية عديدة في الحث على شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومدح أهلها، والتحذير من تركها.

٦ - حياة النبي ﷺ كلها أمر ونهي.

٧ - لم يزل أهل العلم يذكرون أهمية هذه الشعيرة في مصنفاتهم؛ لما لها من أهمية بالغة على الفرد والمجتمع.

٨ - الأمر بالمعروف والنهي المنكر من الواجبات الكفائية، ويكون القيام بهما عينيًا في حالات معينة.

٩ - للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر شروط وآداب أهمها: العلم، والعدل، والرفق والحلم، والحكمة، والصبر، وأن يكون قدوة حسنة لغيره.

١٠ - للمنكر الذي ينهى عنه شروط أهمها: أن يكون محل اتفاق، وأن يكون ظاهرًا من غير تجسس، وأن يكون قائمًا في الحال، وأن يكون لدى الآمر والناهي القدرة على الإنكار.

١٢ - الستر على المسلمين مقصد عظيم من مقاصد الشريعة.

١٣ - هناك ارتباط بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والضرورات الخمس.

١٤ - لا تزال هذه الدولة ترعى أوامر الله، وتذود عن حياض الشريعة، وتعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ بفهم سلفنا الصالح رضوان الله عليهم وتدعو إليهما، وتوليهما العناية التامة.

أسأل الله ﷻ أن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يهدي المسلمين وأن يردهم إليه ردًا جميلاً، وأن يؤلِّف بين قلوبهم، وأن يصلح ذات بينهم، وأن يوفق ولاة أمرنا لكل خير.

اللهم وفِّقْ إمامَنا لكل خير.

اللهم كن له عونًا في كل ما أهمَّه.

اللهم انصر به دينك وأعْلِ به كلمتك.

اللهم اجمع به كلمةَ الأُمَّةِ على الخير، وبارك له في مساعيه واجعل مساعيه فيما يقدم إليك زلفى.

اللهم حقِّق له ما نوى إليه من الخير وما أراد من الخير.

اللهم اجمع به كلمة الأمة ووحِّد به صفوفها على الخير، واجعله سببًا لحقن الدماء واجتماع القلوب.

اللهم شدَّ عضده بولي عهده، وبارك له في مساعيه الخيرة.

اللهم ارزقهما بطانة صالحة ووفقهما للصواب فيما يقولان ويفعلان، إنك على كل شيء قدير

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحَشر: ١٠].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعرَاف: ٢٣].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البَقَرَة: ٢٠١].






فهرس المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم.**
* **الاعتصام**، الشاطبي، ت: محمد الشقير وآخرين، ط١، دار ابن الجوزي، ١٤٢٩هـ.
* أحكام القرآن، ابن العربي، ت: محمد عطا، ط٣، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.
* **إحياء علوم الدين**، أبو حامد الغزالي، ط٢، دار المنهاج، ١٤٣٤هـ.
* **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، الشنقيطي، دار الفكر، ١٤١٥هـ.
* **أعلام الموقعين عن رب العالمين**، ابن القيم، ت: مشهور حسن، ط١، دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ.
* **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، ابن تيمية، ت: ناصر العقل، ط٧، دار عالم الكتب، ١٤١٩هـ.
* **الآداب الشرعية والمنح المرضية**، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٩هـ.
* **الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف**، شكيب أرسلان، دار النوادر، ط١، ١٤٢٦هـ.
* **الاستذكار**، ابن عبد البر، ت: محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ.
* **الاستقامة**، ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٤هـ.
* **الإمام العادل صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن: سيرته - بطولته - سر عظمته**، السيد عبد الحميد الخطيب، ط١، مطبعة البابي الحلبي، ١٣٧٠هـ.

* **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، أبو بكر الخلال، ت: يحيى مراد، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.
* **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، للإمام عبد الغني المقدسي، ت: سمير الزهيري، ط١، مكتبة أضواء السلف، ١٤١٦هـ.
* **التطبيقات العملية للحسبة في المملكة العربية السعودية**، طامي البقمي، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١٣هـ.
* **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، ط١، دار الكتب المصرية.
* **الحسبة**، ابن تيمية، ط١، مطبعة المؤيد، ١٣١٨هـ.
* **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، ط٦، ١٤١٧هـ.
* **الروض المربع شرح زاد المستقنع**، ت: عبد القدوس نذير، ط١، مؤسسة الرسالة.
* السنن الكبرى، البيهقي، ت: محمد عبد القادر عطا، ط٣، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.
* **السنن الكبرى**، النسائي، ت: شعيب الأرنؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.
* **الصحاح = تاج اللغة وصحاح العربية**، الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ.
* **الطبقات الكبرى**، ابن سعد، ت: إحسان عباس، ط١، دار صادر، ١٩٦٨م.
* **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، ابن القيم الجوزية، ت: نايف بن أحمد الحمد، ط١، دار عالم الفوائد، ١٤٢٨هـ.
* **الفتاوى الكبرى**، ابن تيمية، ت: محمد عطا، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.
* **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ابن حزم، مكتبة الخانجي.
* **الفنون**، ابن عقيل، ت: جورج مقدسي، ط١، دار المشرق، ١٩٧٠م.




* **القواعد الكبرى = قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، العز بن عبد السلام، ت: نزيه حماد، وعثمان ضميرية، ط١، دار القلم، ١٤٢١هـ.

* **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، الزمخشري، ط٣، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

* **الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، عبد الرحمن بن داود، ت: مصطفى صميدة، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.

* **المجموع شرح المهذب**، للنووي، تحقيق: محمد المطيعي، مكتبة الإرشاد.

* **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية الأندلسي، ت: عبد السلام عبد الشافي، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

* **المحلى**، ابن حزم، ت: أحمد شاكر، ط١، المطبعة المنيرية.

* **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم، ت: مصطفى عطا، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.

* **المستدرك على مجموع الفتاوى**، جمع: محمد بن قاسم، ط١، ١٤١٨هـ.

* **المعين على تفهم الأربعين**، ابن الملقن، ت: دغش العجمي، ط١، مكتبة أهل الأثر، ١٤٣٣هـ.

* **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار**، العراقي، ت: أشرف عبدالمقصود، ط١، مكتبة طبرية، ١٤١٥هـ.

* **المغني**، ابن قدامة، ت: عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، ط٣، دار عالم الكتب، ١٤١٧هـ.

* **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، النووي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ.

* **الموافقات**، الشاطبي، ت: مشهور حسن سلمان، ط١، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ.

* **الموطأ**، الإمام مالك، ترقيم: فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ.

* **النهاية في غريب الحديث**، ابن الأثير، ت: طاهر الزواوي، ومحمود الطناحي، ط١، ١٣٩٩، المكتبة العلمية.

* **بيان الدليل على بطلان التحليل**، ابن تيمية، ت: حمدي السلفي، ط١، المكتب الإسلامي.

* **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، ابن تيمية، ت: مجموعة من المحققين، ط١، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ.

* **تاريخ الرسل والملوك**، ابن جرير الطبري، ط٢، دار التراث، ١٣٨٧هـ.

* **تفسير ابن كثير**، تحقيق: سامي السلامة، ط٢، دار طيبة، ١٤٢٠هـ.

* **تفسير البغوي**، ت: محمد النمر، ط٤، دار طيبة، ١٤١٧هـ.

* **تفسير السمعاني**، ت: ياسر غنيم، ط١، دار الوطن، ١٤١٨هـ.

* **تفسير القرآن العظيم**، ابن أبي حاتم، ت: أسعد الطيب، ط٣، مكتبة نزار الباز، ١٤١٩هـ.

* **تفسير الماوردي = النكت والعيون**، ت: السيد عبد الرحيم، ط١، دار الكتب العلمية.

* **تهذيب التهذيب**، ابن حجر، ط١، مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٦هـ.

* **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ابن سعدي، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

* **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري، ت: عبد الله التركي، ط١، دار هجر، ١٤٢٢هـ.

* **جامع الترمذي**، تحقيق: أحمد شاكر، ط٣، مطبعة البابي، ١٣٩٥هـ.

* **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم**، ابن رجب، ت: شعيب الأرنؤوط، ط٧، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ.

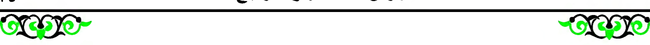
* **جريدة أم القرى**، السنة (٩) العدد (٤٤٠).

* **جريدة الرياض**. العدد (١٥٢٤١)، (١٥٥٣٤).



* **جريدة اليوم**. العدد (١٢٥٨٤).
* **جهود الأمير عبد الله بن عبد العزيز في الدعوة إلى الله**، ملكة بنت سعود آل جربا، ط١، دار الرفاعي.
* **رحلة ابن جبير**، ط١، دار ومكتبة الهلال.
* **روضة الطالبين وعمدة المفتين**، النووي، ت: زهير الشاويش، ط٣، المكتب الإسلامي، ١٤١٢هـ.
* **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ابن القيم، ت: شعيب الأرنؤوط، ط٢٧، مؤسسة الرسالة.
* **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، الألباني، ط١، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ
* **سنن ابن ماجه**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ.
* **سنن أبي داود**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ.
* **شرح العقيدة السفارينية**، ابن عثيمين، ط١، مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية.
* **شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال**، العز بن عبد السلام، ت: أحمد فريد، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.
* **صحيح البخاري**، دار التأصيل، ١٤٣٦هـ.
* **صحيح الترغيب والترهيب**، الألباني، ط١، مكتبة المعارف، ١٤٢١هـ.
* **صحيح مسلم**، دار التأصيل، ١٤٣٥هـ.
* **غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب**، السفاريني، ت: محمد الخالدي، ط١، دار الكتب العلمية.
* **فتاوى نور على الدرب**، ابن باز، جمع: محمد الشويعر، ط١، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

* **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ابن حجر، ط١، المطبعة السلفية، ١٣٨٠هـ.
* **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير**، الشوكاني، ط١، مطبعة البابي الحلبي.
* **لسان العرب**، ابن منظور، ط٣، دار صادر، ١٤١٤هـ.
* **لقاءات الباب المفتوح**، ابن عثيمين، ط١، مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية.
* **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن القاسم، ط١، مطبعة الرياض، ١٣٨١هـ.
* **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**، عبد العزيز بن باز، جمع: محمد الشويعر، ط٤، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.
* **مجموعة الرسائل والمسائل النجدية**، ط١، مطبعة المنار.
* **محاسن التأويل**، القاسمي، ت: محمد باسل، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.
* **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ابن القيم، ت: محمد المعتصم بالله، ط٣، دار الكتاب العربي، ١٤١٦هـ.
* **مذكر أصول الفقه**، الشنقيطي، ط٥، مكتبة العلوم والحكم، ٢٠٠١م.
* **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.
* **مسند البزار**، ت: محفوظ زين الله وآخرين، ط١، مكتبة العلوم والحكم، ١٩٨٨م.
* **مصنف ابن ابي شيبة**، ت: كمال الحوت، ط١، مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ.
* **مصنف عبد الرزاق**، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ.
* **معالم السنن**، الخطابي، ط١، المطبعة العلمية بحلب، ١٣٥١هـ.



* **معالم القربة في طلب الحسبة**، محمد القرشي المشهور بابن الإخوة، ت: محمد شعبان، وصديق المطيعي، ط١، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٦م.

* **مقاصد الشريعة الإسلامية**، الطاهر بن عاشور، ت: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط١، مجمع الفقه الإسلامي، ١٤٢٥هـ.

* **مقاصد الشريعة وعلاقتها بالأدلة الشرعية**، محمد اليوبي، ط١، دار الهجرة، ١٤١٨هـ.

* **موقع فضيلة الشيخ صالح الفوزان على شبكة الإنترنت**

(https://www.alfawzan.af.org.sa/ar)






فهرس الموضوعات

أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
في تحقيق الأمن الشامل





المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر











تأليف

عبدالرحمن بن عبدالله السند

الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
والمدرس بالحرمين الشريفين





مقدمة

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا؛ من يهده الله فلا مضلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأَشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، أمَّا بعد:

فإنَّ الله خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه، وابتلاهم بالسراء والضراء، والصحة والمرض، ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، وجعل من أركان الإيمان به ﷻ: الإيمان بالقضاء والقدر.

ومما يكتبه الله على بعض بني آدم الابتلاء في جسده بأنواع من الأوجاع الحسيَّة والمعنوية، فيبتلى المرء على حسب دينه.

ومن عظيم فضله ورحمته ﷻ أنه ما أنزل من داء إلا وأنزل له دواء، وأرشد الناس إلى التداوي على لسان نبيه ﷺ[1].

وجعل من كلامه ﷻ شفاء للأوجاع: قراءة، وتدبرًا، واستشفاء بالرُّقية به، كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وصحَّ عن نبينا محمد ﷺ جملة من الأذكار التي تقال في الصباح والمساء، وأذكار تقال حين المرض؛ فيرقي المريض بها نفسه، أو يُرقَى بها.

(١) سيأتي تفصيل ذلك بإذن الله تعالى.

وفي هذا الزمان أصبحت الرقية مهنة للتكسب عند بعض الناس وادَّعاها من ليسوا بأهل لها، وأصبح يؤخذ عليها الأجور العالية بحسب طريقة الرقية وهذه إحدى الفتن فيها.

والأخرى ما يقع من بعضهم من تجاوزات أثناء الرقية على النساء مما يكون فتنة له وللمريض، والرقية ذكرٌ ودعاء تحتاج إلى إخلاص وصدق التجاء إلى الله، فأين هذا ممن ابتلي بذلك!

وهذان الأمران وغيرهما جعلا بعض الرقاة يتعاطى الرقية على غير وجهها الشرعي إمَّا بأمور شركية، أو أمور محرمة تعود على ذات الراقي، أو المرقي، أو المرقي به.

من أجل ذلك أردتُ الكتابة في هذا الأمر: نصحًا، وتبيينًا، وإرشادًا؛ للراقي والمرقي.

وقد انتظم الكلام في هذا الكتاب وفق ما يلي:

١- **المقدمة**، وقد ذكرت فيها سبب التأليف، والحاجة إليه.

٢- **التمهيد**، وقد ذكرت فيه المطالب التالية:

المطلب الأول: الإيمان بالقضاء والقدر.

المطلب الثاني: البلاء والمرض امتحان من الله ﷻ.

المطلب الثالث: حكم التداوي من المرض.

المطلب الرابع: تعريف الرقية لغة واصطلاحًا، والألفاظ ذات الصلة: التميمة - التِّوَلة - النُّشْرة - الوَدَعَة.

الفصل الأول: أركان الرقية، وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: الراقي، وشروطه.

المطلب الثاني: المرقي، وشروطه.

المطلب الثالث: المرقي به، وشروطه.

الفصل الثاني: أنواع الرقية، وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: الرقية الشرعية، **وفيه مبحثان:**

المبحث الأول: ضابط الرقية الشرعية.

المبحث الثاني: ألفاظ الرقية اجتهادية.

المطلب الثاني: الرقية الممنوعة، **وفيه مبحثان:**

المبحث الأول: الرقية الشركية.

المبحث الثاني: الرقية المحرمة.

الفصل الثالث: كيفية العلاج بالرقية الشرعية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العلاج قبل وقوع الداء.

المطلب الثاني: العلاج بعد وقوع الداء.

المطلب الثالث: الأذكار الواردة في الرقية.

الفصل الرابع: المخالفات الشرعية في الرقية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المخالفات الشرعية على الرقاة.

المطلب الثاني: المخالفات الشرعية على المرقي.

المطلب الثالث: المخالفات الشرعية في المرقي به.

أسأل الله أن ينفع بالمسطور، وأن يجعله ذخرًا لي يوم النشور، وصلى الله على نبينا محمد.






التمهيد

المطلب الأول

الإيمان بالقضاء والقدر

تقوم العقيدة الإسلامية على ستة أصول، وهي: الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وهذه الأصول العظيمة هي أصول الدِّين التي يتفرع عنها كل ما يجب الإيمان به من أمور الغيب، وجميع ما أخبر الله به ورسوله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥].

أي: المرجع والمآب، وهو يتضمن الإيمان باليوم الآخر(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القَمَر: ٤٩].

وأخرج مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منَّا أحد،

(١) لم يذكر في الآية الإيمان بالقضاء والقدر، ووجه ذلك أنَّ الإيمان بالله جل جلاله يتضمنه، فإنَّ القدر عائدٌ إلى علم الله وتقديره للمقادير ومشيئته وقدرته وخلقه، وكل ذلك داخلٌ في الإيمان بالله جل جلاله.

حتى جلس إلى النَّبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**»، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله، ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**» قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: «**أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**»، قال: ثم انطلق فلبثت مليًا، ثم قال لي: «**يا عمر أتدري من السائل؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[١].

والقضاء لغة: إحكام الشيء وإتمام الأمر[٢].

والقَدَر لغة - كما قال ابن فارس - أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء، وكُنهِه، ونهايته[٣].

ومعنى القضاء والقدر في الشرع: هو أن الله تبارك وتعالى قدَّر الأشياء في الأزل وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرجه مسلم (٨).

(٢) ينظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١/ ١٥٤).

(٣) «مقاييس اللغة» (٥/ ٦٢).

وهذا الإيمان يتضمن أمورًا أربعة:

الأول: العلم، أن يؤمن العبد بأن الله ﷻ علم كل شيء، وأنه لا يخفى عليه شيء، فهو سبحانه وتعالى عالم بالعباد وآجالهم وأرزاقهم وأحوالهم، وأهل الجنة منهم، وأهل النار منهم قبل أن يخلقهم.

قال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطّلَاق: ١٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النّجم: ٣٠].

الثاني: الكتابة، أن يؤمن العبد بأنَّ الله ﷻ كتب الأشياء قبل وجودها، كما قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحَديد: ٢٢].

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة**»[١].

الثالث: المشيئة، فيؤمن العبد أن مشيئة الله نافذة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن؛ قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

الرابع: الإيمان بأن الله خالق كل شيء، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرّعد: ١٦].

قال الطحاوي رحمه الله تعالى: «خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقداراً،

---

(١) مسلم (٢٦٥٣).

وضرب لهم آجالاً، ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم، وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته، وكل شيء يجري بتقديره، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم؛ فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن، يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلًا، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلًا، وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله، وهو متعالٍ عن الأضداد والأنداد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحُكمه، ولا غالب لأمره، آمنَّا بذلك كله، وأيقنا أنَّ كلًّا من عنده... وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه: لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلّم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك: نظرًا، وفكرًا، ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه،... والخير والشر مقدران على العباد»[١].

والإيمان بالقضاء والقدر يورث لدى العبد إيمَانًا وتسليمًا بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

ومن ثمرات هذا التسليم:

الطمأنينة والراحة النفسية بما يجري عليه من أقدار الله تعالى، فلا يقلق بفوات محبوب أو حصول مكروه؛ لأن ذلك بقدر الله تعالى، وهو كائن لا محالة.

وأنَّ المصائب تهون على العبد؛ لعلمه أن ذلك بقدر الله تعالى، وما كان من عند الله تعالى، فالرضا به والتسليم له شأنُ كل عاقل.

---

(١) «متن العقيدة الطحاوية» (ص ١٠) وما بعدها.

قال ابن القيم رحمه الله: «القضاء والقدر فعل عادل حكيم غني عليم يضع الخير والشر في أليق المواضع بهما»[١].



(١) «شفاء العليل» (ص٩٧).




المطلب الثاني
البلاء والمرض امتحان من الله ﷻ

إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه لما خلق العباد وخلق الموت والحياة وجعل ما على الأرض زينة لها ليبلو عباده ويختبرهم أيهم أحسن عملاً لم يكن في حكمته بد من تهيئة أسباب الابتلاء في أنفسهم وخارجًا عنها.

فالابتلاء سنة ماضية، ومهيع مألوف على الخلق، والله ﷻ جعل الابتلاء تذكيرًا للخلق بحقارة هذه الدنيا، وأنَّها دار ممرٍّ، لا دار مقرٍّ، بل من عظيم رحمة الله بالعباد «أن نغص عليهم الدنيا وكدرها لئلا يسكنوا إليها، ولا يطمئنوا إليها، ويرغبوا في النعيم المقيم في داره وجواره، فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان، فمنعهم ليعطيهم، وابتلاهم ليعافيهم، وأماتهم ليحييهم»[١]، فضلاً عن تحقيق العبودية لله ﷻ وإظهار الافتقار إليه، والخضوع له، والانطراح بين يديه تألهًا ورجاء.

سُئل النبي ﷺ: أيُّ الناس أشد بلاءً؟ قال: «**الأنبياء، ثم الأَمْثَلُ فالأمثل، يُبتلَى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زِيدَ صلابةً، وإن كان في دينه رقَّةٌ خُفِّف عنه، ولا يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**»[٢].

---

(١) «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٧٥).

(٢) أخرجه أحمد (١٤٩٤)، والترمذي (٣٢٨٩) دون السؤال، وقال عقبه: هذا حديث حسن صحيح، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٣/٧٨)، والألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١/ ١٤٢).



قال ابن القيم رَحِمَهُ الله: «والله - سبحانه - إذا أراد بعبد خيرًا سقاه دواء من الابتلاء، والامتحان على قدر حاله يستفرغ به من الأدواء المهلكة حتى إذا هذبه ونقَّاه وصفَّاه أهله لأشرف مراتب الدنيا، وهي عبوديته وأرفع ثواب الآخرة، وهو رؤيته وقربه»(١).

واعلم - يا عبدَ الله - أنَّ هذا الابتلاء من الله يحقق أمورًا قد لا تصيبها وأنت في تمام عافيتك، ومن ذلك:

الأول: أنَّ الصبر والرضا عبادتان عظيمتان لا تظهران إلا في وقت المحن والبلايا، وهما من درجات العبودية لله ﷻ، ولا يصيبهما العبد إلا بحدوث ما يستجلبهما.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٦-١٥٧].

والمصيبة إذا وقعت فإن العبد المصاب لا يخرج عن أربع حالات:

الأولى: السخط والجزع، وهو كبيرة من كبائر الذنوب، ويكون ذلك إما بالقلب باعتقاد أنَّ الله ظلمه بهذه المصيبة، أو باللسان بأن يدعو بالويل والثبور، أو يسب المصيبة، أو بالجوارح بلطم الخد أو شق الجيب، ونحوهما.

قال ابن القيم رَحِمَهُ الله: «وهذا ما لا يفعله إلا أقل الناس عقلاً ودينًا ومروءة»(٢)، وذلك أنَّ حقيقته اعتراض على قدر الله، وعدم التسليم لله ﷻ، وهي شكوى الله، لا الشكوى إلى الله.

(١) «زاد المعاد» (٤/ ١٧٩).

(٢) «عدة الصابرين» (ص٦٧).

الثاني: الصبر، بأن يحبس نفسه قلبًا ولسانًا وجوارح عن التسخط، وهذا واجب، كما قال النبي ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرًا له**»(١).

الثالث: الرضا، وهو انشراح الصدر وسعته بالقضاء وترك تمني زوال الألم، وإن وجد الإحساس بالألم، لكن الرضا يخففه بما يباشر القلب من روح اليقين. وجمهور العلماء على أن الرضا بالمَقْضِي مستحب، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية(٢).

الرابع: الشكر، وهو أعلى المقامات وأشرفها، فيشكر الله تعالى عليها، وكان النبي ﷺ إذا رأى ما يكره قال: «**الحمد لله على كل حال**»(٣).

قال شيخنا ابن باز رحمه الله: «الواجب الصبر؛ أمَّا الرضا والشكر فهما مستحبان، وعند المصيبة ثلاثة أمور: الصبر وهو واجب، والرضا سنة، والشكر أفضل»(٤).

الثاني: أنَّ هذا المرض والبلاء مكفران للذنوب؛ كما أخرج الشيخان عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يصيبه أذى إلا حاتَّ الله عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر**»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

(٢) ينظر: «عدة الصابرين» (ص٦٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٣)، والحاكم (١٨٤٠).

(٤) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١٣/ ٤١٣).

(٥) البخاري (٥٣٢٣)، مسلم (٢٥٧١).

وأخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **«ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه»**[١].

الثالث: أنَّ المرض يكون سببًا لرفع درجات العبد في الآخرة، كما روى ابن حبان والحاكم وغيرهما عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة، فما يبلغها بعمل فما يزال الله يبتليه بما يكره، حتى يبلغه إياها»**[٢].

الرابع: إظهار عبودية العبد لله ﷻ بالتضرع والتذلل، والتعبد له بالدعاء والتأله.

قال ابن الجوزي ﷺ: «يَبِيْن إيمان المؤمن عند الابتلاء، فهو يُبالغ في الدُّعاء، ولا يرى أثرًا للإجابة، ولا يتغير أمله ورجاؤه، ولو قويت أسباب اليأس؛ لعلمه أنَّ الحقَّ [ﷻ] أعلم بالمصالح، أو لأنَّ المراد منه الصبر أو الإيمان؛ فإنه لم يَحكم عليه بذلك إلا وهو يريد من القلب التسليم، لينظر كيف صبره، أو يريد كثرة اللجأ والدعاء.

فأما من يريد تعجيل الإجابة، ويتذمر إن لم تتعجل، فذاك ضعيف الإيمان، ويرى أن له حقًّا في الإجابة، وكأنه يتقاضى أجرة عمله... فإياك إياك أن تستطيل زمان البلاء، وتضجر من كثرة الدعاء؛ فإنك مبتلى بالبلاء، متعبد بالصبر والدعاء، ولا تيأس من روح الله، وإن طال البلاء»[٣].

---

(١) البخاري (٥٦٤١).

(٢) أخرجه ابن حبان (٢٩٠٨)، والحاكم (١٢٧٤)، وأبو يعلى (٦٠٩٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٣٩٢).

(٣) «صيد الخاطر» (ص٤٣٨).



المطلب الثالث

حكم التداوي

تتقلب حال الإنسان في هذه الحياة ما بين الصحة والمرض، وهو شيء قد كتبه الله على خلْقه - كما سبق بيانه - بما اقتضته حكمة الله ﷻ.

ومما هو مسلم به أنَّ الشفاء من عند الله، فلا شافي إلا هو؛ كما قال ﷺ: «اشْفِ أنت الشافي»[(١)].

وقد شرع الله تعاطي الأسباب لرفع الأمراض الحسية والمعنوية مع تمام التوكل على الله.

وقد اتفق أهل العلم على إباحة التداوي في الجملة[(٢)]، وذهب جمهورهم إلى عدم وجوب التداوي[(٣)].

أمَّا أقوالهم في حكم التداوي فهي كما يلي:

القول الأول: استحباب التداوي، وهو مذهب الشافعية، واختاره بعض الحنابلة، وقال النووي: هو مذهب جمهور السلف وعامة الخلف[(٤)]. وهو اختيار شيخنا ابن باز رحمه الله، وهو الصحيح.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤٢).

(٢) «التمهيد» (٣/ ٦٨٠).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢١/ ٥٦٤).

(٤) «البيان في مذهب الشافعي» (٣/ ٩)، «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ١٩١)، «الفروع» (٣/ ٢٣٩).



واستدلوا بأحاديث كثيرة منها:

١ - ما أخرجه مسلم عن جابر ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله ﷻ**»[١].

٢ - عموم الأحاديث الصحيحة الواردة في الرقية تدل على استحباب التداوي.

القول الثاني: وجوب التداوي، وهو اختيار بعض المالكية والشافعية والحنابلة[٢].

واستدلوا: بما أخرجه أحمد وأصحاب السنن عن أسامة بن شريك ﷺ أن رسول الله ﷺ، قال: «**تداووا عباد الله، فإن الله ﷻ لم ينزل داء، إلا أنزل معه شفاء، إلا الموت، والهرم**»[٣].

القول الثالث: جواز التداوي، وهو مذهب الحنفية والمالكية[٤].

واستدلوا: بأدلة من استحب التداوي.

القول الرابع: جواز التداوي إلا أنَّ تركه أفضل اتكالاً على الله ﷻ، وهو المنصوص عن الإمام أحمد، واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية[٥].

---

(١) مسلم (٢٢٠٤).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٨/ ١٢)، «الفروع» (٣/ ٢٣٩).

(٣) أخرجه أحمد (١٨٤٥٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٩١)، والترمذي (٢٠٣٨)، وأبو داود (٣٨٥٥)، وابن ماجه (٣٤٣٦)، والنسائي (٧٥١٢).

(٤) «حاشية ابن عابدين» (٦/ ٣٦٣)، «الذخيرة» (١٣/ ٣٠٧)

(٥) «الإنصاف» (٦/ ١٠)، «مجموع الفتاوى» (٢١/ ٥٦٣)

واستدلوا بما يلي:

١ - ما أخرجه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنه في حديث السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وفيه: «**هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**»[1].

٢ - ما أخرجه الشيخان عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النَّبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك**»، فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله لي ألَّا أتكشف، فدعا لها[2].

والصحيح: أنَّ العلاج لا ينافي التوكل ولا تمامه، فقد كان رسول الله ﷺ سيد المتوكلين وكان يتوكل على الله، ويطلب فضله في أسبابه الجارية بها عادته.

قال شيخنا ابن باز رحمه الله: «تعاطي الأسباب التي يحتاج إليها أمر مطلوب ومشروع، وتوقي أسباب الهلاك أمر واجب متحتم، والله فطر العباد على هذا الشيء، وجاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو لا ينافي التوكل. التوكل: الثقة بالله والاعتماد عليه، والتفويض إليه، والإيمان بأنه مسبب الأسباب، وأن كل شيء بقضائه وقدره، ومن ذلك فعل الأسباب، المتوكل يعتمد على الله ويثق به، ويعلم أن كل شيء

(١) البخاري (٥٧٠٥)، مسلم (٣٧٤).
(٢) البخاري (٥٦٥٢)، مسلم (٢٥٧٦).



بقضائه وقدره، ومع ذلك يأخذ بالأسباب، يأكل لئلا يجوع، يشرب لئلا يهلك، يستدفئ في الشتاء عن البرد، إلى غير هذا من الأسباب التي شرعها الله لعباده»[١].

وقد ذهب **مجمع الفقه الإسلامي** إلى مشروعية التداوي، وأن أحكام التداوي تختلف باختلاف الأحوال والأشخاص:

فيكون واجباً: إذا كان تركه يفضي إلى تلف نفسه أو أحد أعضائه أو عجزه، أو كان المرض ينتقل ضرره إلى غيره كالأمراض المعدية.

ويكون مندوباً: إذا كان تركه يؤدي إلى ضعف البدن ولا يترتب عليه ما سبق في الحالة الأولى.

ويكون مباحاً: إذا لم يندرج في الحالتين السابقتين.

ويكون مكروهاً: إذا كان بفعلٍ يخاف منه حدوث مضاعفات أشد من العلة المراد إزالتها[٢].



---

(١) «فتاوى نور على الدرب» (٤/ ٢٤)، وينظر: «الذخيرة» للقرافي (١٣/ ٣٠٧).

(٢) «مجلة مجمع الفقه الإسلامي» العدد السابع (٣/ ٥٦٣)، وينظر: «التمهيد» (٣/ ٦٨٠)، «مجموع الفتاوى» (١٨/ ١٠)، «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١/ ٢٠١).




المطلب الرابع

تعريف الرقية لغة واصطلاحًا، والألفاظ ذات الصلة: التميمة - التِّولة - النُّشرة - الودعة.

الرقية في اللغة: بضم الراء، وهي العُوذة والجمع رُقى، واسترقاه يرقيه رُقية فهو راقٍ، يقال: رقى الراقي رُقية ورُقيًا إذا عَوَّذ ونفث في عُوْذته، وهي الرقية التي يرقي بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات[(١)].

وفي الاصطلاح: قال القرافي رحمه الله: «هي ألفاظ خاصَّة يحدث عندها الشفاء من الأسقام والأدواء والأسباب المهلكة»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «والاسترقاء طلب الرقية وهو من أنواع الدعاء»[(٣)].

وقال العَدَويُّ المالكي رحمه الله «الرقية هي العُوذة - بضم العين - ما يرقى به من الدعاء لطلب الشفاء»[(٤)].

وعليه؛ فنقول إنَّ الرقية هي: تعويذ المريض بقراءة شيء من القرآن العظيم، أو بالأدعية الشرعية بما يعرف معناه مع النفث أو بدونه.

---

(١) ينظر: «الصحاح» (٦/ ٢٣٦١)، «لسان العرب» (١٤/ ٣٣٢)، «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٢٥٤).

(٢) «الفروق» (٤/ ١٧٤) والصحيح: أن الشفاء يحصل بها.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٦٨).

(٤) «حاشية العدوي على رسالة أبي زيد» (٢/ ٤٥٢).




ومما يتصل بالرقية من الألفاظ:

النُّشرة: وهي ضرب من العلاج والرقية، يعالج به من كان يظن أن به مسًّا من الجن، سميت نُشرة، لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء، أي: يكشف ويزال، وقد اختصت بحلِّ السحر عن المسحور[١].

وهي نوعان:

الأول: حل السحر عن المسحور بسحر مثله، وهو محرم، وهو الذي قال فيه الحسن: «لا يحل السِّحر إلا السَّاحر»، حيث يتقرب النَّاشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور.

الثاني: حل السحر بالأدعية والرقى المباحة من القرآن والسنة، فهذا جائز[٢].

قال شيخنا ابن باز رَحِمَهُ الله: «حل السحر بالنشرة الشيطانية التي يتعاطاها السحرة، لا يجوز وهو من عمل الشيطان، هكذا قاله المصطفى[٣]، فلا يجوز حلها بطريق السحرة، يعني لا يجوز حل السحر بطريق السحرة، وذلك ما يسمى النشرة، ولكن يحل بطريق القراءة والأدوية المباحة»[٤].

الودعة: وهي شيء أبيض يجلب من البحر يعلق في أعناق الصبيان وغيرهم[٥].

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص٣٥٦)، «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» (١/ ٣٧٧).

(٢) **ينظر:** «أعلام الموقعين» (٤/ ٣٠١)، «زاد المعاد» (٤/ ١١٦).

(٣) أخرج أحمد (١٤٣٥١)، وأبو داود (٣٨٦٨) والبيهقي (١٩٦٧٤) عن جابر بن عبد الله، قال: سئل رسول الله ﷺ عن النشرة فقال: «**هو من عمل الشيطان**».

(٤) «فتاوى نور على الدرب» عناية د. عبد الله الطيار (١/ ٢٠٠).

(٥) «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ١٦٨).

التميمة: جمعها تمائم، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادها يتقون بها العين.

التِّوَلة: نوع من السحر يحبب المرأة إلى زوجها.

وكل هذه الأمور - أعني النشرة والودعة والتميمة والتولة - لا يجوز فعلها ولا تعليقها، وقد صح عنه ﷺ قوله: «**من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له**»(١)، وفي رواية: «**من علق تميمة فقد أشرك**»(٢).



(١) أخرجه أحمد (١٧٤٠٤)، والحاكم (٧٥٠١)، والبيهقي (١٩٦٠٥)، وصححه شيخنا ابن باز في «فتاوى نور على الدرب» (١٢/ ١٢٧).

(٢) أخرجها أحمد (١٧٤٢٣).



الفصل الأول

أركان الرقية

وفيه المطالب التالية

المطلب الأول: الراقي، وشروطه.

المطلب الثاني: المرقي، وشروطه.

المطلب الثالث: المرقي به، وشروطه.




المطلب الأول

تعريف الراقي، وشروطه

الراقي: اسم فاعل من رقى، وهو صانع الرقية، ومن يمارس الرقية.

وقد وصف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ الراقي بأنه مجاهد في سبيل الله، ووصف عمله بأنه أعظم الجهاد[١].

فحريٌّ بمن هذا وصفه ومن هذه صنعته أن تكون له شروط يستحق بها هذا الوصف، ومن أهم هذه الشروط:

الأول: الإسلام، فالأصل أن الرقية عبادة؛ لأنها بألفاظ شرعية يتعبد بها الراقي طالبًا الشفاء من الله بها للمرقي، فلا تصحُّ من كافر ولا مشرك، ولا كتابيٍّ على الصحيح.

الثاني: الصلاح والاستقامة، فإنَّ لصلاح الراقي أثرًا في الانتفاع برقيته، فيكون الراقي ذا صلاح واستقامة ومحافظًا على شعائر الإسلام، محافظًا على الصلوات الخمس، متجانفًا عن المعاصي والمجاهرة بها، متعلقًا بالله جَلَّ وَعَلَا، حريصًا على إطابة مطعمه.

أخرج مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا

---

(١) ينظر: «مجموع الفتاوى» (١٩/ ٥٣).

تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البَقَرَة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟»[1].

ومن ذلك البعد عن المخالفات الشرعية أثناء القراءة، كمس النساء والاقتراب منهنَّ بدعوى رقيتهنَّ، كما سيأتي بإذن الله تعالى.

الثالث: الإخلاص لله ﷻ، فلا يكون من أهل الشركيات والمبتدعات، وأن تكون نيته نفع أخيه المسلم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البَيِّنَة: ٥].

وقال ﷺ: **«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»**[2].

الرابع: العلم، والمقصود بذلك العلم المقيد بما يختص بالرقية، فيكون لديه علم بشروط الرقية، وآدابها، وموانعها، وما يجوز منها، وما لا يجوز، ويكون حافظًا لألفاظ الرقية الشرعية، وأن يؤديها بطريقة شرعية، فإن أشكل عليه شيءٌ كشف هذا الإشكال بسؤال أهل العلم الثقات.



---

(١) مسلم (١٠١٥).

(٢) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).




المطلب الثاني

تعريف المرقي، وشروطه

المرقي: اسم مفعول من رُقي يُرقى، وهو من يطلب الرقية، سواء من نفسه أو من غيره.

وليُعلم أنَّ الرقية كي تصادف المحل النافع لا بدَّ أن يكون لمن تقع عليه صادق التوجه إلى الله ﷻ، موقنًا أنَّ الله هو الذي بيده الشفاء، وأن الرقية هي سبب من أسباب الشفاء فقد تنفع وقد لا تنفع.

قال شيخنا ابن باز ﵀: «وكثير من الناس لا تنفعه الأسباب ولا الرقية بالقرآن ولا غيره؛ لعدم توافر الشروط، وعدم انتفاء الموانع، ولو كان كل مريض يشفى بالرقية أو بالدواء لم يمت أحد، ولكن الله سبحانه هو الذي بيده الشفاء، فإذا أراد ذلك يسر أسبابه، وإذا لم يشأ ذلك لم تنفعه الأسباب»[(١)].

وعلى المرقي أن يكون مغلبًا لجانب الرجاء، وأنَّ الله كاشفُ غمَّه وهمَّه بإذنه تعالى، فيعلِّق قلبه بالله ﷻ، ويكون لهذا انعكاس على سلوكياته وعبادته، فيكون محافظًا على الفرائض، وعلى الأذكار الشرعية ومن أعظمها أذكار الصباح والمساء في وقتها.

قال ابن القيم ﵀: «فإن مبنى الشفاء والبرء على دفع الضد بضده، وحفظ الشيء بمثله، فالصِّحة تحفظ بالمثل، والمرض يدفع بالضد،

---

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٨/ ٦١).

أسبابٌ ربطها بمسبباتها الحكيمُ العليم خلقًا وأمرًا، ولا يتم هذا إلا بقوة من النفس الفاعلة، وقبول من الطبيعة المنفعلة، فلو لم تنفعل نفس الملدوغ لقبول الرقية، ولم تقو نفس الراقي على التأثير، لم يحصل البرء»[(١)].

وعلى المريض أن يرقي نفسه بنفسه، فإنَّ الرقية من جنس الدعاء، ودعاء المرء لنفسه أقرب للتوكل وأرجى في القبول، وليس أنفع ولا أصدق من رقية الإنسان نفسه، وليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة؛ فإن من أُصيب أو أُصيب له ولد أو قريب أو والد أصدقَ في التجائه لله ﷻ، ثم إن الاستشفاء بالقرآن لا بالأشخاص.

ثم على المرقي ألا يستعجل الشفاء، فإنَّ الرقية من جنس الدعاء، وقد جاء النهي عن الاستعجال في القبول.

أخرج الشيخان عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت، فلم يستجب لي»**[(٢)]. أي: يعنى يسأم الدعاء ويتركه، فيكون كالمانٍّ بدعائه، وأنَّه قد أتى من الدعاء ما كان يستحق به الإجابة، فيصير كالمبخِّل لربّ كريم، لا تعجزه الإجابة، ولا ينقصه العطاء، ولا تضره الذنوب[(٣)].

فعلى المريض أن يلازم الطلب ولا ييأس من الإجابة لما في ذلك من الانقياد والاستسلام وإظهار الافتقار.

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٨٠).

(٢) البخاري (٦٣٤٠)، مسلم (٢٧٣٥).

(٣) ينظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١٠/ ١٠٠).




المطلب الثالث

تعريف المرقي به، وشروطه

والمقصود به العلاج وهو الرقية التي يتكلم بها الراقي.

وأصل الرقية أن تكون بكلام الله أو بما صح من حديث رسول الله ﷺ من أذكار ودعوات.

ويجوز أن تكون الرقية بالأدعية الصحيحة معنى والتي لا مخالفة فيها، لعموم قوله ﷺ: «**اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**»[(١)]

فالقرآن شفاء من كل داء، كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

قال المازري رحمه الله: «جميع الرقى عندنا جائزة إذا كانت بكتاب الله عز وجل وذكر الله، وينهى عنها بالكلام الأعجمي وما لا يعرف معناه؛ لجواز أن يكون فيه كفر أو إشراك»[(٢)].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: «أمَّا الرقى بالقرآن وأسماء الله وصفاته ودعائه، والاستعاذة به وحده لا شريك له، فليست شركًا، بل ولا ممنوعة، بل مستحبة أو جائزة»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٠).

(٢) «إكمال المعلم» (٧/ ٩٨).

(٣) «تيسير العزيز الحميد» (١/ ٣٧٤).

وقد كان ﷺ يرقي نفسه بالمعوذات، كما في حديث عائشة رضي الله «كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه، نفث في كفيه بقل هو الله أحد وبالمعوذتين جميعًا، ثم يمسح بهما وجهه، وما بلغت يداه من جسده، فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به»(١).

وأخرج الترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله ﷺ يتعوذ من عين الإنسان، وعين الجان، حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما»(٢).

قال ابن حجر رحمه الله: «وهذا لا يدل على المنع من التعوذ بغير هاتين السورتين بل يدل على الأولوية، ولا سيما مع ثبوت التعوذ بغيرهما، وإنما اجتزأ بهما لما اشتملتا عليه من جوامع الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلاً»(٣)، وسيأتي تفصيل ذلك بإذن الله.

أمَّا شروط الرقية: فقد نقل ابن حجر رحمه الله إجماع أهل العلم أنَّ الرقية الشرعية هي ما اجتمع فيها ثلاثة شروط:

الأول: أن تكون بكلام الله تعالى، أو بأسمائه، أو بصفاته.

الثاني: أن تكون باللسان العربي، أو بما يعرف معناه ممن لا يحسن العربية.

الثالث: أن يعتقد أنَّ الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بإذن الله تعالى، ويعتقد أنَّ الرقية سبب من الأسباب(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤٨). (٢) الترمذي (٢٠٥٨)، والنسائي (٧٨٠٤).

(٣) «فتح الباري» (١٠/ ١٩٥).

(٤) «فتح الباري» (١٠/ ١٩٥)، وينظر: «مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجه» للسيوطي (ص١٢٨٨)، «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (١/ ١٥٠)، «معارج القبول» (١/ ٤٦٦).



فلا بدَّ أن تكون الرقية بكلام الله وبأسمائه وصفاته، أو بما أثر عن النبي ﷺ، فلا يدخل فيها شيء من كلام المشعوذين، وبلا همز ولا لمز[(١)].

وأن تكون باللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غير اللسان العربي؛ لأنَّ ما لا يعرف معناه قد يؤدي إلى الشرك، لعموم قوله ﷺ: «**لابأس بالرقى ما لم يكن شركًا**»، وما لا يعرف قد يؤدي إلى الشرك فيمنع احتياطًا وسدًّا لذريعة الشرك، قال الإمام مالك رحمه الله في الرقى بغير العربية: «وما يدريك لعله كفر»[(٢)]؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وعامة ما بأيدي الناس من العزائم والطلاسم والرقى التي لا تفقه بالعربية فيها ما هو شرك بالجن، ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقى التي لا يفقه معناها؛ لأنها مظنة الشرك وإن لم يعرف الراقي أنها شرك»[(٣)].

وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: «أما الرقى التي ليست بعربية الألفاظ ولا مفهومة المعاني ولا مشهورة ولا مأثورة في الشرع البتة، فليست من الله في شيء ولا من الكتاب والسنة في ظل ولا فيء، بل هي وسواس من الشيطان أوحاها إلى أوليائه كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وعليه يحمل قول النبي ﷺ في حديث ابن مسعود: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**»، وذلك لأنَّ المتكلم به لا يدري أهو من أسماء الله تعالى أو من أسماء الملائكة أو

(١) ينظر: «معارج القبول» (١/ ٤٦٢).
(٢) «المدخل» لابن الحاج (٤/ ٩١).
(٣) «مجموع الفتاوى» (١٩/ ١٣).

من أسماء الشياطين، ولا يدري هل فيه كفر أو إيمان، وهل هو حق أو باطل، أو فيه نفع أو ضر، أو رقية أو سحر. ولعمر الله لقد انهمك غالب الناس في هذه البلوى غاية الانهماك واستعملوه على أضرب كثيرة وأنواع مختلفة»(١).

ثم لا بدَّ أن يعتقد الرَّاقي والمَرْقي أنَّ هذه الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بإذن الله تعالى، فالله ﷻ هو المحيي المميت، وهو النافع الضار، فلا يكون في ملكه إلا ما يشاء ﷻ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولهذا قال من قال من العلماء: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا تغيير في وجه العقل؛ والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، والله سبحانه خلق الأسباب والمسببات، وجعل هذا سببًا لهذا»(٢).



(١) «معارج القبول» (٢/ ٥٠٧).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٨/ ١٣٨). وينظر: (٨/ ١٦٩).



الفصل الثاني

أنواع الرقية

وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: الرقية الشرعية،

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ضابط الرقية الشرعية.

المبحث الثاني: ألفاظ الرقية اجتهادية.

المطلب الثاني: الرقية الممنوعة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الرقية الشركية.

المبحث الثاني: الرقية المحرمة.






المطلب الأول

الرقية الشرعية

دلت الأحاديث النبوية القولية والفعلية والتقريرية أنَّ الرسول ﷺ كان يعوِّذ ويستعيذ، وكان يرقي بعض أصحابه بعد وقوع البلاء بهم(١)، وأمرهم بها، ورقاه جبريل عليهما السلام، وسار على ذلك صحابته وسلفنا الصالح.

والرقية - كما بينا - من جنس الدعاء، ومن جنس العلاج للمريض، والعلاج ليكون نافعًا فلا بدَّ أن يكون على وجه صحيح نافع، ومن ذلك أن يكون هذا الدعاء والتضرع مأذونًا فيه شرعًا إمَّا بلفظه، أو بعدم تجاوز الحدِّ الشرعي فيه، وهذا مبنيٌّ على أنَّ الرقى ليست توقيفية، وإنما هي من باب الاجتهاد إذا كانت بشروطها الشرعية(٢)، لقوله ﷺ: «**لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**»(٣).

والذِّكْر له معنيان: عام وخاص، فالعام: يشمل كلَّ عبادة لله ﷻ: من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج وتسبيح، وتهليل، وقراءة قرآن، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر؛ لأنَّ المقصود بها إقامة ذكر الله كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «كل ما تكلم به اللسان وتصوره

(١) ما وقع قبل البلاء يسمى: تعويذًا، وما بعده يسمى: رُقية.
(٢) اختلف العلماء في ألفاظ الرقية: هل هي توقيفية أم اجتهادية؟ وسيأتي تفصيل ذلك.
(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٠).

القلب مما يقرب الى الله من تعلم علم وتعليمه وأمر بمعروف ونهي عن منكر فهو من ذكر الله»[١].

والخاصُّ: وهو ذكر الله بالألفاظ المتعبد بها كتلاوة القرآن، والأذكار الواردة عن رسول الله ﷺ، ومن أعظمها قراءة القرآن بتدبر وتفكر، والأذكار القولية العامة والخاصة.

واعلم أنه لا فرق بين الحي والميت إلا ذكر الله، فمن لا يذكر الله هو ميت الأحياء، كما قال ﷺ: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه، مثل الحي والميت**»[٢].

وعن معاذ بن جبل قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله ﷻ؟ قال: «**أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله ﷻ**»[٣].

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مائة فائدة لذكر الله[٤]، منها:

أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره، ويرضي الرحمن ﷻ، ويزيل الهمَّ والغمَّ عن القلب، ويجلب للقلب الفرح والسرور والبسط، ويقوي القلب والبدن، وينور الوجه والقلب، ويجلب الرزق، ويكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة، ويورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة، ويورث حياة القلب[٥]، وهو قوت القلب

---

(١) «الوصية الصغرى» (ص٥١). (٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٧).

(٣) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٢٨١)، وابن حبان (٨١٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٣)، وحسنه ابن حجر في «نتائج الأفكار» (١/ ٩٤)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (ح١٤٩٢)..

(٤) ينظر: «الوابل الصيب» (ص٤١).

(٥) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله تعالى روحه يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟». «الوابل الصيب» (ص٥٠).

والروح، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته[(١)].

والرقية الشرعية تكون:

١ - **بكلام الله** وهو القرآن الذي قال الله فيه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقد كان ﷺ يرقي نفسه بالمعوذات، كما في حديث عائشة ﵂: «كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه، نفث في كفيه بقل هو الله أحد وبالمعوذتين جميعًا، ثم يمسح بهما وجهه، وما بلغت يداه من جسده، فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به»[(٢)].

وأخرج الترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري ﵁، قال: «كان رسول الله ﷺ يتعوذ من عين الإنسان، وعين الجان، حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما»[(٣)]

قال المازري ﵀: «وجميع الرقى عندنا جائزة إذا كانت بكتاب الله ﷻ وذكر الله».

٢ - **أو باسم من أسماء الله أو صفة من صفاته ﷻ**؛ كما جاء في حديث عائشة ﵂ أنها قالت: كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل، قال: «**باسم الله يبريك، ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد إذا حسد، وشر كل ذي عين**»[(٤)].

وأخرج أحمد وأهل السنن أن عثمان بن أبي العاص ﵁ أتى

---

(١) قال ابن القيم ﵀: «حضرت شيخ الاسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إلي وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي». «الوابل الصيب» (ص٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٤٨).

(٣) الترمذي (٢٠٥٨)، والنسائي (٧٨٠٤).

(٤) أخرجه مسلم (٢١٨٥).



رسول الله ﷺ، قال عثمان: وبي وجع قد كاد يهلكني، فقال رسول الله ﷺ: «**امسحه بيمينك سبع مرات، وقل أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد**» قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله ما كان بي[1].

٣ - **بما صح من كلام رسول الله ﷺ**؛ كقوله في الحديث الذي أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يُعوِّذ بعض أهله، يمسح بيده اليمنى ويقول: «**اللهم رب الناس أذهب الباس، اشفه وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا**»[2].

٤ - الدعاء العام الذي لم يرد بنصٍّ شرعيٍّ إذا وافق الضوابط السابقة، وذاك أنَّ الصحيح أنَّ الرقية ليست بألفاظ مخصوصة لقوله ﷺ: «**لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**».



(١) أخرجه أحمد (١٦٢٧٤)، وابن ماجه (٣٥٢٢)، وأبو داود (٣٨٩١)، والترمذي (٢٠٨٠)، والنسائي (١٠٧٧١).

(٢) البخاري (٥٧٤٣).




المبحث الثاني

ألفاظ الرقية اجتهادية

كان استعمال العرب للرقية قبل الإسلام شائعًا ومعروفًا لديهم.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ﴾ [القِيَامَة: ٢٦-٢٧]، أي هل من راقٍ يرقي؟[(١)]

وقد جاء ذكرها في أشعارهم، ومن ذلك قول عروة[(٢)]:

فَمَا تركا من عوذة يعرفانها ... وَلَا رقية إِلَّا بهَا رقياني

وقال ابن خذَّاق[(٣)]:

هل للفتى من بنات الدهر من راقي ... أم هل له من حمام الموت من واقي

ولما جاء الله بالإسلام أمر الرسول ﷺ أن تعرض الرقى عليه لإجازتها؛ خشية أن يكون فيها ما لا يجوز في شريعة الإسلام.

أخرج مسلم من حديث عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال: **«اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك»**[(٤)].

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥١٣)، «تفسير القرطبي» (١٩/ ١٠٩).

(٢) «المحكم» لابن سيده (٦/ ٥٠٠).

(٣) «عيون الأخبار» (٢/ ٢٠٨).

(٤) مسلم (٢٢٠٠).

وأخرج مسلم أيضًا عن جابر ﵁ قال: نهى رسول الله ﷺ عن الرُّقى، فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنه كانت عندنا رقية نَرقي بها من العقرب، وإنك نهيت عن الرقى، قال: فعرضوها عليه، فقال: «**ما أرى بأساً، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**»(١).

ويؤخذ من هذين الحديثين: أنَّ هذه الرقى لم يَردْ بنصَّها الشَّارع، فأذن بها بشرط ألا يكون بها شرك، فتكون محذورة لأجل هذا القيد، لا لأجل أنها غير واردة بنصها في الشرع، وأنَّ الواجب على الراقي عرض الرقى التي ليست من الوحيين على أهل العلم الثقات لإفتائه في حكمها.

والرقية في أصلها منفعة فهي على أصل المنافع في إباحتها ما لم يأت نصٌّ بمنعها، كما أنَّ الرقى ضربٌ من ضروب الأدوية، وباب الدواء والعلاج في الأصل هو اجتهاد وتجربة.



(١) مسلم (٢١٩٩).

المطلب الثاني

الرقية الممنوعة

الرقى الممنوعة على نوعين:

١ - **الرقى الشركية**: وهي ما كان فيها شرك كاستغاثة أو استعانة بغير الله ﷻ، وهي التي جاء ذكرها في الحديث الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ الرقى والتمائم والتولة شرك**»(١).

قال شيخنا ابن باز رحمه الله: «ومعناه عند أهل العلم: أنَّ الرقى التي تكون بألفاظ لا يعرف معناها، أو بأسماء الشياطين، أو ما أشبه ممنوعة»(٢)، «وهي الرقى المجهولة التي ليست على الطريقة الشرعية»(٣).

٢ - **الرقى المحرمة**: وهي التي لا يعرف معناها فتحرم سدًّا للذريعة، فقد يكون في ألفاظها شرك أو كفر بالله العظيم.

أو أن تكون الرقية معروفة في أصلها كأن تكون من القرآن الكريم، ولكن تكتب تنكيسًا أو تقرأ بطريقة غير شرعية.

ويدخل في الرقى المحرمة: تعليق التمائم والحروز وإن كانت من القرآن الكريم على الصحيح من قولي أهل العلم، فلا يجوز تعليقها على

---

(١) أخرجه أحمد (٣٦١٥)، وأبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١/ ٥٢)، وينظر: «فتاوى نور على الدرب» (١/ ٣٨٣).

(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١/ ٣١٤).

المريض، ولا على الطفل، ولا جعلها تحت الوسائد، فكل ذلك من عمل الجاهلية، ولأنه يسبب تعلق القلوب بهذه القلائد وصرفها عن الله ﷻ، ولأنه يفضي إلى التَّعلق بها والاعتقاد فيها، وأنَّها تصرف عنه البلاء، وكل شيء بيد الله ليس بيد التمائم شيء، بل الله هو النافع الضار وهو الحافظ لعباده

قال ابن العربي رحمه الله: «تعليق القرآن ليس من طريق السنة، وإنَّما السنة فيه الذكر دون التعليق»[(١)].



(١) «عارضة الأحوذي» (٨/ ٢٢٢)، **وينظر في تفصيل هذه المسألة:** «تيسير العزيز الحميد» (١/ ٣٧٨)، «فتح المجيد» (١/ ١٥١)، «معارج القبول» (١٢/ ٥١٠)، «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لشيخنا ابن باز رحمه الله (١/ ٣٥٠)، (٢/ ٣٨٤)، (٩/ ٤٥٣).



الفصل الثالث

كيفية العلاج بالرقية الشرعية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العلاج قبل وقوع الداء.

المطلب الثاني: العلاج بعد وقوع الداء.

المطلب الثالث: الأذكار الواردة في الرقية.






الفصل الثالث

كيفية العلاج بالرقية الشرعية

ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله[١].

وللعبد حالتان لا بدَّ منهما: حالة دفع البلاء قبل وقوعه، وحالة رفع البلاء بعد وقوعه، ولكل منهما طريق وسبيل.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرقى والعُوذ تستعمل لحفظ الصحة ولإزالة المرض»[٢].



(١) أخرج أحمد (٣٥٧٨)، وابن ماجه (٣٤٣٨)، والنسائي (٦٨٣٤) عن عبد الله بن مسعود أن النبيَّ ﷺ قال: **«ما أنزل الله داء، إلا قد أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله»**.

(٢) «زاد المعاد» (٤/ ١٦٨).




المطلب الأول

العلاج قبل وقوع الداء

ذقال ابن القيم ﷺ: «ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة: الذِّكر، وهي منزلة القوم الكبرى، التي منها يتزودون، وفيها يتَّجرون، وإليها دائمًا يترددون، والذِّكر منشور الولاية، الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم، الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا...، وهو جلاء القلوب وصقالها ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلَّما ازداد الذاكر في ذكره استغراقًا ازداد المذكور محبةً إلى لقائه واشتياقًا...، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يغلقه العبد بغفلته، وبالذكر: يصرع العبد الشيطان كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان.

قال بعض السلف: إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا منه الشيطان صرعه كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيجتمع عليه الشياطين فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسه الإنسي.»[1].

وملازمة التعوذات والأذكار فيه نفع عظيم من جهة منع وقوع أسباب الأمراض النفسية والحسية، أو أن تحول دون كمال تأثيرها على بدن المسلم، فكلما كان يقينه وقوته بأذكاره كلما قويت فاعليتها في بدنه.

من أجل ذلك فقد رتَّب الشارع الحكيم عددًا من الأذكار التي تملأ

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٩٥) بتصرف.

يوم العبد من صباحه إلى مسائه، ومن مسائه إلى صباحه في اليوم التالي، فضلاً عن الأذكار والتعويذات المخصوصة في زمان أو مكان معين، ومن أعظم ذلك أذكار الصباح والمساء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جَمَع العلماء من الأذكار والدعوات التي يقولها العبد إذا أصبح وإذا أمسى وإذا نام وإذا خاف شيئًا وأمثال ذلك من الأسباب ما فيه بلاغ، فمن سلك مثل هذه السبيل فقد سلك سبيل أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»[(١)].

ومن جملة ما جاءت به السنة في ذلك:

١ - آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥][(٢)].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٢٨١).

(٢) أخرج البخاري في صحيحه - تعليقًا - (٢٣١١) عن أبي هريرة قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته، وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج، وعلي عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت، فقال النبي ﷺ: «**يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟**»، قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة، وعيالاً، فرحمته، فخليت سبيله، قال: «**أما إنه قد كذبك، وسيعود**»، فعرفت أنه سيعود، لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال، لا أعود، فرحمته، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك؟**»، قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة، وعيالاً، فرحمته، فخليت سبيله، قال: «**أما إنه قد كذبك وسيعود**»، فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات، أنك تزعم لا تعود، ثم تعود قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي: =



٢ - الإخلاص والمعوذتان: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ١-٥]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٦][1].

٣ - «أصبحنا وأصبح الملك لله[2]، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا

= ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة؟»، قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخليت سبيله، قال: «ما هي؟»، قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا أحرص شيء على الخير - فقال النبي ﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟»، قال: لا، قال: «ذاك شيطان»، وقد وصله النسائي (١٠٧٢٩).

(١) أخرج أبو داود (٥٠٨٢) والترمذي (٣٥٧٥) عن معاذ بن عبد الله بن خبيب، عن أبيه، أنه قال: خرجنا في ليلة مطر، وظلمة شديدة، نطلب رسول الله ﷺ ليصلي لنا، فأدركناه، فقال: «أصليتم؟» فلم أقل شيئًا، فقال: «قل» فلم أقل شيئًا، ثم قال: «قل»، فلم أقل شيئًا، ثم قال: «قل»، فقلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: «قل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] والمعوذتين حين تمسي، وحين تصبح، ثلاث مرات تكفيك من كل شيء»، وصححه النووي في «الأذكار» (ص١٠٧)، وابن دقيق العيد في «الاقتراح» (ص١٢٨)، وحسنه ابن حجر في «نتائج الأفكار» (٢/ ٣٤٥)، وشيخنا ابن باز في «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٦/ ٢٦).
وأخرج أبو داود (١٤٦٣) والبيهقي (٤٠٥٠) عن عقبة بن عامر، قال: بينا أنا أسير مع رسول الله ﷺ بين الجحفة، والأبواء، إذ غشيتنا ريح، وظلمة شديدة، فجعل رسول الله ﷺ يتعوذ بأعوذ برب الفلق، وأعوذ برب الناس، ويقول: «يا عقبة، تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما»، وصححه الألباني.

(٢) وفي المساء يقول: أمسينا وأمسى الملك لله..



شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، ربِّ أسألك خير ما في هذا اليوم[١]، وخير ما بعده، وأعوذ بك من شر ما في هذا اليوم، وشر ما بعده، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار، وعذاب في القبر»[٢].

٤ - **«أصبحنا على فطرة الإسلام، وعلى كلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد ﷺ، وعلى ملة أبينا إبراهيم، حنيفًا وما كان من المشركين»[٣].**

٥ - **«اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت وإليك النشور»[٤].**

٦ - **«سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته»[٥].**

٧ - **«أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»[٦].**

---

(١) وفي المساء يقول: الليلة، وعلى هذا يفعل في باقي الأذكار التي فيها تعيين الصباح والمساء.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢٣).

(٣) أخرجه أحمد (١٥٣٦٠)، والنسائي (١٠١٠٣)، وصححه النووي في «الأذكار» (ص١١٣)، وشيخنا ابن باز في «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٦/ ٣٢).

(٤) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود (٥٠٦٨)، والترمذي (٣٣٩١)، وصححه النووي في الأذكار (ص١٠٧)، وابن دقيق العيد في «الاقتراح» (ص١١٨)، وشيخنا ابن باز في «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٦/ ٢٧).

(٥) أخرج مسلم (٢٧٢٦) عن جويرية، أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسة، فقال: **«ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟»** قالت: نعم، قال النبي ﷺ: **«لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته».**

(٦) أخرج مسلم (٢٧٠٩) عن أبي هريرة، أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما =




٨ - «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم»[١].

٩ - «سبحان الله وبحمده»[٢]. (مائة مرة)

١٠ - «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»[٣]. (عشر مرات)

١١ - «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث؛ أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين»[٤].

= لقيت من عقرب لدغتني البارحة، قال: «أما لو قلت حين أمسيت: **أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم تضرك**»، وأخرج أحمد (٧٨٩٨) عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: «**من قال إذا أمسى ثلاث مرات: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم تضره حُمَةٌ تلك الليلة**». قال: فكان أهلنا قد تعلموها، فكانوا يقولونها، فلدغت جارية منهم، فلم تجد لها وجعًا .والحُمَة: هي لدغة العقرب.

(١) أخرج أحمد (٤٤٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٦٠)، وأبو داود (٥٠٨٨)، الترمذي (٣٣٨٨)، وغيرهم عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، لم يضره شيء**». وصححه ابن القيم في «زاد المعاد» (٢/ ٣٣٨)، وشيخنا ابن باز في «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٨/ ١٦٥).

(٢) أخرج مسلم (٢٩٦٢) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة، بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه**».

(٣) أخرج أحمد (١٦٥٨٣)، وأبو داود (٥٠٧٧)، والنسائي (٩٧٧١) عن أبي عياش، أن رسول الله ﷺ، قال: «**من قال إذا أصبح: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، كان له عدل رقبة من ولد إسماعيل، وكتب له عشر حسنات، وحط عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكان في حرز من الشيطان حتى يمسي، وإن قالها إذا أمسى كان له مثل ذلك حتى يصبح**». وصححه ابن حجر في «نتائج الأفكار» (٢/ ٣٨٥)، والألباني في «صحيح أبي داود» (ح٥٠٧٧).

(٤) أخرج النسائي (١٠٣٣٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لفاطمة رضي الله عنها: «**ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به، أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم** =

١٢ - «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في: ديني، ودنياي، وأهلي، ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يديَّ، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي»[(١)].

١٣ - «اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، وشر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم»[(٢)].

١٤ - «اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك

= **برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين»**، وحسنه ابن حجر في «نتائج الأفكار» (٢/ ٤٠٧)، والألباني في «السلسلة الصحيحة» (ح٢٢٧).

(١) أخرج أحمد (٤٧٨٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٠٠)، وأبو داود (٥٠٧٤)، وابن ماجه (٣٨٧١) عن.

عبد الله بن عمر قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسي: **«اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي»**. وصححه النووي في «الأذكار» (ص١١١)، والألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص٦٨١).

(٢) أخرج البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٠٤)، وأبو داود (٥٠٦٧)، عن أبي هريرة، أن أبا بكر الصديق قال: يا رسول الله، مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: **«قل: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، وشر الشيطان وشركه»**، قال: **«قلها إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك»**. وصححه ابن دقيق العيد في «الاقتراح» (ص١٢٨)، وابن حجر في «نتائج الأفكار» (٢/ ٣٦٣)، وشيخنا ابن باز في «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٦/ ٢٧).




بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[١].

١٥ - **«اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت»**[٢] **(ثلاث مرات).**

إلى غيرها من الأذكار النبوية التي تحفظ المرء في دينه وبدنه[٣].

وعلى المرء أن يعوِّد لسانه على هذه الأذكار وغيرها من الأذكار المطلقة كالتسبيح والتهليل والتحميد؛ فهي خير الكلام ومن أحسن الأعمال عند الله ﷻ، وبالجملة فعلى المرء المسلم أن يعمل بوصية النبيِّ ﷺ **«لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله»**[٤].

---

(١) أخرج البخاري (٦٣٠٦) عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»**، قال: **«ومن قالها من النهار موقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة»**.

(٢) أخرج أحمد (٢٠٤٣٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٠١)، وأبو داود (٥٠٩٠)، والنسائي (٩٧٦٦) عن عبد الرحمن بن أبي بكرة أنه قال: لأبيه يا أبت إني أسمعك تدعو كل غداة: **«اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري لا إله إلا أنت»**، تعيدها ثلاثًا حين تمسي وحين تصبح ثلاثًا وتقول: **«اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت»** تعيدها ثلاثًا حين تمسي وحين تصبح ثلاثًا. فقال: نعم يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول بهن وأنا أحب أن أستن بسنته.

(٣) أُلِّف في الأذكار كتب كثيرة ما بين مطوَّل، ومختصر، وبين ذلك، **فمن المطوَّلات**: «الأذكار» للنووي، **ومن المختصرات**: «حصن المسلم» للشيخ سعيد بن وهف القحطاني، **ومن المتوسط**: «الكلم الطيب» لشيخ الإسلام ابن تيمية، **ومن الكتب المُسندة**: «عمل اليوم الليلة» للنسائي، و«الدعاء» للطبراني و«الدعوات» للبيهقي.

(٤) أخرج أحمد (١٧٩٥٦)، والترمذي (٢٣٢٩)، وابن ماجه (٣٧٩٣) عن عبد الله بن بسر، =




المطلب الثاني

العلاج بعد وقوع الداء

فإذا وقع بالعبد ابتلاء بالمرض الحسي أو المعنوي؛ فعليه أن يعلم أنَّ ذلك ابتلاء من الله ﷻ، وأنَّه ما وقع إلا بأمر الله وقدره، وعليه أن يبذل الأسباب في رفعه من رقية شرعية، وعلاج طبيّ حسيٍّ.

وقد جاءت الأحاديث النبوية في إثبات أنَّ الرقية نافعة بعد وقوع الداء، وأنها رافعة له بإذن الله تعالى.

أخرج البخاري عن عائشة، رضي الله عنها قالت: «**أمرني رسول الله ﷺ، أو أُمِر أنْ يسترقى من العين**»[(١)].

وأخرج أيضًا عن أم سلمة، رضي الله عنها: أنَّ النبي ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة، فقال: «**استرقوا لها، فإن بها النظرة**»[(٢)].

وأخرج مسلم عن جابر بن عبد الله أنه قال: رخص النبي ﷺ لآل حزم في رقية الحية، وقال لأسماء بنت عميس: «**ما لي أرى أجسامَ بني أخي ضارعةً! تصيبهم الحاجة؟**» قالت: لا، ولكن العين تسرع إليهم، قال: «**ارقيهم**» قالت: فعرضت عليه، فقال: «**ارقيهم**»[(٣)].

= أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: «**لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله**».

(١) البخاري (٥٧٣٨).

(٢) البخاري (٥٧٣٩)، والسَّفْعة - بكسر السين وضمها - أي: بوجهها موضعًا على غير لونه الأصلي، والنَّظْرة: العين.

(٣) مسلم (٢١٩٨) .ضارعة: أي نحيفة، والمراد أولاد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.




وأخرج أيضًا عن أبي سعيد الخدري أن جبريل عليه السلام، أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد اشتكيت؟ فقال: «**نعم**» قال: «**باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك باسم الله أرقيك**»(١).

وأخرج البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: انطلق نفر من أصحاب النبي ﷺ في سفرة سافروها، حتى نزلوا على حي من أحياء العرب، فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فلُدغ سيد ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا، لعله أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم، فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم، والله إني لأرقي، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلاً، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يَتْفل عليه، ويقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفَاتِحَة: ٢]، فكأنما نشط من عِقال، فانطلق يمشي وما به قَلَبة، قال: فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقسموا، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي ﷺ فنذكر له الذي كان، فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له، فقال: «**وما يدريك أنها رقية!**»، ثم قال: «**قد أصبتم، اقسموا، واضربوا لي معكم سهمًا**» فضحك رسول الله ﷺ(٢).

فهذه الأحاديث وغيرها، تدلُّ على جواز أن يرقي المرء نفسه، أو أن يرقيه من يثق به، أو أن يرقي هو من يحتاج الرقية الشرعية التي مرَّ وصفها فيما تقدم.

---

(١) «مسلم» (٢١٨٦).

(٢) البخاري (٢٢٧٦).



المطلب الثالث

الأذكار الواردة في الرقية(١)

١ - ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفَاتِحَة: ١-٧].

٢ - ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

٣ - ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥-٢٨٦].

---

(١) وما ذكرته هنا هو على سبيل الإجمال والانتقاء، مع الاكتفاء بما جاء في الوحيين.



٤ - ﴿وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ① فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ② فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ③ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ④ رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَٰرِقِ ⑤ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ⑥ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ⑦ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ⑧ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ⑨ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ⑩﴾ [الصَّافات: ١-١٠].

٥ - ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ㉑ هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ㉒ هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَٰمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ㉓ هُوَ اللَّهُ الْخَٰلِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ㉔﴾ [الحَشر: ٢١-٢٤][١].

٦ - ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٨][٢].

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله: «ومن أعظم ما يندفع به شره - أي الشيطان - قراءة المعوذتين وأول الصافات وآخر الحشر» «الوابل الصيب» (ص١١٥).

(٢) هذه الآية والآيات الخمس التي تليها هي آيات السكينة، قال ابن القيم رحمه الله: «وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذا اشتدت عليه الأمور: قرأ آيات السكينة. وسمعته يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه، تعجز العقول عن حملها - من محاربة أرواح شيطانية، ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة - قال: فلما اشتد عليَّ الأمر، قلت لأقاربي ومن حولي: اقرؤوا آيات السكينة، قال: ثم أقلع عني ذلك الحال، وجلست وما بي قلبة، وقد جربت أنا أيضًا قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب بما يرد عليه. فرأيت لها تأثيرًا عظيمًا في سكونه وطمأنينته». «مدارج السالكين» (٢/ ٤٧١).

٧ - ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التّوبة: ٢٦] .

٨ - ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التّوبة: ٤٠].

٩ - ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتْح: ٤].

١٠ - ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتْح: ١٨].

١١ - ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتْح: ٢٦].

١٢ - ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤] .

١٣ - ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفَلَق: ١-٥] [الفلق: ١-٥].

١٤ - ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن




شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [النَّاس: ١-٦].

١٥ - «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض، ورب العرش العظيم»(١).

١٦ - «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم»(٢).

١٧ - «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»(٣).

١٨ - «أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه، وعقابه، وشرِ عباده، ومن همرات الشياطين، وأن يحضرون»(٤).

١٩ - «أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامَّة، ومن كل عينٍ لامَّة»(٥).

٢٠ - «أعوذ بوجه الله الكريم، وكلماته التامات التي لا يجاوزهن بَرٌّ ولا فاجر، من شرِّ ما ينزل من السماء، وما يعرج فيها، ومن شرِّ ما ذرأ في الأرض، وما يخرج منها، ومن فتن الليل والنهار، ومن شرِّ طوارق الليل والنهار إلا طارقًا يطرق بخير، يا رحمن»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٦) ومسلم (٢٧٣٠).
(٢) أخرجه أحمد (٤٤٥)، وأبو داود (٥٠٨٨)، والترمذي (٣٣٨٨).
(٣) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).
(٤) أخرجه أحمد (٦٦٥٧)، والترمذي (٣٥٢٨)، وأبو داود (٣٨٩٣).
(٥) أخرجه البخاري (٣٣٧١).
(٦) أخرجه أحمد (١٥٠٣٥)، والنسائي (١٠٧٢٦).



٢١ - «حسبي الله، لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم»[١].

٢٢ - «باسم الله يبريك، ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد إذا حسد، وشر كل ذي عين»[٢].

٢٣ - «باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك باسم الله أرقيك»[٣].

٢٤ - «أذهب الباس رب الناس، اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا»[٤].

٢٥ - «بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفى سقيمنا، بإذن ربنا»[٥].



(١) أخرجه أبو داود (٥٠٨١).
(٢) أخرجه مسلم (٢١٨٥).
(٣) أخرجه مسلم (٢١٨٦).
(٤) أخرجه البخاري (٥٧٤٣)، ومسلم (٢١٩١).
(٥) أخرجه البخاري (٥٧٤٥)، ومسلم (٢١٩٤).



الفصل الرابع

المخالفات الشرعية في الرقية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المخالفات الشرعية على الرقاة.

المطلب الثاني: المخالفات الشرعية على المرقي.

المطلب الثالث: المخالفات الشرعية في المرقي به.






المطلب الأول

المخالفات الشرعية على الرقاة

وهذا باب واسع جدًا، وما ذاك إلا أنَّ الرقية شابها - في الوقت المعاصر - كثير من الأطماع والشهوات، وأصبحت مهنة وتجارة للجاهل والعامي يتكسبون بها، فصارت لهم أجور بحسب الحالات، وأجور على ما يقرؤون عليه، وابتدعوا طُرقًا في القراءة لم تكن معروفة!

وهناك آخرون وقعوا في الفتنة التي حذّر منها النبيُّ ﷺ ألا وهي فتنة النساء، فاستباحوا ما حرم الله من اختلاء محرم أو لمس المريضة مباشرة، أو أمرها بكشف حجابها بحجة الضرورة كما سيأتي بإذن الله.

فأين هؤلاء عن التقوى والإخلاص، وهم يؤدون الدعوات والأذكار والرقية الشرعية التي هي دعاء وذكر تحتاج إلى إخلاص لله ﷻ، ومتابعة لهدي رسوله ﷺ.

وقد أثبتت الوقائع والأحداث أن كثيرًا ممن امتهن هذا العمل قد وقع في مخالفات عديدة، بل وشرور وأضرار مُني بها الناس في دينهم وأنفسهم وأُسرهم وأموالهم، فكم تفرقت أسر بسبب دعاوى ادَّعاها هؤلاء الذين يزعمون أنهم على معرفة بالرقية الشرعية، وليس لها مستند لا من كتاب الله ﷻ ولا من سنة النبي ﷺ ولا من الواقع وإنما هي خيالات وأوهام.

خُرِّبت بيوت كانت عامرة، وحصلت حالات طلاق بين أزواج

مؤتلفين، وأفسد ذات البين بين أُسر كانت متآلفة؛ في شرور لا تخفى على من اطَّلع على كثير من أحوال أولئك.

ودعوى حاجة الناس اليوم للرقاة دعوى مردودة؛ لأن الذي شرع الرقية لم يشرع هذه الطرائق والوسائل التي اتُخذت للرقية، فإن الرقية تكون بكتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ والأدعية النافعة، مع اعتقاد أن ذلك سبب والشافي هو الله ﷻ، كما بينا.

ولا يعدم من هذا الجمع أهل صلاح وخير، ولكنَّهم أصبحوا كالشعرة البيضاء في المفرق الأسود!

وهذه المخالفات التي سأعرضها هي بعض ما انتشر عند بعض القراء، هداهم الله إلى طريق الحق والصواب.

١- اتخاذ الرقية مهنة، والتفرغ لها، وجلب المساعدين له لأجلها:

وهذا الأمر منتشر للغاية بين القراء، ولم يكن هذا من صنيع السلف الصالح وإلى عهد قريب لم يعهد من يتفرغ للقراءة والرقية؛ بحيث تكون هي شغله الشاغل، ومصدر رزقه، ولأجل هذا التفرغ صاحبَ الرقية بيع بعض ما ينتجه الراقي وقت فراغه مما يقال: إنَّه قد رُقي فيه من زيت وماء وعسل، والله أعلم بحاله، ويباع بأثمان عالية جدًا، بل إن بعضهم جعل مكانًا خاصًا للذين يساعدونه في الرقية على هذه الأشياء، ولا يعرف حالهم، وإنما يقرؤون ما يكتب لهم، دون نية خالصة!

قال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله: «التكسب بالرقية كَثُر جداً، ومن أناسٍ اللهُ أعلم بحالهم من ناحية الاستقامة، لكن المؤمن الذي يريد أن ينفع أخاه، وهو الذي يقرأ، فإن أعطي أَخذ وإن لم يعطَ لم يسأل، وهذا هو الذي يجعل الله تعالى في رقيته بركة، أما من جعل القرآن الكريم



وسيلةً للتكسب فقد اشترى الدُّنيا بعمل الآخرة -والعياذ بالله- وما له في الآخرة من نصيب، وهذه مسألةٌ - في الواقع - صارت على مستوى كبيرٍ الآن»[1].

٢- التساهل في رقية النساء:

ومن عظيم ما يقع فيه القراء التساهل في التعامل مع النساء الأجنبيات عنه أثناء الرقية، فصاروا يقعون في مخالفات شرعية عديدة، فتجد بعضهم يجيز لنفسه أن يختلي بالمرأة الأجنبية، ويقرأ عليها لوحدها، ويتلمس مواضع من جسدها، أو تجريدها من ملابسها ودلك جسدها بالزيت زعمًا أنَّ الرقية تحتاج لهذا.

وهؤلاء قد لبس عليهم الشيطان أعمالهم، وأي عبادة تبقى في هذه الرقية ويرتجى العافية بسببها والتي كان الشيطان ثالثهما فيها، نعوذ بالله من هذا الحال!

٣- استعانة بعض الراقين بالجن لمعرفة بعض المغيبات بحال المريض، أو يستعين بقرين نفسه، ويدعي أنه يعينه على الخير:

ولم تكن هذه الطريقة معروفة سابقًا، وإنما انتشرت مؤخرًا لفهم بعضهم كلامًا لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه في هذه المسألة على غير موضعه، ثم تناقله الرقاة دون سؤال لأهل العلم الثقات.

فالاستعانة بالجن في هذا الباب محرمة ولا تجوز، إن لم تكن شركًا فهي وسيلة للشرك[2].

---

(١) «لقاءات الباب المفتوح» (٥/ ٥٠١).

(٢) ينظر: «فتاوى اللجنة الدائمة» الفتاوى ذات الأرقام: (١٦١٧١)، (١٦٦٥٣)، (١٧٧٩)، (١٩٥١١)، (٢٠٣٦١)، (٢١١٦٣).

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعَام: ١٢٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «ومن استمتاع الإنس بالجن استخدامهم في الإخبار بالأمور الغائبة كما يخبر الكهان، فإن في الإنس من له غرض في هذا؛ لما يحصل به من الرياسة والمال وغير ذلك»(١).

فهذا صريح كلامه ﵀، فلا يترك لكلامه المجمل؛ كقوله ﵀: «ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له فهو كمن استعمل الإنس في أمور مباحة له، وهذا كأن يأمرهم بما يجب عليهم وينهاهم عما حرم عليهم، ويستعملهم في مباحات له فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك»(٢).

وهذه المباحات أشار إليها ﵀ بقوله: «ومنهم من يستخدمهم في أمور مباحة؛ إمَّا إحضار ماله، أو دلالة على مكان فيه مال ليس له مالك معصوم، أو دفع من يؤذيه، ونحو ذلك، فهذا كاستعانة الإنس بعضهم ببعض في ذلك»(٣).

بل قد نصَّ ﵀ أن النبيَّ ﷺ لم يستخدم الجن أصلاً، لكن دعاهم إلى الإيمان(٤).

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٨٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٣٠٧)، وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة برئاسة شيخنا ابن باز ﵀: «ولا نعلم كلامًا صريحًا لشيخ الإسلام ابن تيمية بجواز ذلك» [الفتوى رقم (١٨٢٥٥)].

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٨٧).

(٤) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٨٩).



وأشار رَحِمَهُ اللهُ أنَّ الجن لا تطيع الإنس إلا على سبيل المعاوضة؛ فقال: «وليس أحد من الناس تطيعه الجن طاعة مطلقة - كما كانت تطيع سليمان بتسخير من الله وأَمْرٍ منه - من غير معاوضة... والجن كالإنس، فيهم المؤمن المطيع، والمسلم الجاهل، أو المنافق، أو العاصي، وفيهم الكافر... فإنه لا يستطيع أحدٌ أن يُسخّر الجنّ مطلقاً لطاعته، ولا يستخدم أحداً منهم إلا بمعاوضة؛ إمَّا عمل مذموم تحبه الجن، وإمَّا قول تخضع له الشياطين؛ كالأقسام، والعزائم»(١).

فأين هذا من استخدامهم في التطبب واستعلامهم عن صاحب العين والسحر، وما يقع من ذلك من تفريق بين الناس أخذًا بإخبار هذا الجني الذي لا يعرف حاله! «والجن أجهل وأكذب وأظلم وأغدر»(٢)

ثم إنَّه قد ثبت أنَّ النبيَّ ﷺ قد أسلم قرينه من الجن(٣)، ومع ذلك لم ينقل أنه استعان بهذا القرين لا في غزواته لمعرفة العدو، ولا حين سحر لبيدُ بن الأعصم النبيَّ ﷺ(٤)، فلو كانت الاستعانة جائزة لاستعان به ﷺ.

٤- استخدام الصعق الكهربائي:

يستخدم بعض القراء الكهرباء أثناء الرقية، فيجعل التيار الكهربائي يتصل بجسد المرقي زعمًا أنَّ الصعق الكهربائي يقع ضرره على الجنيِّ، وليس على الإنسي، وأنَّ هذا مقيس على فعل بعض السلف بضرب المصروع للتضييق على الجني أو حرقه!

---

(١) «النبوات» (٢/ ١٠١٤).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٩/ ٤٦).

(٣) أخرجه مسلم (٥٤).

(٤) حديث سحر النبيِّ ﷺ أخرجه البخاري (٣٢٦٨)، ومسلم (٢١٨٩).

وهذا كله مما ليس عليه دليل شرعي، بل هو من تزيُّدات الرقاة التي لا يعرف لها سلف.

قال شيخنا ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عن الصعق الكهربائي: «ليس له أصل».

والكهرباء خطرها عظيم، وأثرها قد يتعدَّى المحلَّ ويعمُّ الجسد، ويترك آثارًا قد لا يشفى منها المريض، فأين هذا من ضربٍ محدود الضرر الذي مارسه بعض السلف؟!

٥- ابتداع ما يسمى بالرقية المركزة:

انتشر بين الرقاة ما يعرف بالرقية المركزة والرقية العادية، وتختلف أسعار كلٍّ منهما!

وهذا كله من الدَّجل، ومن أكل أموال الناس بالباطل، وليس لهذا التفريق أصل شرعي.

قال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله -: «سمعنا من يقول القراءة المركزة بكذا، والقراءة غير المركزة بكذا، هناك قراءة مركزة وقراءة غير مركزة؟!... هذا تلاعب بالرقية»[(١)].

٦- الرقية عبر الهاتف أو آلة التسجيل «المسجل»:

وهذه لا تجوز؛ لأنَّ الرقية عمل يحتاج إلى اعتقاد ونية حال أدائها، ومباشرة للنفث على المريض، والجهاز لا يتأتى منه ذلك، فهذا يخالف ما فعله رسول الله ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأتباعهم بإحسان في الرقية، وقد قال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[(٢)].

---

(١) ينظر: موقع الشيخ صالح الفوزان على شبكة الإنترنت.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، وينظر: «فتاوى اللجنة الدائمة»، الفتوى رقم (١٦٩٥١)، ورقم (٢٠٣٦١).




٧- القراءة التخييلية:

ويقصدون بها أن يتخيل المرقي تخيل من أصابه أثناء رقيته من قبل الراقي، ومنهم يستعين بالجن في ذلك.

وكل ذلك محرم لا يجوز؛ لما فيه من استعانة بالجن، ولما فيه من نشر العداوة بين الناس، وهي مبنية على الخيالات والظنون، والظن أكذب الحديث[(١)]، وهي طريقة تجعل المريض يشكُّ في مَنْ حوله، فضلاً أنَّه أمرٌ محدث لا يعرف عن سلف هذه الأمة.

جاء في فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء برئاسة شيخنا ابن باز ﷺ: «تخيل المريض للعائن أثناء القراءة عليه، وأمر القارئ له بذلك هو عمل شيطاني لا يجوز؛ لأنه استعانة بالشياطين، فهي التي تتخيل له في صورة الإنسي الذي أصابه، وهذا عمل محرم؛ لأنه استعانة بالشياطين، ولأنه يسبب العداوة بين الناس، ويسبب نشر الخوف والرعب بين الناس، فيدخل في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجنّ: ٦]»[(٢)].

٨- الرقية الجماعية:

وهي أن يقوم الراقي بجمع المرضى في مكان واحد، ثم يرقيهم جميعًا عبر مكبر الصوت، ثم يقوم بالمرور عليهم، وينفث عليهم واحدًا واحدًا، أو ينفث عليهم من مكانه.

---

(١) أخرج البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٣) عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث**».

(٢) الفتوى رقم (٢٠٣٦١).



وهذه الطريقة في الرقية ليس عليها دليل شرعي، أو أثر سُني، فهي محدثات القرَّاء المبتدعة[1].

نعم أجاز شيخنا ابن باز رحمه الله أن يقرأ على اثنين أو ثلاثة أمامه وينفث عليهم مباشرة مع القراءة[2]، فهذه الصورة تختلف عن التي يفعلها الرقاة الآن، فمقصد شيخنا أن يرقي عددًا محدودًا أمامه، ويَصلهم نفثه الذي خالط القراءة، أمَّا واقع الرقاة مع هذه الطريقة فهو مؤسف للغاية، وفيه تجنٍّ على الشريعة، وعلى إنسانية المريض عندما يقع صريعًا بين هؤلاء الجمع، وعلى الحياء الفطري عندما ترفع المرأة صوتها بالصراخ.

٩- المجازفة بمنع المريض من تعاطي الأدوية الطبية:

فبعض الرقاة يطلب من المريض أن يترك كل علاج يستخدمه ولو كان ضروريًا لمرضه بحجة أنَّ رقيته كافية شافية!

وقد سبق معنا أنَّ الرقية هي سبب، وأنَّ الشافي هو الله جل وعلا، كما أنَّ العلاج الحسي بالأدوية الطبية هو سبب من أسباب الشفاء، فعلى المريض أن يستشير طبيبه قبل الإقدام على هذه الخطوة.



(١) ينظر: فتوى اللجنة الدائمة رقم (٢٠٣٦١)، «مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين» (١٧/ ١٨).

(٢) قال رحمه الله: «يجوز له أن يرقي أشخاصًا: اثنين، ثلاثة، قدامه، ينفث على هذا، وهذا، وهذا، يقرأ، لا بأس إذا استطاع ذلك، يكون اثنين أو ثلاثة قدامه، ينفث عليهم، على صدورهم، أو في أيديهم، أو على رؤوسهم، على حسب المرض». «فتاوى نور على الدرب» (١/ ٣٢٥).




المطلب الثاني

المخالفات الشرعية على المرقي

من أبرز المخالفات الشرعية على المَرقي ما يلي:

١- تعلَّق المرقي بالراقي أو بالرقية:

والأصل أنَّهما سبب للشفاء بإذن الله تعالى، فلضعف التوحيد في قلبه عظَّم هذا السبب، وجعله مناط الشفاء، نسأل الله السلامة والعافية.

فعلى المسلم أن يعلِّق قلبه ورجاءه بالله تعالى، وأن يعلم أن الرقية سبب للشفاء بإذن الله تعالى.

ولتكن وصية النبيِّ ﷺ لابن عباس أمام ناظريه: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[(١)].

٢- تبرج بعض النساء، وعدم احتياطهنَّ في اللباس:

وذلك أنَّ الراقي إن كان أجنبيًا عنها، فلا يجوز له أن يرى شيئًا من جسدها، فضلاً عن لمسه، ولكنَّ بعض النساء بدافع الثقة بالراقي، أو ظنها أن الشفاء لا يكون إلا بوضع يده على جسدها تتساهل في ذلك.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧٦٣)، والترمذي (٢٥١٦).

ولا يقاس الراقي على الطبيب؛ لأنَّ الطبيب قد لا يمكنه العلاج إلا بمسِّ الموضع الذي يريد أن يعالجه فيباح له للضرورة، بخلاف الراقي الذي عمله هو القراءة والنفث وهما لا يتوقفان على اللمس.

٣- مداومة طلب الرقية من الغير:

بحيث ينسى أن خير الرقية ما يفعلها هو بنفسه، وذلك أنَّ الرقية من جنس الدعاء، ولن يخلص أحد ويجتهد أكثر من اجتهاده وإخلاصه لنفسه.

وقد جاء في صفة السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب: «**هم الذين لا يتطيرون، ولا يسترقون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون**»[(١)].

فإنَّ تطلُّب الرقية من الرقاة مانع من بلوغ الكمال.

وليس أنفع ولا أصدق من رقية الإنسان نفسه، وليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة؛ فإن من أُصيب أو أُصيب له ولد أو قريب أو والد أصدق في التجائه لله ﷻ، ثم إن الاستشفاء بالقرآن لا بالأشخاص، وهذا على التنزل بأن هؤلاء الأشخاص على صلاح وعلم وتقوى.

والمتأمل في كثير ممن يدعي الرقية اليوم ويمتهن هذا العمل يجد أن كثيرًا منهم من أجهل الناس في جانب العلم.

٤- الاستعجال في طلب العافية:

مما يجعل بعض المرضى يغلب جانب القنوط من رحمة الله بكشف

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢١٨).




الضرِّ، ولربما كانت الحكمة في تأخير الشفاء لأمر يعلمه الله ﷻ.

٥- بعض النساء لبحثها عن الشفاء يقع منها بعض المحظورات مع هؤلاء الرقاة، ومن ذلك:

أ - التساهل بالحديث مع الراقي، فتحدثه عن أمور حياتها العامة والخاصَّة، بل وربما ما تختص بها المرأة مع زوجها(١).

ب - بعض النساء تظنُّ أن هذا الراقي منقذٌ من هموم الحياة ومشاكلها، فتشكي له ما تجد من أمور حياتها المعتادة، وتتلقى منه التوجيه بالتسليم، وقد تودي بها إلى مشاكل أعظم؛ فقد استفتت جاهلاً، واستنصحت فارغًا!

ج - بعض الرقاة توسعوا في المباحات مع النساء حتى وقعوا في المحرمات، فعلى المرأة ألَّا تثق بكل راقٍ، ولا تستجيب لكلِّ طلبٍ هو محل شكٍّ أو ريبة.



---

(١) وهذا يقع كثيرًا مع مؤولي الرؤى والأحلام، فتجده يسألها عن دقيق أمورها، وهي تجيبه لرغبتها في معرفة تأويل ما رأت في منامها! هدى الله الجميع.




المطلب الثالث

المخالفات الشرعية في المرقي به

سبق أن بينا أنَّ الرقى غير الشرعية إما أن تكون شركية، وإمَّا أن تكون محرمة، ومن أبرز المخالفات في هذا الشأن:

١ - أن يكون الرقية فيها استغاثة أو استعاذة بغير الله ﷻ.

٢ - أن يكون في الرقية ألفاظ غير مفهومة، أو ألفاظ مفهومة لكنها مجهولة.

٣ - وضع ختم مكتوب فيه بعض الآيات والأحاديث، ثم يغمسه في ماء الزعفران، ويطبعه على الورق، ويعطيه المريض، وهذا عمل لا أصل له، ولا نيَّة فيه.

٤ - القراءة في الأوعية الكبيرة كخزانات المياه، ثم يقوم بتفريغها في قوارير لبيعها، وهذا القراءة لا تنفع، وإنما القصد فيها المكسب المادي البحت.

٥ - الرقية بغير اللغة العربية.






الخاتمة

فأحمد الله على بلوغ التمام في المقصود من هذا التأليف، واسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لإخواني المسلمين، ومبصرًا لهم.

ثم إنِّي أذكر أهم ما انتهيتُ إليه:

١ - أنَّ الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، فيومن العبد أنَّ القدر فعلُ عادل حكيم، غني عليم، يضع الخير والشر في أليق المواضع بهما.

٢ - أنَّ الابتلاء من سنن الله في خلقه، ومن ذلك الابتلاء بالمرض، وأنَّ هذا الابتلاء يحقق للعبد أمورًا قد لا يصيبها وهو في تمام عافيته.

٣ - اتفق أهل العلم على إباحة التداوي في الجملة، وذهب الجمهور إلى عدم وجوبه، وأن استحبابه هو القول الراجح.

٤ - الرُّقية هي تعويذ المريض بقراءة شيء من القرآن، أو بالأدعية الشرعية بما يعرف معناه، مع النفث أو بدونه.

٥ - النُّشْرة، والوَدَعَة، والتَّمِيمة، والتِّوَلة؛ كلها أمور محرمة لا تجوز.

٦ - للراقي شروط، أهمها: الإسلام، والصلاح، والإخلاص لله ﷻ، والعلم المختص بالرقية.

٧ - لا بدَّ أن تصادف الرقية المحل النافع لتكون مؤثرة، ومن ذلك أن يكون المرقيُّ صادق التوجه لله ﷻ، موقنًا أنَّ الشفاء من الله ﷻ، وأن الرقية سبب من الأسباب.

٨ - الأصل أن يرقي الإنسان نفسه بنفسه، فإنَّ المؤثِّر هو القراءة والذكر والدعاء، ولن ينصح ويخلص للمرء لنفسه ولأهل بيته مثل نفسه.

٩ - للرقية شروط ثلاثة أجمع عليها أهل العلم: الأول: أن تكون بكلام الله، أو بأسمائه، أو صفاته، والثاني: أن تكون باللسان العربي، أو بما يعرف معناه ممن لا يحسن العربية، والثالث: أن يعتقد الرَّاقي أنَّها لا تؤثر بذاتها، بل بإذن الله تعالى.

١٠ - الصحيح أنَّ ألفاظ الرقية اجتهادية إذا استكملت شروطها.

١١ - الرُّقية الممنوعة قد تكون شركية، وقد تكون محرمة.

١٢ - الرُّقى تستعمل لحفظ الصحة ولإزالة المرض، وفي كلا الحالتين وردت أذكار شرعية ينبغي للمسلم تعلمها وحفظها والمداومة عليها.

١٣ - المخالفات الشرعية لدى الرقاة متعددة، وأعظمها خطرًا ما يدخل في تعليق الناس بغير الله ﷻ.

ومن مخالفات الرقاة: الاستعانة بالجن، والتساهل في التعامل مع النساء في الرقية، واستحداث طرق للرقية لم تكن على منهج السلف الصالح، وأكل أموال الناس بالباطل.

١٤ - المخالفات على المرقيين متعددة، ومن أعظمها تعلُّق بعض المرضى براقٍ معين يرى أن رقيته تنفع.



ومن مخالفاتهم: تبرج النساء وتساهلهنَّ مع الرقاة وما يطلبونه منهنَّ.



أسأل الله العظيم أن يشفي جميع مرضى المسلمين، وأن يفرج همومهم، وأن يهوِّن عليهم مصابهم.

وأسأله ﷻ أن يحفظ على هذه بلادنا - المملكة العربية السعودية - أمنها وإيمانها، وأن يديم عليها استقرارها.

اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وردَّهم إليك ردًا جميلاً، وألِّف بين قلوبهم.

اللهم وفِّقْ إمامَنا لكل خير.

اللهم كن له عونًا في كل ما أهمَّه.

اللهم انصر به دينك وأعْلِ به كلمتك.

اللهم اجمع به كلمةَ الأُمَّةِ على الخير، وبارك له في مساعيه واجعل مساعيه فيما يقدم إليك زُلفى.

اللهم حقِّق له ما نوى إليه من الخير وما أراد من الخير.

اللهم اجمع به كلمة الأمة ووحد به صفوفها على الخير، واجعله سببًا لحقن الدماء واجتماع القلوب.

اللهم شدَّ عضده بولي عهده، وبارك له في مساعيه الخيرة.

اللهم ارزقهما بطانة صالحة ووفقهما للصواب فيما يقولان ويفعلان، إنك على كل شيء قدير.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحَشر: ١٠].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعرَاف: ٢٣].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البَقَرَة: ٢٠١].



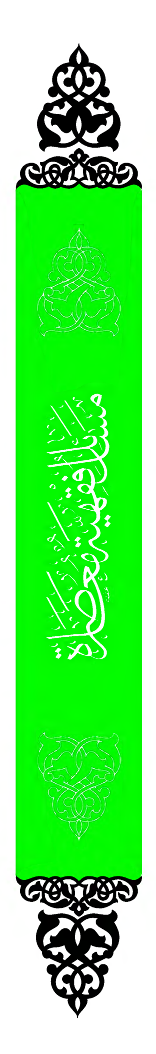



الفهرس





المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر



سلسلة دروس ومؤلفات الشيخ عبد الرحمن السند (٩)

الثمر المستطاب

في شرح قواعد الاحتساب

تأليف
عبد الرحمن بن عبد الله السند
الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
والمدرس بالحرمين الشريفين




مقدّمة

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا؛ من يهده الله فلا مضلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأَشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله،

أمَّا بعد:

فإنَّ عبادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوجب الأعمال وأحسنها وأفضلها، وما ذلك إلا أنَّ الدِّين هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأعظم معروف هو توحيد الله ﷻ، وأعظم منكر هو الشرك به ﷻ، وهما الغاية من بعث الرسل؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النّحل: ٣٦].

والآمرُ بالمعروف والنَّاهي عن المنكر يأمر بالمعروف الذي ظهر تركه، ونهيه عن المنكر الذي ظهر فعله، وهو في ذلك مخالط للناس.

ولذا: فإنَّ الآمر بالمعروف والنَّاهي عن المنكر يحتاج إلى وِثَاقين عظيمين:

الوِثَاق الأول: العِلْمُ التَّام.

وذلك أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يستقيم إلا: بالبَصيرةِ، والمَعرفة التَّامة: والعِلم الشَّرعي.




الوِثاق الثاني: الحِكْمة.

هذه الحِكمة المُؤدِّية إلى أنْ يكون عملُ الآمر والنَّاهي وِفقَ مُراد الله ﷻ.

ومُصْطلح الأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكر من أكثر المصطلحات التي تدورُ في كتبِ أهل العلم، وما ذاك إلا لعظم شأن هذه الفريضة، وهذا العلم كغيره من العلوم: له أصول عامَّةٌ تُردُّ إليها جزئياته.

ويحتاج الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتعرَّف عليها، وأن يضبطها، ولا يَخفى أنَّ ضَبطَ العُلوم بالكلِّيات والقواعد مَسلك معروف لدى أهل العلم.

كما قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية ﵀: «لا بُدَّ أن يكون مع الإنسانِ أصولٌ كُليَّةٌ تُردُّ إليها الجزئيات؛ ليتكلَّم بعِلم وعَدل، ثُمَّ يَعرفُ الجُزيئاتِ كيف وقعتْ، وإلَّا فَيبقَى في كذبٍ وَجَهلٍ في الجُزئياتِ، وجَهل وظُلمٍ في الكُلِّيات، فَيَتولَّد فسادٌ عظيم»(١).

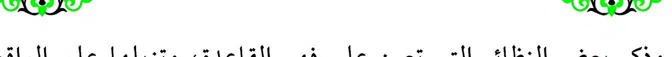
وقال الزَّركشيُّ ﵀: «فإنَّ ضَبطَ الأمورِ المُنتشرة المُتَعدِّدة في القوانين المتَّحدة هي أوعى لِحفظها، وأُدعى لضبطها، والحَكيم إذا أَراد التَّعليم لا بُدَّ أنْ يجمع بين بَيَانَيْن: إجْمَاليٍّ تَتشَّوف إليه النُّفوس، وتَفْصيلي تَسكن إليه»(٢).

وقد توفَّر لي مِنْ تلك القواعد عددٌ كبير، تحتاجُ إلى تعليق يكشف عَنها، فاستعنت بالله ﷻ على التعليق عليها بما لا يخرج عن المقصود،

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩/ ٢٠٣)، «منهاج السنة النبوية» (٥/ ٨٣).

(٢) «المنثور في القواعد» (١/ ٧)، والزركشيُّ هو:



وذكر بعض النظائر التي تعين على فهم القاعدة، وتزيلها على الواقع العملي.

أسأل الله أن ينفع بهذا العمل، وأن يوفق الجميع لكل خير، والحمد لله رب العالمين.

الرئيس العام
لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
عبد الرحمن بن عبد الله السَّند






القاعدة الأولى

الأمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر يحتاجُ: إلى إخلاصٍ وصبرٍ ومُتَابعةٍ[(١)]

قال شيخُ مشايخنا الإمام العالم محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وهو[(٢)] كَغيرِهِ من مُهمَّات الدِّين، وأُصولهِ العَظيمة، فَيحتاجُ في القِيام فِيه إلى: إخلاصِ القَصدِ للهِ تعالى، وإلى الصَّبر في ذلك، وإلى أنْ يكونُ على وفقِ ما جاءَ به النَّبيُّ ﷺ.

فإنَّه إن لم يكن خَالصاً: كان شركاً ورياءً.

وإن لم يَكُنْ بِصدقٍ مع الله وبذلٍ لِغَايةِ الوسْع، ونِهاية الطَّاقة، وإِسْخاطِ جَميعِ الخَلْق برضاءِ اللهِ: كانَ كَذباً وبَهْرَجاً.

وإن لم يكنْ عَلى وِفْق سُنَّة الرَّسول ﷺ كانَ بِدْعة واعتداء».

التَّعليق:

هذه قاعدةٌ عظيمةٌ، فإنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - كغيره من مهمات الدِّين وأصوله العَظيمة - فلا بُدَّ فيه من: إخلاصٍ، ومُتَابعة، ويحتاج أيضًا إلى: صَبرٍ.

---

(١) «فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم» (٦/ ١٧٣).

(٢) أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما الإخلاص:

فإنَّ الله ﷻ لا يقبلُ من الأعمالِ إلا ما كانَ خالصًا له وحده ﷻ.

والأمرُّ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكر عِبادةٌ، بَلْ هو كما قال شيخ الإسلام ﵀: «**من أَعظم العِباداتِ وأَجلِّها وأَفضلِها وأَحسَنها**».

والعِبادةُ إنَّما تَكون لله وحده ﷻ، لا يُشرَك مَعه غيره، ومِصداقُ هذا قولُ الله ﷻ في الحَديثِ القُدْسِي: «**أَنَا أَغنى الشُّركاءِ عَن الشِّرك، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرك مَعِيْ فِيْه غَيْرِيْ تَركْتُه وشِرْكَه**»[1].

والله ﷻ لا يقبلُ مِن الأَعمَال مَا أَشَرك فيه العَبدُ معه غَيْره.

وقد قَال تَعالى في هَذا: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزُّمَر: ٢-٣].

وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيِّنَة: ٥].

وفي الحديث العظيم المشهور[2]، حديثِ أمير المؤمنين عمرَ بنِ الخَّطاب ﵁ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّمَا الأعمالُ بالنِّياتِ، وإنَّما لِكُلِّ امرئٍ مَا نَوى**»[3].

فينوي العبدُ في أمرهِ ونَهيه وجْهَ اللهِ، لا يريدُ بذلك الحُصولَ على المناصب، ولا على المراكز، ولا على المال، ولا على غرض دُنيويٍّ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «وإذا كانتْ جميعُ الحسنات لا بُدَّ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة ﵁.
(٢) الشهرة اللغوية لا الاصطلاحية، وإلا فهو حديث فرد، انظر: «الفوائد الجنية في شرح إنما الأعمال بالنية».
(٣) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب ﵁.

فيها من شيئين: أن يُراد بها وجْه الله، وأن تَكون موافقةً للشَّريعة. فهذا في الأقوالِ والأفعالِ، في الكلم الطَّيب والعمل الصَّالح، في الأمور العِلمية والأمور العَملية العِباديّة.

ولهذا ثبت في الصَّحيح عن النَّبيِّ ﷺ: **إنَّ أوَّلَ ثَلاثةٍ تُسجَّرُ بهم جَهنَّم:**

رجلٌ تعلَّم العِلم وعلَّمه وقَرَأَ القُرآن وأَقرأه ليقول النَّاس: هو عالمٌ وقارئ.

ورجلٌ قاتلَ وجاهد ليقول النَّاس: هو شجاعٌ وجريءٌ.

ورجلٌ تَصدَّق وأَعطى ليقول النَّاس: جوادٌ سخيٌّ[(١)].

فإنَّ هؤلاء الثَّلاثة الذين يريدون الرِّياءَ والسُّمعة هم بإزاء الثَّلاثة الذين بعد النَّبيِّين: من الصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين[(٢)].

فإنَّ من تعلَّم العلم الذي بعث الله به رُسُلَه وعَلَّمَه لوجه الله كان

---

(١) أخرج مسلم (٨٢٧٧) من حديث أبي هريرة ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ أوَّلَ النَّاس يُقضى يومَ القيامة عليه: رجلٌ اسْتُشهِد، فُأتي به فَعرَّفه نِعَمه؛ فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قَاتلتُ فِيك حتَّى اسْتُشهدت، قال: كَذبتَ، ولكنَّك قَاتلتَ لأنْ يُقالَ: جَريءٌ، فَقد قِيل، ثُمَّ أمر به، فُسحب على وجهه حَتَّى أُلقي في النَّار، ورجلٌ تَعلَّم العلم وعلَّمه، وقرأ القُرآن، فُأتي به فَعرَّفه نِعمَه؛ فَعرفها، قَال: فما عَملتَ فِيها؟ قال: تَعلَّمتُ العِلم وعلَمتُه وقَرأت فِيك القُرآن، قَال: كَذبت، ولكنَّك تَعلَّمت العِلم ليُقال: عَالِم، وقَرأتَ القُرآن لِيقَال: هَو قَارئٌ، فَقَد قِيل، ثُمَّ أُمر به فُسحب عَلى وَجهه حتَّى أُلقي في النَّار، ورجلٌ وسَّع الله عليه، وأعطاه من أصْنَاف المَال كُلِّه، فَأُتي به فَعرّفه نِعمه فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: ما تَرَكت مِنْ سَبيل تُحبُّ أن يُنفق فيها إلا أَنفقتُ فيها لكَ، قال: كَذبتَ، ولكنَّك فعلتَ ليُقَال: هُو جَواد، فَقد قِيْل، ثُمَّ أمر به فَسُحب على وجْهه، ثم أُلقي في النَّار**».

(٢) الوارد ذكرهم في قوله ﷻ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النِّساء: ٦٩].

صِدِّيقًا، ومَنْ قَاتل لتكون كلمة الله هي العليا وقُتِل كان شهيدًا، ومَن تَصدَّق يبتغي بذلك وجه الله كان صالحًا»[١].

وهذا مقامٌ عظيم لا بُدَّ من الانتباهِ إليه: فإنَّ بعضَ مَن يقوم بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر رُبَّما يقوم به رَجاء مدحِ النَّاس، أو خشيةِ ذَمِّهم لو لم يُقم بهذا الأمر.

فبعض النَّاسِ يقول: أخشى إنْ لم آمر أو لم أَنْهَ أن يُعرِّضني ذلك لذمِّ الناس.

وفي هذا شيءٌ من الهوى.

فمن النَّاس من يكونُ أمرهُ ونَهيه لهواه؛ لا لله، وهذا ملحظٌ دقيقٌ، فلا ينبغي أن يقوم الإنسانُ بهذا الأمر الجليلِ والعبادة العظيمة إلا والباعثُ عليها وجْه الله.

قال شيخنا ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «أمَّا الذين يَأمرون بالمعروفِ وينهون عن المنكر لأغراض أخرى: كرياءٍ وسمعة، أو حظٍ عاجل، أو أسبابٍ أخرى، أو يتخلَّفون عن فعلِ المعروف ويرتكبون المنكر؛ فهؤلاء مِنْ أَخبثِ النَّاس، ومن أَسوئِهم عَاقبة»

وأما المتابعة:

فإنَّ كلَّ مَنْ أَمرَ بمعروف أو نهى عن منكر من أمة محمد ﷺ، فإنَّما يَفعله اقتداءً بالنَّبيِّ ﷺ، واستجابةً لأمره.

وعلى هذا: فلا بُدَّ أن يكونَ في أَمره ونَهيه على وِفْقِ ما جَاء عن النَّبيِّ ﷺ، فإنَّ عبادةَ الأمرِ بالمعروف والنَّهي عن المنكر لها قواعدُ

(١) «الاستقامة» (٢/ ٢٩٨).

وضوابطُ شرعيةٌ؛ لأنَّها عِبادةٌ، وأمرٌ شرعيٌّ؛ جاءَ في كتابِ الله وسُنَّة نبيِّه ﷺ.

ومرجعُ الأمرِ فِيما يَقومُ به الإنسانُ من أَمْره ونَهيه: هو الشرع.

والشَّرع إنَّما يكون بمتابعة النَّبيِّ ﷺ.

ولذلك فإنَّ حديثَ عائشةَ رضي الله عنها المشهور، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هَذا مَا ليسَ مِنه فَهو رَدٌّ**»[1] وفي لفظ مُسلم: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيسَ عَليهِ أَمْرنَا فَهوَ رَدٌّ**»[2]، يدلُّ على أنَّه لا بُدَّ أنْ يَكونَ الأمرُ بالمعروف والنَّهي عن المنكر عَلى وِفْق أَمر وهَدي النَّبيِّ ﷺ

قال ابن القيم رحمه الله في نونيته:

فَلِوَاحِدٍ كُنْ وَاحِدًا فِيْ وَاحِدٍ أَعْنِي سَبِيْلَ الحَقِّ والإِيْمَانِ[3]

«**لواحد**»: هو الله جل جلاله، وهذا هو توحيد المُراد.

«**كن واحدًا**»: في عزمك وصدقك وإرادتك.

«**في واحدٍ**» وهو متابعة الرسول ﷺ الذي هو طريق الحق والإيمان.

فمن اجتمعتْ له هذه الثَّلاثة نَالَ كُلَّ كَمالٍ وسَعادةٍ وفَلاحٍ، ولا يَنْقصُ من كَمَاله وسعادتِه إلا بقَدرِ نَقْصِه مِنْ واحدٍ منها.

وأما الصَّبر:

فهو لازمٌ من لوازمِ الأمرِ بالمعروف والنَّهي عن المنكر، ولا يُمكن

---

(١) البخاري (٢٦٩٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٣) «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد» (٢/ ٢٥٨).

أنْ يَأمر إنسانٌ بمعروفٍ، أو يَنهى عن مُنكر؛ إلا وَمَعه في ذلك: الصَّبر.

وأصل كلمة «الصبر»: هو المنع والحبس.

وأمَّا حقيقته فهو كما قال **ابن القيم** رَحِمَهُ اللهُ: «وأمَّا حَقيقته فهو خُلُقٌ فَاضلٌ من أَخلاق النَّفس، يَمتنع بهِ من فِعلِ مَا لا يَحسُن ولا يَجمُل، وهو قُوَّة مِن قَوى النَّفس التي بها صلاحُ شَأنها، وقِوام أَمْرها»[1]

ولذلك أمرَ الله ﷻ به فقال في السُّورة العظيمة؛ سورة العصر: ﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ③﴾ [العَصر: ١-٣].

والتَّواصي بالحقِّ هو: الأمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر، ثُم أَمرَ الله عزَّ وجل بعدَه مباشرةً بالتَّواصي بالصَّبر؛ لأنه لا بُدَّ في مَنْ يأمرُ وينهى أن يتحمَّل ما يصيبه بسببِ أمره ونهيه، ومَنْ ظَنَّ أنه يأمر وينهى ولا يصيبه شيءٌ فإنَّه جَاهلٌ بحالِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال الله ﷻ في وصية لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ⑰﴾ [لقمَان: ١٧].

قال العُلماء: أمرَ الله ﷻ في هذه الوصيَّة بالصَّبر بعد الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنَّه لا بُدَّ في الأمر بالمعروف والنَّهيِ عن المنكر من الصَّبر وتَحمُّل الأذى، وما يَجده الإنسان من إعراض وصدود وكلام.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «ولا بُدَّ - أيضًا - أن يكون حليمًا صبورًا

(١) «عدة الصابرين» (ص١٦).

على الأذى، فلا بُدَّ أن يَحصل له أذى، فإنْ لم يَحْلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح، كما قال لقمان لابنه ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]»[١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عَلمَ أنَّ الآمرَ بالمعروفِ والنَّاهي عن المنكر، لا بدَّ أن يناله من النَّاس أذى، فَأمره بالصَّبر»[٢].

ثم ختم الله الآية بقوله ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ [فَاطِر: ١١] أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى: ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٦]، فهي أمور واجبة أمر الله بها، ولا تنفك عن بعضها، فلا أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر، بلا صبرٍ على الأذى وتحمله في ذات الله.

والنَّبيُّ ﷺ وهو سيِّدُ الآمرين بالمعروف والنَّاهين عن المنكر: أوذي الأذى العظيم فصبر.

ولذلك سلّاه ربُّه ﷻ في ذلك بأنَّ ما أصابه في ذات الله أُصيب به من قبله من الرُّسل.

فقال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الأنعَام: ١٠].

وقال: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعَام: ٣٤].

فالأذيَّة لكلِّ آمرٍ بمعروف وناهٍ عن منكر مما اقتضته الحِكمة، وسارتْ به سُنَّة الله ﷻ، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**أشَدُّ النَّاس بلاءً الأنبياءُ، ثُمَّ الأمثلُ فالأمثل**»[٣].

---

(١) «الاستقامة» (٢/ ٢٣١). (٢) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٣٨).

(٣) أخرجه أحمد (٢٧٠٧٩)، والدارمي (٢٨٢٥)، والترمذي (٢٣٩٨)، وبوب عليه البخاري.

وهذا مقامٌ عظيمٌ يحتاج الإنسانُ فيه أن يوطِّن نفسه على تحمُّل الأذى في ذات الله ﷻ، وأنَّ هذا الذي يُصيبه بسببِ أَمره ونَهيه من أعظمِ مَا يقرِّبه إلى الله ﷻ، وينالُ به الدَّرجة العَالية عندَ الله سبحانه وتعالى.

قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «**التَّقوى**: تتضمنُ طاعة الله، ومنها الأمرُ بالمعروف والنَّهي عن المنكر، **والصَّبرُ**: يتناول الصبر على المصائب التي منها أذى المأمور المَنْهيِّ للآمر النَّاهي»[١]

وقد أوذي النَّبيُّ ﷺ في ذات الله، وضَربَه قومُه حتى أَدموه وخَرجَ الدَّم من جسده الطَّاهر ﷺ، ومع ذلك كان يقابل ذلك بالدُّعاء: لا عَليهم، بل لهم، فيقول: «**اللَّهمَّ: اغْفِر لِقَومي، فإنَّهم لا يَعلمون**»[٢]، وكان ﷺ يتحمَّل الأذى منهم، فما أحسن أثره على الناسِ!

ولهذا أمر الله الرُّسَل - وهم أئمة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر - بالصَّبر.

قال الله ﷻ لخاتم الرُّسل ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ [المدَّثِّر: ١-٧].

فافتتح آيات الإرسال إلى الخلق بالأمرِ بالنَّذارة، وختمها بالأمر بالصَّبر، فعُلم أنَّه يجبُ مع الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى الصَّبر

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصَّبر على أَذى الخَلْقِ عند الأمرِ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٥/ ١٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢).

بالمعروفِ والنَّهي عن المنكر إنْ لم يُستعمل لَزم أحد أمرين: إمَّا تعطيلُ الأمر والنَّهي، وإمَّا حصولُ فتنةٍ ومفسدةٍ أعظمُ من مَفسدة تَرك الأمرِ والنَّهي، أو مثلها، أو قريب منها، وكلاهُما معصيةٌ وفسادٌ، فمَنْ أَمَر ولم يَصْبر، أو صَبر ولم يَأمر، أو لم يأمر ولم يَصبر حَصلَ مِن هذه الأقسامِ الثَّلاثة مَفسدةٌ، وإنَّما الصَّلاح في أنْ يَأمرَ ويَصبر»[١]



(١) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ١٧٦).



القاعدة الثانية

التَّقْصيرُ والاعتداءُ إمَّا: في المَأمورِ به والمَنْهيِّ عَنه شَرْعًا، وإمَّا في نَفْس أَمْر النَّاس ونَهيِهم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «الانحرافُ عن الوَسطِ كَثيرٌ في أكثرِ الأمور في أَغلبِ النَّاس، مثل تَقابلهم في بَعض الأفْعَال؛ يتَّخذُها بعضهم دينًا واجبًا أو مستحبًا أو مأمورًا به في الجملة، وبعضهم يعتقدها حرامًا مكروهًا أو محرمًا أو منهيًا عنه في الجملة،... وهذان الطَّرفان مِن اتِّخاذ ما ليس بمشروع دينًا، أو تحريم ما لم يَحرم: دين الجَاهلية والنَّصارى، الذي عَابَه الله عليهم.

كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾ [النّحل: ٣٥].

وقال تعالى فيما رواه مُسلمٌ في صحيحه من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه: «إنِّي خَلَقتُ عِبادي حُنفاء فاجتالتهم الشَّياطين، وحَرَّمتْ عليهم مَا أحللتُ لهم وأَمَرَتْهم أنْ يُشركوا بي مَا لم أُنزِّل به سُلطانًا».

وقال في حق النَّصارى: ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التّوبَة: ٢٩].

ومثال ذلك: أنْ يحصلَ من بَعضهم تَقصيرٌ في المأمور، أو اعتداءٌ في المنهي: إمَّا من جِنس الشُّبهات وإما من جنس الشُّهوات؛ فيقابل ذلك

بَعضهُم بالاعتداء في الأمرِ بالمَعروفِ والنَّهي عن المنكر، أو بالتَّقصير في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

والتَّقصير والاعتداء؛ إمَّا في المأمور به والمنهي عنه شرعًا، وإمَّا في نفس أمرِ النَّاس ونهيِهم: هو الذي استحقَّ به أهل الكتابِ العقوبة حيث قال: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١١٢].

فجعلَ ذلك بالمعصيةِ والاعتداءِ.

والمعصيةُ: مخالفةُ الأمر وهو التقصير. والاعتداء: مجاوزة الحد...

واعلم أن «مجاوزة الحد»: هي نوعٌ من مخالفةِ النَّهي؛ لأنَّ اعتداءَ الحَدِّ مُحرَّمٌ مَنْهيٌّ عنه، فيدخُل في قسم المَنْهيِّ عنه»

التَّعليق:

التَّقصير والاعتداء إما أن يكون في المأمورِ به والمَنهي عنه شرعًا، وإمَّا في نفس أَمر النَّاس ونهيهم، وهو الذي استحقَّ به أهلُ الكتاب العقوبة.

كما قال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١١٢] فجعل ذلك بالمعصية والاعتداء.

وقد قال الله ﷻ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ﴾ [المَائدة: ٧٨-٧٩].

فالمعصية هنا: مخالفة الأمر، وهي التقصير. **والاعتداء**: مجاوزة الحدِّ، فبيّن الله ﷻ أنَّ المعصيةَ والاعتداء سببُ استحقاقهِم اللَّعن.

وفي هذا دلالة على خطورةِ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، إمَّا في المأمورِ به والمنهيِّ عنه شرعًا: فلا يؤمرُ بالمعروف ولا يُنهى عن المنكر على الوجه الشرعيِّ، وإمَّا في نفس أمر النَّاس ونهيهم: من جهة الاعتداءِ في ذلك والمعصيةِ.

فإنَ من الناس من يجافي التوسُّط المطلوب شرعًا، فتجده تاركًا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتحجج بحجج واهية فيقصِّر في أداء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو يكون آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر ولكن ليس بالهدي النبوي الكريم، وإنَّما وفق ما يراه هو.

فالمراد أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا إفراط ولا تفريط.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فإنَّ كثيرًا من الآمرين النَّاهين قد يتعدى حدود الله إمَّا بجهلٍ، وإمَّا بظلم، وهذا بابٌ يجبُ التثبُّت فيه...، فما أحسنَ ما قال بعضُ السَّلف: ما أمرَ الله بأمرٍ إلا اعترضَ الشَّيطان فيه بأمرين - لا يبالي بأيِّهما ظفر - غلوٌّ أو تقصير.

فالمعينُ على الإثمِ والعدوان بإزائه: تارك الإعانةِ على البرِّ والتَّقوى.

وفاعلُ المأمور به وزيادة منهي عنها بإزائه: تاركُ المنهيِّ عنه وبعض المأمور به.

والله يهدينا الصراط المستقيم ولا حول ولا قوة إلا بالله»[١].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٤٨١-٤٨٣).

وجِمَاعُ ذلك: أن يكون الآمرُ بالمعروف والنَّاهي عن المنكر على علمٍ وفهمٍ ودراية بالمصالح والمفاسد وما يترتب عليهما.






القَاعِدة الثَّالثة

المُنكرات الظَّاهرة يجب إنكارها، بِخلاف البَاطنة فإنَّ عُقُوبتها على صَاحِبها خَاصَّة.

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ - ضمن جوابه عن سؤال عَن مَنْ يجبُ أو يجوزُ بغْضُه أو هجره أو كلاهما لله تعالى -: «... وهذا حقيقة قولُ مَنْ قالَ من السَّلف والأئمة: إنَّ الدُّعاة إلى البدع: لا تقبلُ شَهادتهم، ولا يُصلَّى خَلفهم، ولا يؤخذ عنهم العلم ولا يناكحون. فهذه عقوبة لهم حتى ينتهوا؛ ولهذا يفرقون بين الداعية وغير الداعية؛ لأن الدَّاعية أظهرَ المنكرات فاستحق العقوبة، بخلاف الكاتم فإنَّه ليس شرًا من المنافقين الذين كان النَّبيُ ﷺ يقبل علانيتهم، ويكل سرائرهم إلى الله مع علمه بحال كثير منهم. ولهذا جاء في الحديث: «**إنَّ المعصية إذا خَفيتْ لم تَضُرَّ إلا صاحبَها، ولكنْ إذا أُعلِنتْ فَلم تُنكرْ ضَرَّت العامَّة**»، وذلك لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ النَّاس إذا رأوا المنكر فَلم يُغيِّروه أَوشكَ أنْ يَعمَّهم اللهُ بعقابٍ منه**». فالمنكرات الظَّاهرة يجب إنكارها؛ بخلاف الباطنة فإن عقوبتها على صاحبها.

التعليق:

هذه قاعدة متقرِّرة في الشَّريعة: أنَّ المنكر الذي يجب إنكاره هو المنكر الذي ظَهر فَعله، بخلاف المُنكرات الباطنة التي استتر بها صاحبها، فإنَّ عقوبتها على صاحبها خاصَّة، وليستْ مما يجبُ إنكاره،

بل لا يجوز التَّجسس على النَّاس، وأصحاب المعاصي، فإنَّ من أَغلق باب داره، واستتر بستر الله؛ لا يجوز الدُّخول عليه للبحث عن المنكر؛ لأنَّ هذا من التَّجسس المنهيِّ عنه، وقد قال صاحب منظومة الآداب:

وَيَحْرُمُ تَجَسيسٌ على مُسْتَتِرٍ بِفِسْقٍ ومَاضِ الفِسْقِ إنْ لم يُجدد

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما غاب فلا تفتِّش»[1].

والمقصود بالأمر بالمعروف المعروف الذي ظهر تركه، وكذلك في المنكر الذي ظهر فعله.

وعلى هذا: فليس للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتجسس على المسلمين، أو أن يذهب فينظر فيما لم يظهر له من حالهم، فيتتبَّع العورات والسَّقطات، ويتنصَّت على الناس، ولذلك قال النَّبي ﷺ: «**يا معشرَ من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه: لا تَغتَابوا المُسلمين، ولا تَتَبَّعوا عَورَاتِهم، فإنَّ من اتَّبعَ عَوراتِهم يَتبعُ الله عَورتَه، ومَنْ يَتْبعِ الله عَورتَه يَفْضَحْهُ في بَيْتِه**»[2]، والله ﷻ يقول في محكم تنزيله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحُجرَات: ١٢]: فنُهينا عن التَّجسُّس، والأصل سلامة المسلمين، وليس له أن يُلحق التهمة بالشك والاشتباه.

فالتجسس على النَّاس مَنهيٌّ عَنه؛ سواء كان في البحثِ عن عيوبهم، أو ليطَّلع على أخبارهم.

أمَّا في الأول فلئلا يَظهر على عورات النَّاس. وتَأَمُّل العَيب مَعيبٌ،

---

(١) روى الخلال أنَّ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ سُئِل عن الرَّجل يَسْمع حِسَّ الطَّبل والمزمار ولا يعرف مكانه، فقال: وما عليك؟ وقال: ما غاب فلا تفتِّش. «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص٧٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٩٧٧٦)، وأبو داود (٤٨٨٠) من حديث أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



وكَذا تَتبعه والبَحث عنه، وأمَّا في الثاني فلئلا يقعَ في مخالفة لقوله ﷺ «فَلا تَجسَّسوا ولا تَحَسَّسوا»

قال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَال بعضُ الوزراء الصَّالحين لبعض من يَأمرُ بالمعروف: اجتهدْ أنْ تَسْتُر العُصَاة فإنَّ ظُهور مَعاصيهم عَيبٌ في أَهلِ الإسلام. وأَولى الأمورِ سَترُ العُيوب» .[١]

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأمَّا تَسوُر الجُدران على مَنْ عَلم اجتماعهم على مُنكر، فقد أنكره الأئمةُ مِثلُ سفيان الثوري وغيره، وهو داخلٌ في التَّجسُّس المَنهي عنه، وقد قيل لابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنَّ فلانًا تَقْطُر لِحيته خَمْرًا، فقال: «نَهانَا اللهُ عن التَّجسُّس» .[٢]

وقد روى المسور بن مخرمة، عن عبد الرحمن بن عوف: أنه حرس مع عمر بن الخطاب ليلة بالمدينة، فبينما هم يمشون شبّ لهم سراج في بيت، فانطلقوا يؤمّونه، حتى إذا دنوا منه إذا باب مجاف على قوم، لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط، فقال عمر وأخذ بيد عبد الرحمن: أتدري بيت من هذا؟ قلت: لا. قال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف، وهم الآن شرب[٣]، فما ترى؟. قال عبد الرحمن: أرى أنا قد أتينا ما نهانا الله عنه: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ [الحُجرَات: ١٢]، فقد تجسسنا. فانصرف عنهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتركهم .[٤]

وهذا هو حال السلف في عدم تتبع العورات والتجسس على

(١) «غذاء الألباب» (١/ ٢٦٤).
(٢) المرجع السابق.
(٣) يعني شربوا الخمر.
(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٧٦٢٥).

المسلمين، وإنما يؤخذ الإنسان بما ظهر منه، ومن ابتُلي بشيء من هذه القاذورات استتر بستر الله، فلا يُهتك ستر الله ﷻ، وإنما الواجب حفظ ستر الله ﷻ، ومن تاب بينه وبين ربه تاب الله عليه، ومن استتر بستر الله فلا يُهتك هذا الستر، فإن الذنوب الخاصة التي بين العباد وبين ربهم لم يأمرنا الله ﷻ بتتبعها ولا بملاحقتها ولا بالتجسس عليها، بل نهانا ﷻ عن ذلك، وحض الشارع على الستر، ولو علم ذلك من أخيه المسلم فإن الستر مما ندب إليه الشارع الحكيم.

وقد جاء ماعز الأسلمي ﵁، لما وقع فيما وقع فيه من الفاحشة، إلى هزال الأسلمي، فأخبره بما حدث منه، فقال له هزال: اذهب إلى رسول الله ﷺ وأخبره. فذهب ماعز إلى رسول الله ﷺ فأخبره بما وقع منه من الزنا، فأقام النبي ﷺ عليه الحد... والشاهد من هذه القصة أن رسول الله ﷺ لما بلغه أن هزالًا أمر ماعزًا أن يأتي رسول الله ﷺ، قال له النَّبي ﷺ: «**ويحك يا هزال! ألا رحمته؟!**».[(١)]

وفي رواية: «**ويلك يا هزال! لو سترته بثوبك كان خيرًا لك، لو سترته بردائك لكان خيرًا لك**».[(٢)]

قال الإمام ابن عقيل الحنبلي ؒ:

«يعزُ عليَّ - والله - بأقوام التزموا لله سبحانه ما أسقطه عنهم، وفتحوا على نفوسهم طُرقًا سَدَّها عنهم، وأبواباً أغلقها دونهم، والشَّريعة من ذلك مملوءة، وهم عنها غُفَّل!

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٧١٢٨).

(٢) أحمد (٢١٨٩١)، والنسائي في الكبرى (٧٢٥٣).



الرجل يقول «زنيت» وصاحبُ الشرع يَلتفتُ عنه، ولمَّا كلَّمه عرَّض له بالرجوع عن التَّصميم: «لعلك قبلت؟» وقد سمعتني «العينان تزنيان»، «أبك خبَل؟» «استنكهوه». كُلُّ ذلك دفعٌ عن تحقيق الإقرار، وهَرَبَ مِنْ وقع الأحجار، والحقُّ لله قد ثبت، قال «هلا تركتموه»، فما زال يَدفع الإقرار بِجهده، وهو المستناب لله في استيفاء حقه... ويقول للمقر: «ما إخالك سرقت»، مع كون السرقة تَتَضمَّن حقَّين: حقَّ الله وحقَّ الآدمي، «أسرقت؟ قل لا»، «تعافوا الحدود فيما بينكم»، «هلا سترته بثوبك»...

فالشرع يتغاضى عن حقوقه، وأنتم تَتَبَّعون النَّاس تتبُّع أصحابِ الأخبار! قد كفى المُكلَّف ما وُكِلَ به من الرَّقيب والعتيد، ما قَنَعْتم أَنتم بما وَضَع، وقدْ رَأَيتم تغاضيه عن حقوقه حتى جعلتم نُفُوسكم حَفَظَة له، تُراكم لا تَخافون أنْ يفضحكم في قَعْر بُيوتكم على أَقبح ذنوبكم؟

صاحب الحق يعفو، وأنت بِسُوء طَبعك تَكشف وتَجفو!

صاحب الشرع يقول - على علم منه ببواطن الأحوال - «من أتى شيئًا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله» تَراه يريد: فليستتر عن الله بستره، أو عنكم؟ فإذا استتر الجاني عنك امتثالاً لأمري، وكشفتَ أنت، كانتْ جريمتُك في الكشف على أخيك المسلم أكبرَ من جريمته، حيث امتثل بسَترها أمرَ الشارع.

يا جاهل! أنا صاحب الحق وقد سترت.

فيا فضولي! فما بالك، فيما ليس لك بحثت وكشفت، احذر المقابلة مني بكشف، وأنت بين مُصدِقٍ لك ومُكَذِّبٍ، فإنَّ مقابلتي كشْفِك بحيثُ لا تُقبل مَعْذرتك، ولا يُصدّق جحدك.



نعوذ بالله من التَّعبُّد بالجهل، أنتَ تَعتقد أنك مُنْكِرٌ وأنتَ غيرُ المُنْكِر، حيث تطفَّلتَ بمَا لم تُكَلَّفه، بلْ بما نُهيتَ.

لا تُوَقِّرني في الخَلْوة، وتَتَعاصبْ لي عَلى غَيرك مع توقِّيه مِنْك بأكثف سِتْر».(١)

هكذا جاءت السنة، بأن يُستر على من تاب بينه وبين ربه، ولا يُهتك الستر، ويُعان التائب على توبته، والمستتر على ستره، إلا في الذنوب والمعاصي المتعدي خطرها وشرها، كأصحاب الأفكار الضارة الضالة الذين يخططون لتدمير العباد والبلاد بمخططات تفجير وتدمير وإفساد للشباب والفتيات، فتتبعهم وتعقبهم مما جاءت به الشريعة لقطع دابرهم وشرهم؛ لأن شرهم متعدٍ، ولأن ضررهم يفتك بالعباد والبلاد، وكذلك من يروّج الشر والضرر بالمسلمين، كمروجي المخدرات والمسكرات والداعين إلى الرذيلة.

أما الأصل العام فإن المسلم في أمره ونهيه إنما يأمر بالمعروف الذي ظهر تركه، وينهى عن المنكر الذي ظهر فعله.

والله تعالى أعلم وأحكم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.



(١) «الفنون» (٢/ ٦٨٣).

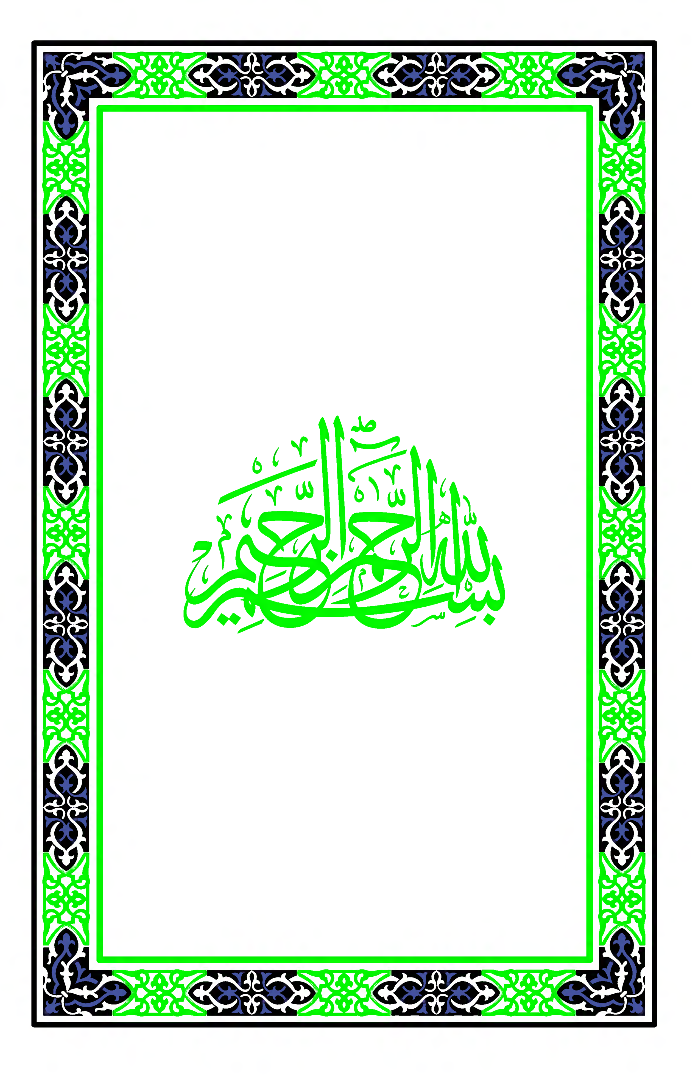



فهرس الموضوعات

الثمر المستطاب: في شرح قواعد الاحتساب



طيبة الطيبة


بسم الله الرحمن الرحيم




مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله على جميع نعمه بما هو أهله، وكما ينبغي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فمن فضل الله ﷻ وتوالي نعمه أن نفدت الطبعة الأولى لهذا الكتاب في وقت وجيز للغاية، وقد رغب القائمون على طباعته إعادة طبعه مرة أخرى.

وقد استجبتُ لطلبهم بعد أن أجريت عليه بعض التعديل من حذف وإضافة، وإصلاح للتطبيعات، وزيادة تعليق على بعض المسائل؛ بما لا يخرج الكتاب عن مضمونه الأساس(١).

وإنَّ مما يحسن عَرْضه فيستوجب شكره ما يجده زائر المدينة المنورة من اهتمام بالغ من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز - يحفظه الله -، وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي محمد بن سلمان بن عبد العزيز - وفقه الله - بالمدينة المنورة بشكل عام، والمسجد النَّبوي الشريف بشكل خاص، وأعلى هذا الاهتمام وأوفاه: تجريد التوحيد لربِّ العبيد، ونشر الأمن والأمان والاطمئنان في ربوع

---

(١) فهو رسالة موجَّهة لزائر المدينة المنورة من عامَّة المسلمين من أقطار المعمورة، والتي تتشرف هذه البلاد المباركة - المملكة العربية السعودية - بخدمتهم من حين مَقدمِهم وإلى مَغادرتهم، فالكتاب له هدف وغاية بأسلوبه وفكرته ومادته العلمية.

مدينة الأمن والإيمان؛ مما يستجمع قلوب الموحدين للتفرغ للعبادة في مسجد رسول الله ﷺ.

أسأل الله العظيم الكريم أن يحفظ خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز بحفظه، وأن يكلأه برعايته، وأن يجري الخير على يديه، وأن يحفظ به البلاد والعباد، وأن يشدَّ عضده بولي عهده الأمين، وأن يوفقهما لكل خير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد الرحمن بن عبد الله السند





مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليلُه، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه؛ صلَّى الله عليه، وعلى آله الطَّيبين، وأَزواجه الطَّاهرات أُمَّهات المؤمنين، وصحابته الغُرِّ الميَامين، ومَن سار على نهجهم، واتَّبع خُطَاهم إلى يوم الدِّين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

فإن الله تعالى فاضل بين الأشخاص والأزمان والأماكن والمعالم. وهذا التخصيص والاصطفاء شأنٌ إلهي يختصُّ به سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

ومما استأثر الله ﷻ من البلدان وفضلها على غيرها: طيبة الطيبة، فكانت مُهاجَر نبيه ﷺ، ومقامه في حياته، ومدفنه بعد مماته، وفيها مسجده الشريف، ثاني الحرمين الشريفين، صلاة فيه بألف صلاة مما سواه؛ إلا المسجد الحرام.

هي طيبة الطَّيبة، وطابة المباركة، والدِّرع الحصينة، ودار الهجرة وأرضها، ودار الإيمان، ودار السنة، ودار السلامة، وقبَّة الإسلام[1].

---

(١) أخرج الطبراني في «الأوسط» من حديث أبي هريرة ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمَدِينَةُ قُبَّةُ الْإِسْلَامِ، وَدَارُ الْإِيمَانِ، وَأَرْضُ الْهِجْرَةِ، وَمُبَوَّأُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ»، وهو حديث لا يصح. =

كان ﷺ يحبُّها حبًّا شديدًا فكان إذا قدم من سفرٍ فأبصر جُدرانها أسرع بناقته مِن حُبِّه لها، وشوقه للرجوع إليها(١).

وفي فجاجها وطرقاتها تنقَّل الحبيب ﷺ فسار على قدميه، وركب ناقته تارة، ودابته تارة، فيذهب ويجيء، ويزور أصحابه..

وكان ﷺ يذهب كلَّ يوم سبت ماشيًا أو راكبًا إلى مسجد قباء فيصلي ركعتين فيه(٢).

ويقول عن جبلها العظيم أُحُد: «**جَبَلُ أُحُدٍ يُحِبُّنا وَنُحِبُّهُ**»(٣).

قَدِمَ ﷺ إليها من مكَّة مهاجرًا خِفيةً من المشركين، وهاجر قبله وبعده أصحابه الأطهار، فأعزَّهم الله فيها.

آواه أهلها ونصروه، وجاهدوا معه وبعده بأموالهم وأنفسهم، فرضي الله عنهم وعن المهاجرين.

= وقد لقبت عددٌ من المدن باسم: «قبة الإسلام»، مثل: البصرة، والكوفة، ومصر. ينظر: «البلدان» لابن الفقيه (ص٢٠١)، «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» (١/ ١٩٣)، «معجم البلدان» (٤/ ٤٩٢)، «الروض المعطار» (ص١٠٥).

(١) أخرج البخاري (١٨٠٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر، فأبصر جُدران المدينة، أوضع ناقته (أي أسرع)، وإن كانت دابَّةً حرَّكها من حبِّها»

(٢) أخرجه البخاري (١١٩٤)، ومسلم (١٣٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٨٩)، ومسلم (١٣٦٥). قال ابن حجر رحمه الله: «أُحُد من جبال الجنة، كما ثبت في حديث أبي عبس بن جبر مرفوعًا: «**جَبَلُ أُحُدٍ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، وَهُوَ مِنْ جِبَالِ الجَنَّةِ**». أخرجه أحمد، ولا مانع في جانب البلد من إمكان المحبة منه؛ كما جاز التسبيح منها، وقد خاطبه ﷺ مخاطبة من يعقل، فقال لما اضطرب: «**اسْكُنْ أُحُد**» الحديث. وقال السهيلي: كان ﷺ يُحبُّ الفأل الحسن، والاسم الحسن، ولا اسمَ أحسنَ مِن اسم مُشْتقٍّ من الأَحَدِيَّة، قال: ومعَ كونه مُشتقًا من الأَحَدية، فحركاتُ حروفه: الرَّفْع، وذلك يشعر بارتفاع دِين الأَحَد وعُلُوه، فتعلق الحبُّ من النبي ﷺ به لفظًا ومعنى، فخُصَّ من بين الجبال». «فتح الباري» (٧/ ٣٧٨).

سماهم الله الأنصار فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾ [الأنفال: ٧٢].

ومدحهم الله ﷻ؛ فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

تبوأوا دار الهجرة والإيمان، حتى صارت مرجعًا لأهل الإيمان، ويلجأ إليه المهاجرون، ويسكن بحماها المسلمون إذ كانت البلدان كلها بلدان حرب وشرك وشرٍّ، فلم يزل أنصار الدِّين تأوي إلى الأنصار، حتى انتشر الإسلام وقوي، وهم مع ذلك يؤثرون إخوانهم المهاجرين على أنفسهم في كل شيء من أسباب المعاش، حتى إنَّ من كان عنده امرأتانِ كان يطلِّق إحداهما ويزوجها واحدًا منهم، ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] أي: حاجةٌ وخلَّة.

سَمَّاهُمُ اللهُ أَنْصَارًا لِنَصْرِهِم ... دِيْنَ الهُدَى وَعَوَانُ الحَرْبِ تَسْتَعِرُ
وجَاهَدُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ وَاعْتَرَفُوْا ... لِلنَّائِبَاتِ فَمَا خَامُوْا وما ضَجِرُوْا[1]

ومدحهم الرسول ﷺ في أكثر من موضع فقال: «آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ»[2].

ودعاء لهم، ولأبنائهم، ولأبناء أبنائهم، فقال: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ»[3].

---

(١) «ديوان حسان بن ثابت» (ص١٩٩)، والعوان: الثَّيب، ومنه قيل: حرب عوان؛ أي قد قوتل فيها مرة. واعترفوا للنائبات: أي صبروا لها، وخام عن القتال: جبن عنه .ينظر: «المخصَّص» (١/ ٣٥٥)، «الصحاح» (٥/ ١٩١٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٨٤)، ومسلم (٧٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٠٦)، ومسلم (٢٥٠٦)، من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

هي مدينةٌ اختصَّ الله ملائكتَهَ لتقوم على حراستها فما من نَقْب من نِقَابها إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها[١]، وإليها يأرز الإيمان[٢].

وهي دار الخلافة الراشدة للخلفاء الثلاثة من بعده ﷺ، وفيها عاش جلُّ أصحابه وزوجاته الطَّاهرات، وكثير من أهل بيته ﷺ، وفيها دفنوا.

فيا أيها الزائر لهذه المدينة المحرَّمة العظيمة:

هنيئًا لك هذا المقدم الميمون إلى مدينة رسول الله ﷺ، وسأحدِّثك في هذا الكتاب عن:

* هجرته ﷺ من مكة للمدينة، ثم وفاته فيها.
* وعن أسماء المدينة.
* وعن فضائلها.
* وعن حرمتها، وحدود حرمها.
* وعن مشروعية شد الرحال إلى المسجد النبوي.
* وعن الأماكن التي يشرع لزائرها الذهاب إليها.
* وعن الأماكن التي لا يشرع التعبد لله بزيارتها.
* وعن تأريخ عمارة المسجد النبوي، وتوسعاته.
* وعن عناية المملكة العربية السعودية بالمسجد النبوي.
* ثم سأختم ذلك بوصايا جامعة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٨١) ومسلم (٢٩٤٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٧٦) ومسلم (١٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

جعلني الله وإيَّاك ممن يعظِّم هذه المدينة حقَّ تعظيمها، وأن يبارك لك في زيارتك لها.

وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد.



من مكَّة إلى المدينة

ولد سيد الخلق محمد ﷺ في مكة المكرمة عام الفيل، فعاش فيها بواكير عمره إلى تمام شبابه. يتنقل بين شعابها وجبالها، ومجاورًا لأهلها في مساكنهم، يحبونه، ويرفعون من شأنه، أسموه الأمين والصادق، وقدَّموه في مواطن كثيرة حفظها التأريخ[1].

كان وقته ﷺ وقت جاهلية جَهْلا، عَبدُوا الحَجر والشَّجر من دون الله، واستغاثوا بها، وادَّعوا أنها تقربهم إلى الله زلفى!

إلا أنه كانت عند العرب بقايا من الحنيفيَّة التي ورثوها عن دين إبراهيم عليه السلام، فكانوا - مع ما هم عليه من الشِّرك - يتمسَّكون

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما - في قصَّة جهر النبي ﷺ بالدعوة إلى الله على جبل الصفا - أنه قال: «أَرَأَيْتَكُم لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُم، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟»، قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا. أخرجه البخاري (٤٧٧٠).
وأخرج البخاري أيضًا (٣٦٣٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قصَّة سعد بن معاذ مع أمية بن خلف، وفيها: فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك، وجعل يمسكه، فغضب سعد فقال: دعنا عنك، فإني سمعت محمدًا ﷺ يزعم أنه قاتلك، قال: إياي؟ قال: نعم، قال: والله ما يكذب محمد إذا حدَّث، فرجع إلى امرأته، فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربي، قالت: وما قال؟ قال: زعم أنه سمع محمدًا يزعم أنه قاتلي، قالت: فوالله ما يكذب محمد.
وأخرج البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣) في قصة أبي سفيان قبل إسلامه عند هرقل، وقد سأله هرقل فقال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان: لا.
وعندما اختصمت قريش في من يضع الحجر الأسود بعد تجديد بناء الكعبة، قالوا: اجعلوا بينكم حَكَمًا، قالوا: أول رجل يطلع من الفَجِّ، فجاء النبي ﷺ فقالوا: أتاكم الأمين. أخرجه أحمد (١٥٥٠٤).

بأمورٍ صحيحة توارثها الأبناء عن الآباء، وكان بعضهم أكثر تمسكًا بها من بعض.

وكان من أولئك طائفة في مكة تعاف ما كان عليه أهلها من الشرك وعبادة الأوثان، وأكل الميتة، ووأد البنات، ونحو ذلك من العادات التي لم يأت بها شرع حنيف، وكان من تلك الطائفة رسولنا ﷺ قبل بعثته.

وكان إلى ذلك: محبًا لمساعدة الضعيف، ونصرة المظلوم، وإكرام الضيف، وصِلَة الرحم(١)، وكان ﷺ يعتزل النَّاس في غار حراء للتعبد والتَّحنث، فحبب إليه الخلاء بنفسه.

كان ﷺ يقيم في غار حراء الأيام والليالي ذوات العدد(٢)، وكان أكثر ما يقيم فيه خلال شهر رمضان المبارك(٣)؛ يترك أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وينصرف عنها، ويخلو بنفسه في ذلك الغار داخل جبل النور الشاهق المشرف على مكة المكرمة(٤).

---

(١) قالت له خديجة رضي الله عنها: «فوالله لا يخزيك الله أبدا، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق». أخرجه البخاري (٤٩٥٣) ومسلم (١٦٠).

(٢) عن عائشة رضي الله عنها في حديث بدء الوحي برسول الله ﷺ: «وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها». أخرجه البخاري (٣)، قال ابن حجر رحمه الله: «قوله «فيتحنث» هي بمعنى: يَتحنَّف، أي: يَتَّبع الحنيفية، وهي دين إبراهيم، والفاء تُبدل ثاء في كثير من كلامهم». «فتح الباري» (١/ ٢٣).

(٣) ينظر: «البداية والنهاية» (٤/ ١٢)، «فتح الباري» (١/ ٢٣).

(٤) قال ابن كثير رحمه الله: «وحِراء: يُقصر ويُمدُّ، ويُصرف ويُمنع، وهو جبل بأعلى مكة على ثلاث أميال منها، عن يسار المارِّ إلى منى، له قُلَّة مشرفة على الكعبة مُنحنية، والغار في تلك الحَنية». «البداية والنهاية» (٤/ ١٢).

=

يتعبد لله ﷻ، ويتفكر في ملكوت السموات والأرض، مبتعدًا عمَّا كان عليه قومه من الشرك وعبادة الأصنام.

فأتاه جبريل عليه السلام بالوحي من ربِّه ﷻ في شهر رمضان، فقرأ عليه قوله تعالى ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ① خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ② ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ③ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ④ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾ [العَلَق: ١-٥].

فكان ذلك بدأ رسالة الله الخاتمة للبشر، الداعية إلى توحيده ﷻ.

فقام يدعو إلى توحيد الله ﷻ، فلا يَشْرَكُه في تدبير ملكوت السموات والأرض أحد، وهو المستحق وحده للعبادة؛ فلا تصرف إلا له: لا يعبد إلا الله، ولا يستغاث إلا به، ولا يلجأ إلا إليه، ولا يستعان إلا به، ولا يخاف إلا منه ﷻ..

وهو الواحد الأحد له الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

واحدٌ في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

واستمرت دعوته في مكة ثلاثة عشر عامًا، أسلم معه قليل من أهل مكَّة، وعاند أكثرهم، فلما ضاقت عليه وعلى أصحابه الحال، أذن لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة؛ لينظروا لعلها تكون مقامًا خيرًا من مقاهم في مكَّة[1].

وتعمُّد بعض الناس الصعود إلى الغار على وجه التعبد ليس من دين الله في شيء، وقد يقع مِمَّن يصعد إليه بعض الأفعال التي لا تجوز؛ كتخصيصه بصلاة ركعتين، أو التوجه إليه في الدعاء، أو غيرها من صور تعظيم هذا المكان، ولم يعلم أنَّ الرسول ﷺ صعد إليه بعد البعثة على وجه التعبد، ولا أصحابه الكرام. أمَّا إن كان صعوده لأجل الاطلاع والمعرفة فلا شيء عليه ما لم يخشَ الضرر على نفسه، أو أن يلحقه بغيره.

(١) ينظر: «البداية والنهاية» (٤/ ١٦٦)، «فتح الباري» (٧/ ١٨٨).

ثم رأى ﷺ في منامه - ورؤيا الأنبياء في المنام وحيٌّ[(١)] - أنَّه ينتقل إلى دار فيها نخل، كما حدثت بذلك أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال النَّبيُّ ﷺ للمسلمين: «**إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ وَهُمَا الْحَرَّتَانِ**»، فهاجر مَن هاجر قِبَل المدينة، ورجع عامَّة مَن كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة[(٢)].

وكان أول من هاجر من صحابته للمدينة مصعب بن عمير، وابن أمِّ مكتوم رضي الله عنهما.

قال البراء بن عازب رضي الله عنه:

«أول من قدم علينا من أصحاب النَّبيِّ ﷺ مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، فجعلا يقرئاننا القرآن، ثم جاء: عَمَّار، وبلال، وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثمَّ جاء النَّبيُّ ﷺ، فما رأيتُ أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصِّبيان يقولون هذا رسول الله ﷺ قد جاء»[(٣)].

واستمع لأمِّ المؤمنين عائشة الطَّاهرة رضي الله عنها حبيبة رسول الله ﷺ، وهي تصف هجرة نبيِّنا محمد ﷺ:

قالت رضي الله عنها:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٣٢)، الحاكم (٣٦١٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢٣٠٣) وابن أبي عاصم في «السنة» عن ابن عباس رضي الله عنهما، وسنده حسن، وأخرجه البخاري (١٣٨) عن عبيد بن عمير .وينظر: «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٣٩٨)، «طرح التثريب» (٢/ ٥٨-٤/ ١٨٠)، «فتح الباري» (١/ ٢٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٠٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٤١).

«وتجهز أبو بكر قِبَل المدينة[١]، فقال له رسول الله ﷺ: «عَلَى رِسْلِكْ، فَإِنِّي أَرْجُوْ أَنْ يُؤْذَنَ لِيْ».

فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟

قال: «نَعَمْ».

فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه.

وعلَّف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمُر[٢] أربعة أشهر.

فبينما نحن يومًا جلوس في بيت أبي بكر في نَحْر الظَّهيرة[٣]، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ مُتقنعًا[٤]، في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداءً له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمرٌ.

قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له فدخل.

فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ».

فقال أبو بكر: إنما هم أهلك، بأبي أنت يا رسول الله.

قال: «فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِيْ فِيْ الخُرُوْجِ».

فقال أبو بكر: الصَّحابةَ بأبي أنت يا رسول الله[٥]؟

---

(١) أي: للهجرة إليها .ينظر: «فتح الباري» (٧/ ٢٣٤)

(٢) وَرَق السَّمُر - بفتح السِّين، وضمِّ الميم - ورق الطَّلح .ينظر: «فتح الباري» (٧/ ٢٣٥).

(٣) نحر الظهيرة: أوَّله .ينظر: «الفائق في غريب الحديث» (٥/ ٢٧).

(٤) التَّقنُّع: تغطية الرأس وأكثر الوجه برداءٍ أو غيره .ينظر: «جمهرة اللغة» (٢/ ٩٤٢).

(٥) أي: أريد المصاحبة.

قال رسول الله ﷺ: «نَعَمْ».

قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين.

قال رسول الله ﷺ: «بِالثَّمَنِ».

قالت عائشة: فجهزناهما أحثَّ الجهاز[1]، وصنعنا لهما سُفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها، فربطت به على فَم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين.

قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغارٍ في جبل ثور، فَكَمِنَا فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، وهو غلام شاب، ثَقِف لَقِن[2]، فيدلج من عندهما بِسَحَر، فيصبح مع قريش بمكة كَبَائِتٍ[3]، فلا يسمع أمرًا يُكتادان به إلا وَعَاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام.

ويرعى عليهما عامرُ بن فهيرة، مولى أبي بكر مِنْحَةً مِنْ غنم[4]، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العِشاء، فيبيتان في رِسْل، وهو لبن منحتهما ورضيفهما، حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بِغَلَس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث.

واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدِّيل، وهو من بني عبد بن عدي، هَاديًا خِرِّيتًا - والخِرِّيت: الماهر بالهداية - قد غمس

---

(١) أحثَّه: أعجله. «هدى الساري» (ص١٠٢)

(٢) لقن: حاذق سريع الفهم .ينظر: «الفائق في غريب الحديث» (٣/ ٣٢٥)

(٣) كبائت، أي: يصبح مع أهل مكة وكأنه بات في داره .ينظر: «فتح الباري» (٧/ ٢٣٧)

(٤) منحة من غنم، أي: غَنَمًا فِيهَا لبن يمنح. «مشارق الأنوار» (٢/ ٦٣)

حِلفًا في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش، فأمِناه فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال، براحلتيهما صبح ثلاث[(١)].

وسمع المسلمون بالمدينة بخروج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يخرجون كل غداة إلى الحَرَّة، فينتظرونه حتى يردهم حَرُّ الظهيرة، فانقلبوا يومًا بعد ما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أُطُم[(٢)] من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مُبَيَّضِينَ[(٣)] يزول بهم السراب[(٤)]، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب، هذا جَدُّكم الذي تنتظرون[(٥)]، فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحَرَّة، فعدَل بهم ذات اليمين، حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول.

فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله ﷺ صامتًا، فطفق من جاء من الأنصار - ممن لم ير رسول الله ﷺ - يُحيِّي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظَلَّل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك.

فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٠٥).

(٢) أُطُم - بضمتين -: حصونٌ لأهل المدينة. «الصحاح» (٥/ ١٨٦٢).

(٣) مبيضين، أي: عليهم الثياب البيض. «فتح الباري» (٧/ ٢٤٣)

(٤) يَزُول بهم السَّراب، أي: تَظهر حركتهم فِيه. «تفسير غريب ما في الصحيحين» (ص٣١٢).

(٥) جدكم الذي تنتظرون، أي: صاحبُ جَدِّكم وسلطانكم، وَقد يحتَمل أَن يُرِيد: سَعدَكم ودولتكم. «مشارق الأنوار» (١/ ٣٠٩).

وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وهو مسجد قباء، وصلَّى فيه رسول الله ﷺ.

ثم ركب راحلته، فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، وهو يصلِّي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مِربدًا للتَّمر[١]، لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة.

فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: «**هَذَا إِنْ شَاءَ اللهُ الْمَنْزِلَ**».

ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمِربَد ليتخذه مسجدًا.

فقالا: لا، بل نهبه لك يا رسول الله.

فأبى رسول الله أن يقبله منهما هِبة حتى ابتاعه منهما.

ثم بناه مسجدًا، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللَّبِن في بنيانه ويقول كما يقولون:

«**هَذَا الحِمَالُ لا حِمَالَ خَيْبَرْ   هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ**».

ويقول:

«**اللَّهُمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْرَ الآخِرَهْ   فَارْحَمِ الأَنْصَارَ وَالمُهَاجِرَهْ**»[٢]

ثم لما أتمَّ ﷺ بناء مسجده جعله منطلق دعوته، واجتماعه بأصحابه؛ مما يدلُّ على أهميَّة المساجد، وعمارتها بالبناء الحسي والمعنوي، وضرورة تطهيرها من كل دنس ورجس، كما فعل ﷺ بنبش

---

(١) المربد: الموضع الذي يجفَّف فيه التمر. «الصحاح» (٢/ ٤٧٢).

(٢) البخاري (٣٩٠٦).

القبور التي كانت في أرض المسجد؛ فلا يجتمع قبر ومسجد[١].

هكذا انتقل حبيبنا ﷺ إلى المدينة..

ثم هاجر إليها عامَّة أصحابه من كل مكان..

فكانت المدينة: بلد الأمن والإيمان، فأحبَّها ﷺ وأَنِس بها، وأحبَّها أصحابه وعوَّضهم الله دارًا عن دارهم التي أُخرجوا منها، فلله الحمد والمنَّة.

وعاش فيها ﷺ عشر سنوات، تَنقَّل في فِجاجها ودِيارها، ونشر دعوة التوحيد ومعه أصحابه، وفتحوا القلوب بالعلم والإيمان والقرآن، وأقاموا دولته.

ثم كتب الله ﷻ له أن يعود لمكة المكرمة، ليطهِّر بيت الله الحرام من دَنَس الشرك والعبودية لغير الله، وليظهر توحيد الله ﷻ..

طاف على الكعبة وهو يكسر أصنامها ويهوي بهذه الحجارة مُؤْذِنًا بسقوط عقيدة الشرك والتنديد، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

أظهر الله التوحيد، وأسقط الشرك ومظاهره، فلا يعبد إلا الله، ولا يرجى إلا هو ﷻ، ولا تطلب الحاجات إلا منه ﷻ، بلا شفعاء ولا واسطة.

عاد إليها بعد ثماني سنوات لتكون دار إيمان وتوحيد، بعد أن خرج منها وهي دار كفر وشرك؛ فلله الحمد والمنة.

(١) قال ابن القيم ؒ: «فلا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر، بل أيهما طرأ على الآخر منع منه، وكان الحكم للسابق». «زاد المعاد» (٣/ ٥٠١).

دخلها فاتحًا في السنة الثامنة من الهجرة بجيش التوحيد..

وبعد أن دخلت السَّرايا التي قسمها رسول الله ﷺ حين وصوله لحدود مكة واجتمعت؛ نهض رسول الله ﷺ والمهاجرون والأنصار بين يديه، والناس من حوله ومن خلفه، ورسول الله ﷺ مُطأطأً رأسَه في تواضع عظيم، حتى إنَّ لحيته كادت تمسُّ واسطة الرَّحل.

فأقبل ﷺ على المسجد الحرام فدخله، ثم اتجه إلى الحجر الأسود فاستلمه وقبله، ثم طاف بالبيت، وفي يده قوس، وحول البيت ثلاثمائة وستون صنمًا، فجعل النبي ﷺ يطعنها بقوسه ويقول:

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسرَاء: ٨١].

﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سَبَإ: ٤٩].

والأصنام تتساقط على وجوهها، ثم دخل الكعبة؛ فرأى فيها الصُّور، ورأى فيها صُورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهما يستقسمان بالأزلام! فقال ﷺ: «**قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَقْسِمَا بِهَا قَطُّ**»(١)، وأمر بالصُّور فمحيت.

ثم أغلق عليه باب الكعبة، ومعه أسامة وبلال، فصلَّى داخل الكعبة، ودار فيها، وكبَّر في نواحيها، ووحَّد الله، ثم فتح الباب، وقريشٌ قد ملأت المسجد صفوفًا ينتظرون ماذا يصنع، فقال النبي ﷺ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ..**

(١) أخرجه البخاري (١٦٠١).

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَعَظُّمَهَا بِالْآبَاءِ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ».

ثُمَّ تلا قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحُجرَات: ١٣] .

ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟»

قالوا: نقول: ابن أخ وابن عم، حليمٌ رحيمٌ.

قال: «فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يُوسُف: ٩٢]»[١] .

الله أكبر! أيُّ رحمة يحملها قلب هذا النبي الكريم ﷺ.

بعد أن آذوه في نفسه، وماله، وصحبه، ثم اضطروه إلى الخروج من داره وبلدته، تاركًا وراءه ذكريات حياته فيها، مهاجرًا إلى المدينة، وبعد أن قاتلوه في بدر وأحد والخندق، وقتلوا من أصحابه مَنْ قتلوا، فلمَّا تمكَّن منهم قال لهم: «لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ»!

هل يستطيع ذلك إلا من امتلأ قلبُه رحمةً ومحبة وعَفْوًا، ورغبة في الإحسان للخلق لعلَّهم يهتدون.

وفي اليوم الثاني قام رسول الله ﷺ خطيبًا في الناس، فحمد الله، وأثنى عليه، ومَجَّده بما هو أهله، ثم قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السموات وَالْأَرْضَ، فَهِيَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،

---

(١) أخرجه النسائي (١١٢٣٤)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٥٤٥٤)، والبيهقي (١٨٢٧٥).

فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ فِيهَا دَمًا، أَوْ يَعْضُدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا حَلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»(١).

وأقام النبي ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً: يُجدد معالم الإسلام، وحنيفية إبراهيم الخليل عليه السلام بتوحيد الله الخالص الذي غيَّرته قريش بشركها بالله ما لا ينفع ولا يضر، ويرشد النَّاس إلى الهدى والتقى.

فخاف الأنصار - أهلُ المدينة- أن يستوطن النبي ﷺ مكة، ويترك المدينة..

وقالوا فيما بينهم: أترون رسول الله ﷺ إذْ فَتح الله عليه أرضه وبلده أن يقيم بها ويترك المدينة؟

فقال النبي ﷺ: **«مَاذَا قُلْتُمْ؟»**

فقالوا: لا شيء يا رسول الله.

فلم يزل بهم حتى أخبروه، فقال رسول الله ﷺ: **«فَمَا اسْمِيْ إِذًا؟! كَلَّا، إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، هَاجَرْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ، الْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ»**.

فأقبلوا إليه يبكون، يقولون: والله يا رسول الله، ما قلنا الذي قلنا إلا للضَّنِّ بالله وبرسوله(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٣)، ومسلم (١٣٥٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨٠) .لما بايع رسول الله ﷺ الأنصار في العقبة الثانية قال لهم: «**أُبَايِعُكُمْ** =

لقد آووه ونصروه، ولا يضيع هذا المعروف عند رسول الله ﷺ.

وبعد أن مكث فيها صلَّى الله عليه وسلم تلك الأيام عاد إلى مدينته طيبة الطَّيبة، ولم يأذن لأصحابه الذين هاجروا من مكة أن يتخلفوا فيها، بل أمرهم أن يعودوا إلى مهاجرهم «المدينة» أرض الإيمان.



= عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ، وَأَبْنَاءَكُم»، فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنَّك مما نَمنع منه نساءنا، فَبَايِعْنا يا رسول الله، فنحن أهل الحروب، وأهل الحلقة، ورثناها كابرًا عن كابر، فقال أحد الأنصار:

يا رسول الله، إنَّ بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنا قاطعوها - يعني العهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك، وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: «**بَلِ الدَّمَ الدَّمَ، وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ، وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ**» أخرجه أحمد (١٥٧٩٨)، فلمَّا فتح الله مكة - موطنه الأول - دار حديثُ الأنصار السابق فيما بينهم، فقال لهم رسول الله ﷺ عند ذلك: «**فَمَا اسْمِيْ إِذًا**»، أي إذا رجعت إلى استيطان مكة فيكون اسمي إذًا: مُذمَّمًا لا مُحمدًا؛ لنقضي عهدكم عند البيعة على ملازمتكم؛ وهذا النقض غيرُ مطابق لما اشتق منه اسمي: «محمد» وهو الحَمْد .ينظر: «إكمال المعلم» (٦/ ١٤٥)، «الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (١٩/ ٢٧٥)



إلى الرفيق الأعلى

ولمَّا أتم ﷺ مهمته في تبليغ رسالة ربِّه، وأقرَّ الله عينه باستجابة من حوله لها، وأرسل بُعوثَه للعرب والعجم من أهل البلاد والممالك الأخرى دعاةً لتوحيد الله ﷻ = حان وقت رحيله ﷺ عن هذه الحياة الدنيا؛ كحال كُلِّ مَنْ خلقه الله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٥].

ومع تمام التبليغ واكتمال مهمته ﷺ كان ذلك إيذانًا بانتهاء عمره ﷺ.

وقد أحسَّ ﷺ بذلك، وكان يتلطَّفُ في إخبار أصحابه ﷺ بذلك رأفة بهم، وشفقة عليهم، ومن صور ذلك التلطُّف النَّبوي الكريم:

١- في حجة الوداع قال وهو يرمي على راحلته يوم النحر وصحابته ﷺ من حوله: «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ**»، ففي هذه العبارة إشارة إلى توديعهم، وإعلامهم بقرب وفاته ﷺ.

٢- عن أَبِي مُوَيْهِبَةَ ﷺ - مولى رسول اللَّهِ ﷺ - قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «**إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ؛ فَانْطَلِقْ مَعِي**»، فانطلقْتُ معه في جَوْف الليل، فلمَّا وقف عليهم، قال: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ، لِيُهْنِكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمَّا أَصْبَحَ فِيهِ النَّاسُ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا نَجَّاكُمُ اللَّهُ مِنْهُ أَقْبَلَتِ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يَتْبَعُ آخِرُهَا أَوَّلَهَا: الْآخِرَةُ أَشَرُّ مِنَ الْأُولَى**»..

ثم أقبل عليَّ، فقال: «**يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ! إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدِ فِيهَا، ثُمَّ الْجَنَّةُ، فَخُيِّرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي**»..

قلتُ: بِأَبي أنت وأمِّي، خُذْ مفاتيحَ خزائن الدُّنيا والخلد فيها، ثُمَّ الجنَّة.

قال: «**لَا وَاللَّهِ يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، لَقَدِ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي**»..

ثُمَّ استغفر لأَهل البقيع، ثم انصرف، فبُدِئَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بوجعه الذي مات فيه[1].

رضي الله عن أبي مويهبة، ومن ذا الذي يلومه على قوله: «خُذْ مفاتيحَ خزائن الدُّنيا والخلد فيها، ثُمَّ الجنَّة»، إنه لا يتخيَّل حياته بدون رسول الله ﷺ.

٢- وبعث النبيُّ ﷺ معاذَ بنَ جبل إلى اليمن داعية للتوحيد، وخرج معه ﷺ لتوديعه وتوصيته، ومعاذ راكبٌ ورسول الله ﷺ يَمشي تحت راحلته.

فلما فرغ من وصيته له بأن يبدأ بالدعوة للتوحيد قبل كلِّ شيء؛ لأنه لا واجب على المكلفين أعظم من التوحيد عِلمًا وعملاً، وهو أول واجب عليهم..

قال له: «**يَا مُعَاذُ إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا، وَقَبْرِي**»، فبكى معاذ بن جبل ﵁ جشعًا لفراق

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٩٩٧)، والحاكم (٤٣٨٣) وصححه. وحسنه ابن عبد البر في «الاستذكار» (٣/ ١٢١).

رسول الله ﷺ[1].

وحُقَّ له أن يبكي، وهو يتذكر قوله يومًا: «**يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**»[2].

٣- وبعد ثمان سنين من معركة أحد صلَّى رسول الله ﷺ على قتلى أحد، ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات.

يقول عقبة بن عامر رضي الله عنه: صلَّى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثماني سنين، كالمودِّع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: «**إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الحَوْضُ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا**». قال عقبة رضي الله عنه: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ[3].

وبدت شكوى مرض الموت فيه ﷺ وهو في بيت ميمونة رضي الله عنها، فاستأذن زوجاته أن يمرَّض في بيت عائشة رضي الله عنها فَأَذِنَّ له.

فخرج من بيت ميمونة متكئٌ على الفضل بن عبَّاس وعلي بن أبي طالب، وهو يخطُّ برجليه في الأرض ﷺ، من ثِقل المرض[4].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٠٥٢)، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (ح٢٤٩٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢١١٧)، وأبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (٩٨٥٧) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٤٢)، ومسلم (٢٢٩٦). قال ابن حجر رحمه الله: «قوله: «**مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا**»، أي: على مجموعكم؛ لأنَّ ذلك وقع من البعض. أعاذنا الله تعالى». «فتح الباري» (٣/ ٢١١).

(٤) أخرجه مسلم (٤١٨).

واشتدَّ عليه ﷺ المرضُ حتى أمرهم أن يصبُّوا عليه سَبعًا من القُرَب، ثم خرج على الناس فصلَّى بهم وخطبهم[١].

قال أنس رضي الله عنه: مرَّ أبو بكر، والعباس رضي الله عنهما، بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون، فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا، فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك..

قال: فخرج النبي ﷺ وقد عَصَّب على رأسه حَاشيةَ بُرْد[٢]، قال: فصعد المنبر، ولم يصعده بعد ذلك اليوم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ، فَإِنَّهُمْ كَرْشِي وَعَيْبَتِي، وَقَدْ قَضَوُا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ**»[٣].

لله ما أعظم هذا الحبَّ للأنصار، ومَنْ أعظمُ من رسول الله ﷺ حِفظًا للودِّ والحقِّ، وقد استقبلوه، واستقبلوا أصحابه، وآووهم، وفَدَوْه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم.

وأخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ فقال: «**إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ**»، فبكى أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ إنْ يكن اللهُ خيَّر عَبدًا بين الدُّنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله؟ ! فكان رسول الله ﷺ هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤٢).

(٢) أي: أن رسول الله ﷺ قد ربط رأسه من الوجع بطرفي ثوب من البُرُد، وهي نوع من الثياب المعروفة ذلك الوقت.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٧٩٩)، ومسلم (٣٨٠١). وقوله ﷺ: «**كَرْشِي وَعَيْبَتِي**»،أي: بطانتي وخاصتي

قال: «يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَبْكِ، إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ»[١].

رضي الله عن أبي بكر الصِّدِّيق، كان أحبَّ الناس لرسول الله ﷺ، وأقربهم إلى قلبه، فقد كان مع نبيِّنا ﷺ من أول بعثته، وإلى وداعه للدُّنيا؛ كان معه في كل نازلة وفي كل معركة..

كان معه: في الغار، ويوم بدر، وأحد، والخندق، وتبوك، فما بدَّل ولا غيَّر، فكان نعم الصاحب رضي الله عنه.

واشتدَّ الوجع به ﷺ فكان يَطرح خميصة على وَجهه، فإذا اغتمَّ كشفها عن وَجهه[٢].

قالت عائشة رضي الله عنها: «دعا النَّبي ﷺ فاطمة ابنته في شكواه الذي قبض فيه، فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ[٣]، فقال: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي»، فأجلسها عن يمينه أو عن شماله».

فتراه فاطمة رضي الله عنها على حاله تلك فتقول «واكرب أباه!» فيقول لها: «لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ»..

---

(١) البخاري (٤٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٣).

(٣) أخرج البخاري في «الأدب المفرد» (٤٤٣)، وأبو داود (٥٢١٧)، والنسائي (٩١٩٣)، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت أحدًا كان أشبه حديثًا وكلامًا برسول الله ﷺ من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قامَ إليها، فرحَّب بها، وقبَّلها، وأجلسها في مجلسه. وكان إذا دخل عليها قامتْ إليه فأخذتْ بيده فرحَّبت، وقبَّلته، وأجلسته في مجلسها. فدخلت عليه في مرضه الذي توفي فرحَّب بها وقبلها».

ثم أسر إليها حديثًا فبكت (بكاء شديدًا)، فقالت لها عائشة لها: لمَ تبكين؟

ثم أسر إليها حديثًا؛ فضحكت.

قالت عائشة ﵂: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن!

فَسأَلْتُها عمَّا قال: فقالت: مَا كنت لأفشي سِرَّ رسول الله ﷺ، حتى قبض النبي ﷺ، فسألتها عن ذلك، فقالت: سارَّني النبي ﷺ فأخبرني أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه؛ فبكيت ثم سارَّني فأخبرني أني أول أهل بيته أتبعه فضحكت»[(١)].

وفي رواية: «**يَا فَاطِمَةُ أَمَا تَرْضِيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ**»[(٢)].

كانت فاطمة عِلقة نبوية، أحبها رسول الله ﷺ حُبًا عظيمًا، فهي أعزُّ الناس عليه من أهله، وكانت ﵂ أصغر بناته، وهي التي تأخر موتها بعده، ولم يكن له من الأحفاد والأسباط إلا منها، فانقطع نسبه الشريف ﷺ إلا من طريقها.

كانت تزوره ويزورها، ويتفقد أحوالها، ويفرحه فرحها، ويهمُّه ما أهمَّها[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٢٣)، (٣٦٥٢)، (٤٤٦٢)، ومسلم (٢٤٥٠)، والنسائي (٨٤٦٤).

(٢) أخرجها مسلم (٢٤٥٠).

(٣) أخرج أحمد (١٨٩٠٧) عن المسور بن مخرمة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**فَاطِمَةُ مُضْغَةٌ مِنِّي يَقْبِضُنِي مَا قَبَضَهَا، وَيَبْسُطُنِي مَا بَسَطَهَا**»، وفي رواية البخاري (٥٢٣٠)، ومسلم (٢٤٤٩): «**هِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي، يُرِيبُنِي مَا أَرَابَهَا، وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا**».

فلم تطق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا العيش بعده ﷺ فبكتْ لَمَّا علمت أنه سيموت في ذلك المرض، ثم ضحكت فرحًا لما علمت أنها ستدركه قريبًا، ولن يطول الفراق بينهما، فكانت وفاتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعد وفاة نبينا ﷺ بستة أشهر فقط[1]، فأيُّ شعور طاف بخاطرها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي تفجع بخبر أبيها قبل وقوعه، ثم بشارته لها بأنها سيدة نساء هذه الأمة، وانها أول أهل بيته يلحق به!

وصلَّى نَبيُّنا ﷺ آخرَ صلاة بالمسلمين، وقرأ فيها مع اشتداد المرض عليه بسورة ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾[2].

ويزداد عليه الوجع ﷺ حتَّى لا يقوى على رُقْيَة نفسه، فترقيه عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بيده الشريفة.

تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كان ﷺ إذا اشتكى نَفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده، فلمَّا اشتكى وجعه الذي تُوفِّي فيه طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث، وأمسح بيد النبي ﷺ عنه»[3].

واجتمع حوله أزواجه وتذاكرن كنيسة رأينها في الحبشة، فلمَّا سمع كلامهنَّ، رفع رأسه وقال - مع شدَّة مرضه - : «**أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ مِنْهُمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَةَ أُولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ**»[4].

---

(١) قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعاشت أربعًا أو خمسًا وعشرين سنة. وأكثر ما قيل: إنها عاشت تسعًا وعشرين سنة. والأول أصح». «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٢١)

(٢) أخرجه البخاري (٧٦٣)، ومسلم (٤٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٣٩)، ومسلم (٢١٩٢)

(٤) أخرجه البخاري (١٣٤١).

إنه التوحيد الذي بُعث من أجله وعاش داعيًا إليه، يموت ﷺ وهو يحذر من ضده، وتعظيم القبور وأهلها، ولو كانوا أنبياء، فهم أموات لا ينفعون ولا يضرون وإنما يطلب النفع من الله وحده فهو الذي يجلب النفع ويدفع الضرَّ.

قال ابن رجب رحمه الله: «اتخاذ القبور مساجد ليس هو من شريعة الإسلام، بل من عمل اليهود، وقد لعنهم النبي ﷺ على ذلك»(١).

فلا يجوز أن تعظم القبور بالبناء عليها واتخاذها مساجد، ولا باتخاذها أعيادًا يجتمع إليها، وإنما المشروع أن يزورها الرجال فيما يسَّر الله من الأيام، من غير تحديد يوم معين، تزار ويدعى للميت ويترحم عليه، كما قال النبي ﷺ: «**زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ**»(٢).

وكان في مدَّة مرضه - الذي استمر ثلاثة عشر يومًا(٣) - يوعك وعكًا شديدًا ﷺ.

قالت عائشة رضي الله عنها: ما رأيت رجلاً أشد عليه الوجع من رسول الله ﷺ(٤).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك وعكًا شديدًا فمسسته بيدي، فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعك وعكًا شديدًا!

---

(١) «فتح الباري» لابن رجب (٣/ ١٩٣).

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٦). وقصد القبور للدعاء أو قراءة القرآن أو الصلاة عندها منكرٌ، ومن وسائل الشِّرك، فلا تُتخذ محلاً للدعاء والصلاة والقراءة، بل هذا من نوع اتخاذها مساجد.

(٣) قال ابن حجر رحمه الله: «اختُلف أيضاً في مدة مرضه عليه السلام، فالأكثر على أنها ثلاثة عشر يومًا، وقيل بزيادة يوم وقيل بنقصه... وقيل: عشرة أيام». «فتح الباري» (٧/ ٧٣٦).

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٤٦)، مسلم (٢٥٧٠).

فقال رسول الله ﷺ: «أَجَلْ، إِنِّي أُوْعَكُ كَمَا يُوْعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ».

فقلت: ذلك أنَّ لك أجرين؟

فقال رسول الله ﷺ: «أَجَلْ».

ثم قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ، فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان بين يدي رسول الله ﷺ رَكْوة فيها ماء، فجعل يُدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه، ويقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ»(٢).

واشتدَّ به الوجع جدًا يوم الخميس الثامن من شهر ربيع الأول.

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال: «يوم الخميس، وما يوم الخميس»! ثم بكى حتَّى بَلَّ دَمْعُه الحصى، فقال: «اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس»(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ، أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٨)، مسلم (٢٥٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥١٠). وأخرجه أحمد (٢٣٨٣٥)، والترمذي (٩٧٨)، وابن ماجه (١٦٢٣)، بلفظ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلى سَكَراتِ المَوْتِ»، وحسنَّه ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٣٦٢). والركوة: وعاء صغير من الجلد، ولها طوق من خشب.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٣١)، ومسلم (١٦٣٧).

السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»(١).

وكان يقول في مرضه الذي توفي فيه: «**الصَّلاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»، فما زال يقولها حتى ما يفيص بها لسانه(٢).

وفي يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول لعام أحد عشر من الهجرة صعدت الرُّوح الطَّيبة الشريفة إلى بارئها.

عن أنس بن مالك ﵁ أنَّ أبا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي ﷺ الذي توفِّي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة، فكشف النبي ﷺ ستر الحجرة ينظر إلينا، وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسَّم يضحك، فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي ﷺ، فنكص أبو بكر على عقبيه لِيَصِل الصَّف، وظنَّ أنَّ النبي ﷺ خارجٌ إلى الصلاة، فأشار إلينا النبي ﷺ أنْ أتِمُّوا صلاتكم، وأرخى السِّتر، فتوفي من يومه(٣).

تقول عائشة ﵂: «إنَّ مِن نِعَم الله عليَّ: أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سَحْرِيْ ونَحْرِيْ(٤)، وأنَّ الله جمع بين رِيْقي ورِيْقه عند موته، دخل عليّ عبدُ الرحمن، وبيده السواك، وأنا مُسْنِدة

---

(١) أخرجه مسلم (٤٧٩).

(٢) أخرجه أحمد (١٢١٦٩) من حديث أنس بن مالك ﵁، وأخرجه أيضًا من حديث أم سلمة ﵂ (٢٦٤٨٣)، وكذلك أخرجه عنها النسائي (٧٠٦٠)، ابن ماجه (١٦٢٥). وجود إسناده ابن حجر في «فتح الباري» (٥/ ٣٦٢). يقال: ما يفيص فلان بكلمة؛ إذا لم يقدر على أن يتكلم بها ببيان. «غريب الحديث» (٢/ ١٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٠)، ومسلم (٤١٩).

(٤) أي: بين صَدري وعنقي. والسَّحَر: الرئة أو الصدر. «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٣٤٦).

رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنَّه يُحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه: «أنْ نعم»، فتناولته، فاشتدَّ عليه، وقلت: ألينه لك؟ فأشار برأسه: «أنْ نعم»، فليَّنته، فَأَمَرَّه، فاستن بها كأحسن ما كان مُستنًّا، ثم نَاولنيه، ثم نصب يده، وجعل يقول: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الأعلى**»، إلى أن سقطت يده، فمات ﷺ، فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة»(١).

فتصمت الدُّنيا في المدينة، وتسكن الأصوات؛ إلا صوت باكٍ على رسول الله ﷺ..

لقد مات رسول الله!!

وانقطع خبر السَّماء..

وتوقف نزول جبريل بالوحي..

وكأنَّ ما بين نزوله في الغار في مكة وانقطاع نزوله بموت رسول الله ﷺ لحظات من الدَّهر وليس سنوات من العمر!

وأظلم من المدينة كل شيءٍ..

يقول أنس رضي الله عنه: ««لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع، منها: «٤٤٥٠)، (٤٤٥١)، (٤٤٥٩)، (٥٢١٧)، (٥٦٧٤)، وفي بعضها: «**الرَّفِيْقُ**»، و«**الرَّفِيْق**» اسم جنس يشمل الواحد وما فوقه، والمراد الأنبياء ومَنْ ذُكر في الآية، وقد ختمت بقوله: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النِّسَاء: ٦٩] ينظر: «زاد المعاد» (٣/ ٣٧)، «فتح الباري» (٨/ ١٣٧).



شيء، وما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا»[١].

ما أعظمها من مصيبة على من عاشها من صحابة رسول الله ﷺ، فسبحان من ثبَّتهم وألهمهم رشدهم.

قال ابن رجب رحمه الله «لما توفي ﷺ اضطرب المسلمون، فمنهم من دُهِش، ومنهم من أُقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعُتُقل لسانه فلم ينطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية وقال: «إنَّما بُعث إليه كما بُعث إلى موسى»، وكان من هؤلاء عمر[٢].

وبلغ الخبر أبا بكر، فأقبل مسرعًا حتى دخل بيت عائشة ورسول الله ﷺ مُسجَّى، فكشف عن وجهه الثوب، وأكبَّ عليه، وقبَّل جبهته مرارًا

(١) أخرجه الترمذي (٣٦١٨)، وابن ماجه (١٦٣١)، والحاكم (٤٣٨٩)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل» (ص١٩٦).

(٢) أخرج البخاري (٣٦٦٧) من حديث عائشة رضي الله عنها في قصة وفاة النبي ﷺ: «إن رسول الله ﷺ، مات وأبو بكر بالسنح، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم». وإنما حلف عمر رضي الله عنه بناء على ظنه، وهو ما ذكره رضي الله عنه فيما رواه البخاري (٧٢١٩) عن أنس رضي الله عنه أنه سمع خُطبة عمر الآخرة حين جلس على المنبر، وذلك الغد من يوم توفي النبي ﷺ، فتشهد وأبو بكر صامت لا يتكلم، قال: «كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يَدْبُرنا» يريد بذلك أن يكون آخرهم. وأخرج ابن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «والله إني لأمشي مع عمر في خلافته وهو عامد إلى حاجة له، وفي يده الدرة، وما معه غيري، إذ التفت إليَّ، فقال: يا ابن عباس، هل تدري ما كان حملني على مقالتي التي قلت حين توفي رسول الله ﷺ؟ قال: قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين، أنت أعلم، قال: فإنه والله، إن كان الذي حملني على ذلك إلا أني كنت أقرأ هذه الآية: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البَقَرَة: ١٤٣]، فو الله إنْ كنت لأظنُّ أن رسول الله ﷺ سيبقى في أمته حتَّى يشهد عليها بآخر أعمالها، فإنه للذي حملني على أن قلت ما قلت».

وهو يبكي وهو يقول:

«وانبياه، واخليلاه، واصفياه»[١]..

وقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، مات والله رسول الله ﷺ»[٢]..

وقال: «بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أمَّا الموتة التي كتبت عليك فقد مِتَّها»[٣].

ثم دخل المسجد، وعمر يكلِّم النَّاس وهم مجتمعون عليه، فتكلَّم أبو بكر، وتشهَّد وحَمِد الله، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال:

«من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت»، وتلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٤٤] الآية[٤]، فاستيقن النَّاس كلهم بموته، وكأنهم لم يسمعوا هذه الآية مِن قَبْل أن يتلوها أبو بكر، فتلقَّاها الناس منه، فما يُسمع أحد إلا يتلوها...

كانت الجمادات تتصدَّع من ألم مفارقة الرسول ﷺ، فكيف بقلوب المؤمنين؟!

لمَّا فقده الجِذْع الذي كان يَخْطُب إليه قَبل اتِّخاذ المنبر حَنَّ إليه، وصاح كما يصيح الصَّبي، فنزل إليه فاعتنقه، فجعل يُهدِّيه كما يُهدَّى

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٦٤٤٧)، وأحمد (٢٤٠٩)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٣/ ١٥٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٨٤١)، وابن ماجه (١٦٢٧)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٣/ ١٥٧).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٥٢).

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٦٧).

الصَّبي الذي يُسكَّن عند بكائه، وقال: «لَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ، لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(١).

وكان الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال: هذه خَشَبَةٌ تِحنُّ إلى رسول الله ﷺ! فأنتم أحقُّ أن تشتاقوا إليه»(٢).

ومَا فَقدَ الماضونَ مثلَ محمَّدٍ ولا مِثْلَهُ حَتَّى القِيَامَةِ يُفْقَدُ

ولتعلم - يا عبدَ الله - أنَّ محمد ﷺ رسول من الرسل، وهم بشرٌ، يَطرأ عليهم ما يطرأ على البشر: من الصِّحة والمرض، والنَّوم واليقظة، والبلاء والعافية، والعُسْر واليسر، والحياة والموت.

فإذا تمَّت آجالهم المقدَّرة أمر الله مَلَك الموت بقبض تلك الأرواح الطاهرة الشريفة، فيموتون كما يموت سائر البشر.

ونبينا محمَّد ﷺ كان أشرف رسول، أدَّى الأمانة وبلَّغ الرسالة، وكان يؤكِّد دومًا أنه: عبد الله ورسوله، فمحبته ﷺ فرض لازم، ونتقرب إلى الله جَلَّ وَعَلَا بحبه.

إلا أنَّ ديننا قائم على التوحيد وهو إفراد الله بما يختصُّ به من الألوهية والربوبية والأسماء والصفات..

فلا يغلو المسلم فيه ﷺ بغير حق، فيجعله لله ندًا، ولا يستشفع به

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٣٦)، والدارمي (١٥٦٣)، وابن ماجه (١٤١٥)، وصححه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/٥٥٨)، وأحمد شاكر في تعليقه على «المسند» (٤/١٢٨). وأخرجه ابن حبان (٦٥٠٧) والآجري في «الشريعة» (١٠٦٩)، والطبراني في «الأوسط» (١٤٠٨)، وفيه: قال المبارك بن فضالة: وكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى، ثم قال: «يا عباد الله! الخشبة تحنُّ إلى رسول الله ﷺ شوقًا إليه لمكانه من الله، فأنتم أحقُّ أن تشتاقوا إلى لقائه».

(٢) «لطائف المعارف» (ص١١٠).

على الله ﷻ، ولا يطلب منه قضاء الحاجات، أو كشف الكربات.

وقد كان ﷺ طيلة حياته النبوية يؤكِّد على التفريق بين مقام الألوهية والنبوة، فلا يرفع إلى مقام الألوهية.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ**»(١).

وعن مطرف بن عبد الله، قال: قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ: فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «**السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**»..

قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً(٢).

فقال: «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ**»(٣).

الربُّ ربٌّ والرسول فَعَبْدُه ... حَقًّا، ولَيْس لَنَا إلهٌ ثَانِ
لِلهِ حَقٌّ لا يَكُونُ لِغَيْرِهِ ... وَلِعَبْدِهِ حَقٌّ، هُمَا حَقَّانِ
لَا تجْعَلُوا الحَقَّيْنِ حَقًّا وَاحِدًا ... مِنْ غَيْرِ تَمْيِيز وَلَا فُرْقَانِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) «أفضلنا فضلاً» أي: مزية ومرتبة، «وأعظمنا طولًا» أي: عطاء للأحباء وعُلوًّا على الأعداء.

(٣) أخرجه أحمد (١٣٥٩٥)، وأبو داود (٤٨٠٦)، وجوَّد إسناده ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٤٣٩)، والشوكاني في «الفتح الرباني» (١/ ٣٣٥).

ثم غسَّله ﷺ بنو أبيه - كما أمرهم أبو بكر ﵁ بذلك[١] - علي ابن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، وقثم ابن العباس، ومعهم أسامة بن زيد، وشقران مولى رسول الله ﷺ.

فأسنده علي بن أبي طالب إلى صدره، وكان العباس والفضل وقثم يقلِّبونه معه، وكان أسامة بن زيد وشقران هما اللذان يصبان الماء عليه، وعليٌّ يغسِّله وعليه قميصه يَدْلُكُه به من ورائه، لا يفضي بيده إلى رسول الله ﷺ، وكان يقول: «بأبي أنت وأمي، ما أطيبك حيًا وميتًا»[٢].

ثم وُضِع ﷺ على سَريره في بيته، ثُمَّ دخل الناس أَرسالاً يُصلُّون عليه، حتى إذا فرغوا أَدْخلُوا النساء، حتى إذا فرغوا أَدْخَلوا الصبيان، ولم يَؤمَّ النَّاسَ على رسول الله ﷺ أحدٌ[٣].

ودُفن ﷺ في بيته حيث قبض[٤]، وكان بيته خارج المسجد، ولم

---

(١) أخرجه ابن المنذر في «الأوسط» (٢٩٣٤)، والبيهقي (٦٦٥٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٥٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٢٤٣)، ينظر: «السيرة النبوية» لابن كثير (٤/ ٥١٤).

(٣) قال ابن عبد البر ﵀: «وأما صلاة الناس عليه [ﷺ] أفذاذًا فمجتمعٌ عليه عند أهل السير وجماعةِ أهلِ النقل لا يختلفون فيه». «التمهيد» (٢٤/ ٣٩٧) .وينظر: مسند الإمام أحمد (٢٠٧٦٦)، وابن ماجه (١٦٢٨). واختلف أهل العلم في سبب ذلك، ومن ذلك ما قاله الإمام الشافعي ﵀: «صلَّى الناس على رسول الله ﷺ أفرادًا لا يؤمهم أحد، وذلك لِعِظَم أمر رسول الله ﷺ، وتنافسهم في ألَّا يتولَّى الإمامة في الصلاة عليه واحد» «الأم» (١/ ٣١٤). وصلاة الجنازة تجوز فرادى وجماعة، قال النووي ﵀: «تجوز صلاة الجنازة فرادى بلا خلاف والسنة أن يصلى جماعة». «المجموع» (٥/ ١٧٢).

(٤) أخرج الترمذي (١٠١٨) عن عائشة ﵂، قالت: لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه، فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا ما نسيته، قال: «**مَا قَبَضَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي المَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ**». قال ابن عبد البر ﵀: «ولا خلاف بين العلماء أن رسول الله ﷺ دفن في الموضع الذي مات فيه من بيته بيت عائشة ﵂». «الاستذكار» (٣/ ٥٤).

يُدخل فيه إلا بعد انقضاء القرون المفضلة، وكان ذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك، وجعل بينه وبين المسجد جدارًا لكيلا يُصلِّي إليه أحد[١].

وقد بكاه الصحابة بعيونهم وقلوبهم، وبكاه حسَّان بن ثابت رضي الله عنه مثل ذلك، وبشعره أيضًا، فبقي ذلك الشِّعْر ما بقي الدَّهر يصوِّر للناس فَقْدَ الصَّحابة لرسول الله ﷺ.

حسان بن ثابت الذي عاش مع رسول الله ﷺ في المدينة، فلخَّص هذه المحبة التي عاشها في تلك الفترة بقوله:

وأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي   وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ[٢]

---

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ٤١٣). فالرسول ﷺ دفن في بيته وليس في المسجد، ودفن معه صاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ولكن لمَّا وسَّع الوليد بن عبد الملك بن مروان المسجد أدخل البيت في المسجد؛ بسبب التوسعة، وغلط في هذا، وكان الواجب أن لا يدخله في المسجد، وقد أنكر عليه أهل العلم ذلك، فلا يجوز أن يقتدى به في هذا، ولا يظنُّ ظانٌّ أن هذا من جنس البناء على القبور أو اتخاذها مساجد؛ لأنَّ هذا بيت مستقلٌّ أدخل في المسجد للحاجة للتوسعة، فالرسول ﷺ وصاحباه لم ينقلوا إلى أرض المسجد، وإنما أدخلت الحجرة التي هم بها في المسجد من أجل التوسعة، وهذا من جنس المقبرة التي أمام المسجد مفصولة عن المسجد لا تضره، وهكذا قبر النبي ﷺ مفصول؛ لأنه في حجرة مستقلة عن المسجد ، ولهذا لما أدخلت الحجرة في مسجده المفضل بنوا عليها حائطًا؛ لئلا يُصلِّي أحد إلى قبره الكريم ﷺ، قال القرطبي رحمه الله في «المفهم» (٢/ ١٢٧): «فأعلوا حيطان تربته، وسدُّوا المداخل إليها، وجعلوها محدقة بقبره، ثم خافوا أن يتخذ موضع قَبره قبلة إذْ كان مستقبل المصلين، فتتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين، وحرَّفوهما حتى التقيا على زاوية مثلث من ناحية الشمال، حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره». وهذا من استجابة الله لدعاء الرسول ﷺ فيما أخرجه مالك (٨٥) وأحمد (٧٣٥٨»: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**». قال ابن عبد البر رحمه الله: «هذا الحديث صحيح عند من قال بمراسيل الثقات، وعند من قال بالمسند». «التمهيد» (٥/ ٤٢). قال ابن القيم رحمه الله في «النونية» (ص٢١٥):

فَأَجَابَ ربُّ العَالَمِينَ دُعَاءَه   وَأَحَاطَهُ بِثَلَاثَةِ الجُدْرَانِ
حَتَّى اغْتَدَتْ أَرْجَاؤه بِدُعَائِهِ   فِي عِزَّةٍ وحِمَايَةٍ وصِيَانِ

(٢) «ديوان حسان بن ثابت» (ص١٠).

فمما رثاه حسان قوله رضي الله عنه:

مَا بَالُ عَيْنِك لا تَنَامُ كَأنَّمَا ... كُحِلَتْ مَآقِيْها بِكُحْلِ الأرْمدِ
جَزَعًا عَلى المَهديِّ أَصْبَحَ ثَاوِيًا ... يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الحَصَى لا تَبْعُد
وَجْهِي يَقِيَكَ التُّربَ لَهْفِي لَيْتَنِي ... غُيِّبتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيْعِ الغَرْقَد
بِأَبِي وأُمِّي مَنْ شَهِدْتُ وَفَاتَه ... فِي يَوم الاثْنَيْنِ النَّبيُّ المُهتدَي
فَظَلِلْتُ بَعْدَ وَفَاتِهِ مُتبلِّدًا ... مُتَلَدِّدًا يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوْلَدِ
أأُقِيمُ بَعْدَكَ بالمَدِيْنَةِ بَيْنَهُمْ ... يَا لَيْتَني صُبِّحْتُ سَمَّ الأَسْوَدِ
يَا بِكْرَ آمِنَةَ المُبَارَكِ بِكْرُهَا ... وَلَدَتْكَ مُحْصَنةً بِسَعْدِ الأَسْعَدِ
يَا رَبِّ فَاجْمَعْنَا مَعًا وَنَبِيَّنَا ... فِيْ جَنَّةٍ تُثْنِي عُيُوْنَ الحُسَّدِ
فِيْ جَنَّة الفِرْدَوْسِ فاكْتُبْهَا لَنَا ... يَا ذَا الجَلالِ وَذَا العُلا وَالسُّؤدَدِ
نُوْرًا أَضَاءَ عَلى البَرِيَّةِ كُلِّهَا ... مَنْ يُهدَ للنُّوْرِ المُبَارَكِ يَهْتَدي
صَلَّى الإِلَهُ وَمَن يَحُفُّ بِعَرْشِه ... والطَّيِّبُوْنَ عَلى المُبَارَكِ أَحْمَدِ[1]

وكان الصحابة رضي الله عنهم يشتاقون إليه في حياته، فكيف بهم بعد مماته؟!

قال علي بن أبى طالب رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ أحبَّ إلينا من أموالنا، وأولادنا، وآبائنا، وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ»[2].

ويقول أنس رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ يُقبِل وما على الأرض شخص أحب إلينا منه»[3].

وقال عروة بن الورد لقومه وهو يصف حال الصحابة رضي الله عنهم مع النبي

(١) «ديوان حسان بن ثابت» (ص٩٧).
(٢) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (٢/ ٢٢).
(٣) أخرجه أحمد (١٢٥٢٥)، وإسناده على شرط مسلم.

ﷺ في صلح الحديبية: «والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، والله إنْ رأيت مَلِكًا[(١)] قط يُعظِّمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمدًا، والله إن تنخَّم نخامة إلا وقعت في كفِّ رجل منهم، فَدَلَك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له»[(٢)]. أعلى النموذج ولم يكونوا ﵃ يفعلون ذلك من باب الذل والعبودية، ولكن من باب التوقير[(٣)].

ومع هذا الحب العظيم والإجلال الكبير من الصحابة ﵃ للنبيِّ ﷺ؛ فإنهم كانوا - كما تركهم - أمناء على عقيدة التوحيد التي بعث من أجلها، فلم يكونوا إذا ادلهمَّت الخطوب، أو هالتهم المفاجع يَهرعون إلى قبره للدُّعاء، وإنَّما كانوا يدعون الله ويستغيثون به.

ويتوسلون لله بقرابته الأحياء، ولا يتوسلون به ﷺ؛ لعلمهم بأنَّه مخالفٌ للحقِّ الذي جاء به ﷺ[(٤)].

---

(١) أي: ما رأيت ملكًا، وكلمة: «إنْ» نافية. «عمدة القاري» (١٤/ ١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣١).

(٣) العبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع، والتعبد: التذلل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعًا له لم تكن عابدًا له، ومن خضعتَ له بلا محبة لم تكن عابدًا له، حتى تكون مُحبًا خاضعًا، وهذا لا تكون إلا لله ﷻ.

(٤) التوسل هو اتخاذ وسيلة تقرب إلى الله ﷻ، فهناك متوسل إليه وهو الله، ومتوسِل وهو العبد الضعيف، ومتوسل به وهو العمل المتقرَّب به إلى الله. وينقسم التوسل إلى: مشروع، وغير مشروع.
فالتوسل المشروع - وهو التقرب إلى الله بكلِّ ما يحبه الله ويرضاه - ثلاثة أقسام:
الأول: التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. فتقول: يا رحيم ارحمني، ويا غفور اغفر لي، ويا رازق ارزقني، ويا ستِّير استرني، وهكذا. =

روى البخاري عن أنس بن مالك أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا قَحطوا استسقى بالعبَّاس بن عبد المطلب، فقال: «اللهمَّ إنَّا كنَّا نتوسَّل إليك بنبينا فتسقينا، وإنَّا نَتوسَّل إليك بعمِّ نَبينا فَاسْقنا»، قال: فيسقون[1].

وبالجملة: «فمن تعدى المشروع إلى ما لا يشرع ضلَّ وأضلَّ. ولو كان دعاء الميت خيرًا لكان الصحابةُ إليه أسبق، وعليه أحرص، وبهم أليق، وبحقه أعلم وأقوم. فمن تمسك بكتاب الله نجا، ومن تركه واعتمد على عقله، هلك. وبالله التوفيق»[2].

= الثاني: التوسل إلى الله بعمل صالح فعله الداعي نفسه، قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٥٣].

الثالث: التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح، بشرط أن يكون حيًّا وأن يتوسل بدعائه لا بذاته. ومنه ما أخرجه البخاري (٩٣٣) ومسلم (٨٩٧) عن أنس بن مالك، قال: «أصابت الناس سَنَة على عهد النبي ﷺ، فبينا النبي ﷺ يخطب في يوم جمعة قام أعرابي، فقال يا رسول الله: هَلَك المال وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه وما نرى في السَّماء قَزَعة، فو الذي نفسي بيده، ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ».

أمَّا التوسل غير المشروع، فهو التقرب إلى الله بوسيلة غير شرعية، مثل: التوسل بجاه المخلوق، أو بحقِّه، أو بشخصه، أو بصلاحه. أمَّا إذا صحبه صرف شيءٍ من العبادة للمتوسَّل به فهذا هو عين شرك أهل الجاهلية، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨].

(١) البخاري (١٠١٠)، ومن تأمل هذا الحديث: «وجد أنَّه دليل على عدم جواز التَّوسل بجاه النَّبيِّ ﷺ أو غيره، وذلك أنَّ التَّوسل هو اتِّخاذ وسيلة؛ والوسيلة هي الشَّيء الموصل إلى المقصود، والوسيلة المذكورة في هذا الأثر: «نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنَّا نتوسل إليك بعمِّ نبينا فاسقنا»؛ المراد بها: التوسل إلى الله تعالى بدعاء النَّبيِّ ﷺ، كما قال الرجل: «يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا»، ولأن عمر قال للعباس: «قم يا عباس فادع الله، فدعا»، ولو كان هذا من باب التَّوسل بالجاه لكان عمر ﷺ يتوسل بجاه النَّبيِّ ﷺ قبل أن يتوسل بالعبَّاس؛ لأنَّ جاه النَّبيِّ ﷺ أعظم عند الله من جاه العبَّاس وغيره، فلو كان هذا الحديثُ من باب التوسل بالجاه لكان الأجدر بأمير المؤمنين عمر ﷺ أن يتوسَّل بجاه النَّبيِّ ﷺ، دون جاه العباس بن عبد المطلب». «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (٢/ ٣٥١)

(٢) «تيسير العزيز الحميد» (ص٦٣٣).



أسماء المدينة

المدينة لها أسماء عديدة، وتعدُّد الأسماء يدل على تعظيم المسمَّى.

قال الفيروز آبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ «اعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المُسمَّى أو كماله في أمر من الأمور، أمَا ترى أنَّ كثرة أسماء الأسد دلَّت على كمال قوَّته، وكثرة أسماء القيامة دلَّت على كمال شدته وصعوبته، وكثرة أسماء الداهية دلَّت على شدة نكايتها، وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلَّت على كمال جلال عظمته، وكثرة أسماء النبي ﷺ دلَّت على عُلوِّ رتبته وسمو درجته، وكذلك كثرة أسماء القرآن دلَّت على شرفه وفضيلته»[1]

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ «ولها [أي المدينة] نحو مئة اسم...، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى. قال النووي: لا يعرف في البلاد أكثر أسماء منها ومن مكة»[2].

فمن أسمائها:

* يثرب، وهو اسمها في الجاهلية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٣].

وقد استنبط بعض أهل العلم من قوله ﷺ: «**يَقُولُونَ يَثْرِبُ، وَهِيَ**

(١) «بصائر ذوي التمييز» (١/ ٨٨).

(٢) «فيض القدير» (١/ ٤١).

المَدِينَةُ»[١]، كراهة تسمية المدينة بيثرب[٢].

وأما تسميتها في القرآن: يثرب، فإنما هو حكايةٌ عن قول المنافقين، والذين في قلوبهم مرض، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٢-١٣].

* المدينة، فَعِيلَة مِنْ مَدَنَ بالمكان أقام، والمراد البلدة النبوية، وأصبحت علمًا عليها، وعلى غيرها بالإضافة، وبه سميت بعد هجرة النبي ﷺ إليها، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٢٠]. وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ»[٣].

قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «وهي المدينة الكاملة، التي تستحق أن يقال لها مدينة على الإطلاق كالبيت للكعبة»[٤].

* القرية، قال ﷺ: «أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ القُرَى»[٥].

* طابة، قال ﷺ: «هَذِهِ طَابَةُ»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٧١)، ومسلم (١٣٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٢) ينظر: «التمهيد» (٢٣/ ١٧١)، «شرح صحيح مسلم» للنووي (٩/ ١٥٤)، «فتح الباري» (٤/ ٨٧).
(٣) أخرجه البخاري (١٨٨٩)، ومسلم (١٣٧٦).
(٤) «فيض القدير» (١/ ٤١).
(٥) أخرجه البخاري (١٨٧١)، ومسلم (١٣٨٢).
(٦) أخرجه البخاري (١٤٨١)، ومسلم (١٣٩٢).

* **طيبة**، لقوله ﷺ: «**إِنَّهَا طَيْبَةُ، تَنْفِي الخَبَثَ، كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الفِضَّةِ**»(١).

قال ابن حجر رحمه الله «والطَّاب والطَّيب لغتان بمعنى، واشتقاقهما من الشيء الطيب، وقيل: لطهارة تربتها، وقيل: لطيبها لساكنها، وقيل: من طيب العيش بها»(٢).

* **الدار، والإيمان**، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩].

* **البحيرة، البحرة**، لحديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما في قصة ابن أبي بن سلول، قال سعد بن عبادة: «يا رسول الله اعف عنه، واصفح عنه، فو الذي أنزل عليك الكتاب، لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه»(٣).

* **الدرع الحصينة**، لقوله ﷺ: «**وَرَأَيْتُ أَنِّي فِيْ دِرْعٍ حَصِيْنَةٍ، فَأَوَّلْتُهَا المَدِيْنَةَ**»(٤).

* **دار الهجرة، دار السنة، دار السلامة**، قال عبد الرحمن بن عوف لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما: «يا أمير المؤمنين، إنَّ الموسم يجمع رعاع الناس، وغوغاءهم، وإني أرى أنَّ المدينة تنفي خبثها، تمهل، حتى تقدم المدينة، فإنها دار الهجرة والسنة والسلامة»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٥٠)، ومسلم (١٣٨٤).

(٢) «فتح الباري» (٤/ ٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٥٦)، ومسلم (١٧٩٨).

(٤) أخرجه أحمد (٢٤٤٥)، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على «المسند» (٤/ ١٤٦).

(٥) أخرجه البخاري (٣٩٢٨).



إلى غير ذلك من أسمائها.

وقد ذكر ابن حجر ﷺ عشرة أسماء لها: المدينة، وطيبة، وطابة، والمُطَيَّبة، والمسكينة، والمدرى، والجابرة، والمجبورة، والمُحبَّبة، والمَحْبوبة[١].

وذكر السمهودي للمدينة أربعة وتسعين اسمًا[٢].

صلى الله على ساكنها أفضل صلاة وأتمها.



(١) «فتح الباري» (٤/ ٩٠).

(٢) «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى» (١/ ١٣).




المدينة حرام

المدينة حرم، له حدود وأحكام، تختلف عن سائر البقاع، كما تختلف عن الحرم المكي في بعض الأحكام[١].

قال ﷺ: «**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لِأَهْلِهَا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، وَإِنِّي دَعَوْتُ فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا بِمِثْلَيْ مَا دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ لِأَهْلِ مَكَّةَ**»[٢].

وجاء في الحديث الآخر: «**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَإِنِّي أُحَرِّمُ الْمَدِينَةَ، حَرَامٌ مَا بَيْنَ حَرَّتَيْهَا وَحِمَاهَا كُلُّهُ، لَا يُخْتَلَى خَلاهَا، وَلا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، وَلا تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهَا، إِلا لِمَنْ أَشَارَ بِهَا، وَلا تُقْطَعُ مِنْهَا شَجَرَةٌ إِلا أَنْ يَعْلِفَ رَجُلٌ بَعِيرَهُ، وَلا يُحْمَلُ فِيهَا السِّلاحُ لِقِتَالٍ**»[٣].

ومعنى حرمتها: أنها آمنة:

١ - فصيدها لا يصاد، ومن أمسك شيئًا من الصَّيد داخل حدود حرم المدينة فعليه أن يُطلقه.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: (لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها، قال رسول الله ﷺ: «**مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا حَرَامٌ**»)[٤].

---

(١) ينظر: «البيان والتحصيل» (٤/ ١٩)، «المجموع» (٧/ ٤٧٦)، «الكافي» (١/ ٥٠٨).
(٢) أخرجه مسلم (١٣٦٠).
(٣) أخرجه أحمد (٩٥٩)، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على «المسند» (٢/ ١٩٨).
(٤) أخرجه البخاري (١٨٧٣)، ومسلم (١٣٧٢).

وروى عطاء بن يسار عن أبي أيوب الأنصاري ﵁ أنه وجد غِلْمانًا قد ألجئوا ثعلبًا إلى زاوية، فطردَهم عنه، وقال: «أفي حَرَم رسول الله ﷺ يُصنع هذا؟»[(١)].

٢ - وشجرها لا يقطع؛ إلا ما دعت الحاجة إليه؛ كالحشيش للعلف، وقطع الأشجار للحرث، وما أشبهه.

٣ - ولقطتها لا تلتقط، واللقطة: اسم للشيء الذي تجده ملقى فتأخذه، ويحتاج إلى تعريف.

٤ - والسلاح لا يحمل فيها لغير ضرورة ولا حاجة؛ لأنها آمنة.

والمدينة الآن: منها شيء داخل حدود الحرم، وشيء خارج عن حدود الحرم.

وقد حدَّ النبيُّ ﷺ حدود حرم المدينة من جهاتها الأربع.

فقال ﷺ: «**الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْر**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا**»[(٣)].

فيحدُّها من الجنوب: جبل عير، وهو جبل ممتد من الغرب إلى الشرق.

ويحدُّها من جهة الشمال: جبل ثور، وهو جبل صغير شمالي أحد.

ويحدُّها من جهة الشرق: الحرَّة الشرقية، وهي إحدى لابتيها.

---

(١) أخرجه مالك (٢٦٠١)، والبيهقي (٩٩٧٠)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٥٥)، ومسلم (١٣٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٣٣)، ومسلم (١٣٦١).

ويحدُّها من الغرب: الحرَّة الغربية وهي اللابة الثانية.

وفي العصر الحاضر: قامت لجنة رسمية بتحديد منطقة الحرم، ووضعت الجهات المختصَّة علامات معمارية على شكل أقواس المسجد النبوي تبين حدود الحرم من الجهات الأربع.






فضائل المدينة

المدينة هي دار الهجرة، وفيها اجتمع المهاجرون والأنصار، ومنها فُتحت البلاد، وانتشر الدِّين وظهر، وانقمع الشرك وتوارى، وفيها تنزلت عامة آيات الأحكام والشرائع، وعاش فيها ﷺ حتى مات، ودفن بها، فمنها انتشر الإسلام في أوله، وإليها يعود ويجتمع في آخره، وهي «معدن الخلافة ومقصد الناس وملجأهم وحملت إليها خيرات الأرض»[١].

وقد اختارها الله واصطفاها لنبيه ﷺ، ورتب لها عددًا من الفضائل، ومنها:

١ - تحريمها، كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ أشار إلى المدينة وقال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا، كَتَحْرِيمِ إِبْرَاهِيمَ مَكَّةَ**»[٢]، **فتحريمها دليل على فضلها، وهذا التحريم يستلزم أَمْن أهلها، وألا يراد بهم سوء.**

أخرج مسلم من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: أهوى رسول الله ﷺ بيده إلى المدينة، فقال: «**إِنَّها حَرَمٌ آمِنٌ**»[٣].

٢ - عِظم بركتها، وهذا يشعر به من يسكن فيها، فأرزاقها، ومآكلها، وثمارها مباركة، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: خرجنا مع

---

(١) «فتح الباري» (٤/ ٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٨٩).

(٣) مسلم (١٣٧٥)

رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا بالحَرَّة بالسُّقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص، قال رسول الله ﷺ: «**ائْتُونِي بِوَضُوءٍ**»، فلمَّا توضأ قام فاستقبل القبلة، ثم كبَّر، ثم قال: «**اللهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ عَبْدَكَ، وَخَلِيلَكَ، دَعَا لِأَهْلِ مَكَّةَ بِالْبَرَكَةِ، وَأَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، أَدْعُوكَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنْ تُبَارِكَ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ، مِثْلَيْ مَا بَارَكْتَ لِأَهْلِ مَكَّةَ، مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ**»[١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مِكْيَالِهِمْ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ، وَمُدِّهِمْ**»، يعني أهل المدينة[٢].

قال ابن حجر رحمه الله «قال النووي: الظاهر أن البركة حصلت في نفس المكيل بحيث يكفي المدُّ فيها من لا يكفيه في غيرها، وهذا أمر محسوس عند من سكنها»[٣].

٣ - رفع الحُمَّى والوباء عنها حين هاجر إليها رسول الله ﷺ، فقد كانت معروفة في الجاهلية بأنها أَوْبَأُ أرض، ولما قدم الصحابة إليها مرضوا بسبب تلك الحُمَّى، فكانوا يُصلُّون قعودًا من شدَّة المرض، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم النبي ﷺ المدينة وهي مُحِمَّة، فَحُمَّ الناس، فدخل النبي ﷺ المسجد، والناس قعود يصلون. فقال النبي ﷺ: «**صَلاةُ الْقَاعِدِ نِصْفُ صلاةِ الْقَائِمِ**»،

---

(١) أخرجه أحمد (٩٣٦)، والترمذي (٣٩١٤) وقال: حسن صحيح، والنسائي (٤٢٧٠)، وابن خزيمة (٢٠٩)، وابن حبان (٣٧٤٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (ح١٢٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢١٣٠)، ومسلم (١٣٦٨).

(٣) «فتح الباري» (٤/ ٩٨).

فتجشَّم الناس الصلاة قيامًا[١].

وأصاب الصحابة المهاجرين ضنكًا شديدًا، فعن عائشة ﵂ قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وُعِكَ أبو بكر، وبلالٌ.

فكان أبو بكر إذا أخذته الحُمَّى يقول:

كُلُّ امْرِئٍ مُصْبِح فِيْ أَهْلِهِ   وَالمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وكان بلال إذا أقلع عنه الحُمَّى يرفع عقيرته[٢] يقول:

أَلا لَيْتَ شِعْرِيْ هَلْ أَبِيْتَنَّ لَيْلَةً   بِوَادٍ وَحَوْلِيْ إِذْخِرٌ وَجَلِيْلُ
وَهَلْ أَرِدَنَّ يَوْمَاً مِيَاهَ مَجِنَّة   وَهَلْ يَبْدُوَنَّ لِيْ شَامَةٌ وَطَفِيْلُ

قال: اللهم الْعَنْ شيبةَ بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف؛ كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء.

قالت ﵂: وقدمنا المدينة وهي أَوْبَأُ أرض الله، وكان بطحان يجري نَجْلاً[٣].

قالت: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الـمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ، أَوْ أَشَدَّ وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ**»[٤].

٤ - أنَّ الإيمان يأرز إليها، أي: ينظم ويجتمع بعضه إلى بعض، فعن

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٤١٢١)، وأحمد (١٢٣٩٥)، وهو حديث صحيح.

(٢) أي: رفع صوته، قال الأصمعي: «وأصل ذلك أن رجلا قطعت احدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى وصرخ بأعلى صوته فقيل لكل من رفع صوته رفع عقيرته». «غريب الحديث» لابن قتيبة (٢/ ٣٧٤)

(٣) أي: ماء آجنًا. «فتح الباري» (٤/ ١٠١).

(٤) أخرجه البخاري (١٨٨٩)، (٣٩٢٦).

أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى المَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا**»(١).

قال ابن حجر رحمه الله «أي: إنَّها كما تنتشر من جُحرها في طلبِ ما تعيش به؛ فإذا رَاعها شيءٌ رَجعت إلى جُحرها، كذلك الإيمان انتشر في المدينة، وكل مؤمن له من نفسه سائق إلى المدينة لمحبته في النبي ﷺ، فيشمل ذلك جميع الأزمنة»(٢).

٥ - حمايتها من الدجال، فإن الدجال يخرج من جهة المشرق، ثم يسير في الأرض فلا يدع بلدًا إلا دخله، غير مكة والمدينة.

عن أبي بكر رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: «**الدَّجَّالَ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَان**»(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ، وَالمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ، إِلَّا عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ المَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ**»(٤).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ المَدِينَةَ رُعْبُ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٧٦) ومسلم (١٤٧). (٢) «فتح الباري» (٤/ ٩٤).

(٣) أخرجه أحمد (١٢)، والترمذي (٢٢٣٧)، وابن ماجه (٤٠٧٢)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤/ ١٢٢).

(٤) أخرجه البخاري (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٣٤).

(٥) أخرجه البخاري (١٨٧٩).

وروى مسلم من حديث فاطمة بنت قيس - في قصة تميم الدَّاري والجسَّاسة - أنَّ الدجال قال لهم: (إني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، فهما محرمتان عليَّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة - أو واحدًا - منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتًا، يصدُني عنها، وإنَّ على كل نقب منها ملائكة يحرسونها، قالت: قال رسول الله ﷺ - وطعن بمخصرته في المنبر - : **«هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ»** - يعني المدينة - **«أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟»** فقال الناس: نعم، فقال: **«فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ، أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ»**[(١)].

٦ - شفاعة النبي ﷺ لمن يموت فيها، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن نبي الله ﷺ قال: **«مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَفْعَلْ، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ مَاتَ بِهَا»**[(٢)].

٧ - أنَّ من استصبح بسبع تمرات من تمرها لم يضره شيء، كما أخرج مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٢).

(٢) أخرجه أحمد (٥٤٣٧)، والترمذي (٣٩١٧)، وابن ماجه (٣١١٢). وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٦/ ١٠٣٤).

وشفاعة النبي ﷺ جاء الخبر أن المرء يدركها - أيضًا - إذا داوم على عمل يسير وسهل بإذن الله، وهو ما أخرجه البخاري (٦١٤) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ»**.

قال: «مَنْ أَكَلَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِمَّا بَيْنَ لَابَتَيْهَا حِينَ يُصْبِحُ، لَمْ يَضُرَّهُ سُمٌّ حَتَّى يُمْسِيَ»[(١)].

ففي الحديث فضيلة تمر المدينة، وفضيلة التَّصبح بسبع تمرات منه، وتخصيص تمر المدينة دون غيرها وعدد السبع من الأمور التي عَلِمها الشَّارع، ولا نعلم نحن حكمتها، فيجب الإيمان بها، واعتقاد فضلها، والحكمة فيها[(٢)].

٨ - أنَّ من أراد بأهلها بسوء فهو متوعد بوعيد شديد، كما أخرج البخاري عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا يَكِيدُ أَهْلَ المَدِينَةِ أَحَدٌ إِلَّا انْمَاعَ كَمَا يَنْمَاعُ المِلْحُ فِي المَاءِ»[(٣)].

وعند مسلم: «وَلَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ إِلَّا أَذَابَهُ اللهُ فِي النَّارِ ذَوْبَ الرَّصَاصِ، أَوْ ذَوْبَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ»[(٤)].

٩ - تفضيلها بتفضيل بعض الأماكن فيها، كالمسجد النبوي الشريف، والروضة الشريفة، ومسجد قباء، وجبل أحد، ووادي العقيق[(٥)].

---

(١) مسلم (٢٠٤٧).

(٢) ينظر: «شرح النووي على مسلم» (١٤/ ٣).

(٣) البخاري (١٨٧٧).

(٤) مسلم (١٣٦٣).

(٥) وادي العقيق جعله الله ﷻ مباركًا، وأمر نبيه ﷺ بالصلاة فيه. روى البخاري (١٥٣٤) عن ابن عباس ﷺ، قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ بوادي العقيق يقول: «أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي، فَقَالَ: صَلِّ فِي هَذَا الوَادِي المُبَارَكِ، وَقُلْ: عُمْرَةً فِي حَجَّةٍ».




مشروعية شدِّ الرحال إلى المسجد النبوي

أفضل بقاع الأرض وأحبها إلى الله المساجد(١)، وهي بيوت الله التي أَذِن أن تُرفَع ويُذكَر فيها اسمُه، وهي تختلف شرفًا وفضلاً. وقد أعلى الله ﷻ ثلاثة منها، فقدَّمها على ما عداها، وكرَّمها وفضَّلها تفضيلاً؛ وتلك هي التي جاء النص بتسميتها وجواز شدِّ الرحال إليها تعظيمًا لها، ونهى عن شد الرحل إلى ما سواها من المساجد؛ فضلاً عن غيرها من الأماكن.

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: **«لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى»**(٢).

فلا تشدُّ الرِّحال إلى بقعة لفضلها إلا إلى هذه البقاع الثلاثة المذكورة في الحديث، ولا يعني تحريم السَّفر مطلقًا، وإنما هو لمَنْ قصد مكانًا معتقدًا أفضيلته.

والصلاة في المسجد النبوي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام.

---

(١) أخرج مسلم (٦٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا»**.

(٢) البخاري (١١٨٨)، مسلم (١٣٩٧). وأخرجه مسلم (٨٢٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ: **«لا تَشُدُّوا»**.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ قال: «**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ**»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وشد الرحل إلى مسجده مشروع باتفاق المسلمين»(٢).

فإذا رغب المسلم أن يسافر للمدينة، فإنه يعقد عزمه ونيته أن تكون زيارته للمسجد النبوي الشريف، فهو المكان الذي يشد إليه الرحل في المدينة.

وإذا وصل إلى المسجد اسُتحب له أن يقدم رجله اليمنى عند دخوله، ويقول: «**اللهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِك**»(٣)، أو يقول: «**أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»(٤)، كما يقول ذلك عند دخول سائر المساجد، وليس لدخول مسجده ﷺ ذكر مخصوص، ثم يصلي تحية المسجد ركعتين، وله أن يتطوع بما شاء ما لم يكن في وقت نهي، فيدعو الله فيهما بما أحب من خيري الدنيا والآخرة.

ومن زار المدينة قاصدًا الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، استُحِبَّ له أيضًا أن يزور الأماكن التالية:

١- الروضة الشريفة:

وهي المكان الواقع بين بيت المصطفى ﷺ - وهو بيت عائشة رضي الله عنها - ومنبره ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٢٦).

(٣) أخرجه مسلم (٧١٣).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٦)، وصححه الألباني.



قال النبي ﷺ: «**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ**»(١).

وقد حددت الجهات المسؤولة مكان الروضة الشريفة، ووضعت له فَرشًا مختلفًا لتمييزه عن بقية المسجد.

والصلاة في الروضة الشريفة أفضل من أي مكان في المسجد، فيستحب أن يكثر من الصلاة النافلة فيها(٢).

سئل الإمام مالك رحمه الله عن الصلاة في مسجد النبي ﷺ أي مواضعه أحبُّ إليك؟ قال: «أمَّا النافلة: فمصلَّى النبي ﷺ، وأما الفريضة: فيقْدُم إلى أول الصف أحب إلي»(٣).

ومصلَّى النبي ﷺ الذي يقصده الإمام مالك هو في الروضة الشريفة.

فيستحب لمن زار المدينة: الحرص على الصَّلاة والعبادة فيها.

٢- قبر النبي ﷺ المكرَّم:

يستحب لمن كان بالمدينة أن يزور قبر نبينا محمد ﷺ(٤)، وقد حثّ النبي ﷺ على زيارة الرجال للقبور عمومًا.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٩٥)، ومسلم (١٣٩٠).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات ابن باز» (١٦/ ١٠٢).

(٣) «البيان والتحصيل» لابن رشد (١/ ٣٧٠).

(٤) كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يصفه بـ«**القبر المكرم**»، ومن ذلك قوله: «ولا اسَتحب هو ﷺ، ولا أحد من أصحابه، ولا علماء أمته: أن يجاور أحدٌ عند قبر ولا يعكف عليه؛ **لا قبره المكرم**، ولا قبر غيره، ولا أن يقصد السُّكنى قريبًا من قبر أيِّ قبر كان». «دقائق التفسير» (٢/ ٤٧)، وقال رحمه الله: «والسلام عليه عند **قبره المكرم** جائز». «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٣٢٢)، وقال رحمه الله: «وعلماء المسلمين قد ذكروا في مناسكهم استحباب السَّفر إلى مسجده وذكروا زيارة **قبره المكرم**، وما علمت أحدًا من المسلمين قال: إنَّه من لم يقصد إلا زيارة القبر يكون سفره مستحبًا». «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٣٤٥)، وكان شيخنا ابن باز رحمه الله يصفه بـ«القبر الشريف».

فعن أبي هريرة قال: زار النبي ﷺ قبر أُمِّه فَبَكى وأَبْكَى من حوله فقال: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ**»[(١)].

وقبر رسول الله ﷺ أولى ما يزار من القبور[(٢)]، ولكن لا يَشدُّ له المسلمُ الرَّحْل، ولا يَجْعلُ مَقْدَمه للمدينة المنورة لزيارة القبر فقط، بل يكون زيارته للمدينة للصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، وإن أدخل معه نية زيارته ﷺ فلا بأس.

قال شيخنا العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ «المشروع لمن أراد زيارة قبر النبي ﷺ وهو بعيد عن المدينة أن يقصد بالسَّفر زيارة المسجد النبوي، فتدخل زيارة القبر الشريف وقبري أبي بكر وعمر والشهداء وأهل البقيع تبعًا لذلك، وإن نواهما جاز؛ لأنه يجوز تبعًا ما لا يجوز استقلالاً.

أمَّا نية القبر بالزيارة فقط فلا تجوز مع شدِّ الرحال، أمَّا إذا كان قريبًا لا يحتاج إلى شدِّ رحال، ولا يسمَّى ذهابه إلى القبر سفرًا فلا حرج في ذلك؛ لأن زيارة قبره ﷺ وقبر صاحبيه من دون شدِّ رحال سنة وقربة، وهكذا زيارة قبور الشُّهداء وأهل البقيع، وهكذا زيارة قبور المسلمين في كل مكان سنة وقربة، لكن بدون شدِّ الرحال»[(٣)].

فهناك فرق بين زيارة القبور - ومنها قبر النبي ﷺ - والسفر

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٦)

(٢) لم يثبت في فضل زيارة القبر المكرَّم حديثٌ، وكل ما ورد فيه ضعيفٌ جدًا، أو موضوعٌ لا أصل له، إلا أن القبر المكرم يدخل دخولاً أوليًا في الأحاديث العامة التي وردت في فضل زيارة القبور.

(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٨/ ٣٢٧).

إليها[1]، فزيارة القبور قربة إلى الله ﷻ ومأمور بها - كما سبق - وتخصيصها بالسفر.

وصفة زيارة قبر النبي ﷺ، وقبري صاحبيه أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

أن يقف أمام القبر المكرم بأدب، ويخفض صوته، فإن النبي ﷺ مُوقَّر حيًّا وميتًا[2].

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحُجرَات: ٢-٣].

عن السائب بن يزيد، قال: كنت قائمًا في المسجد، فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما، قال: من أنتما - أو من أين أنتما؟ - قالا: من أهل الطائف، قال: «لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ!»[3].

ويسلِّم على النَّبي ﷺ وصاحبيه، فعن نافع: أن ابن عمر كان إذا قدم من سفرٍ دخل المسجد ثم أتى القبر فقال: «السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه»[4].

---

(١) وهو ما يعرف عند أهل العلم بشدِّ الرحال.

(٢) «التحقيق والإيضاح» (ص٨٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٠).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١١٧٩٣)، وعبد الرزاق (٦٧٢٤)، والبيهقي (١٠٢٧١)، وصححه الألباني في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (ص٨١).

وإن قال: السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا خيرة الله من خلقه، السلام عليك

يا سيد المرسلين وإمام المتقين، أشهد أنك قد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حق جهاده. اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. فلا بأس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ «وإذا قال في سلامه: السلام عليك يا رسول الله، يا نبي الله، يا خيرة الله من خلقه، يا أكرم الخلق على ربه، يا إمام المتقين، فهذا كله من صفاته، بأبي هو وأمي ﷺ»[(١)].

وإن قال في السلام على أبي بكر الصديق ﵁: السلام عليك يا أبا بكر الصديق ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا خليفة رسول الله ﷺ، وثانيه في الغار، جزاك الله عنَّا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء. فلا بأس.

وإن قال في السلام على عمر بن الخطاب ﵁: السلام عليك يا عمر الفاروق ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا ثاني الخلفاء الراشدين، جزاك الله عنَّا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء. فلا بأس.

ثم ينصرف بأدب.

وهناك مخالفات يقع فيها بعض زُوَّار القبر المكرَّم، ومن أبرزها:

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٦/١٤٦).

١ - دعاء الرسول، أو نداؤه، أو الاستغاثة به، أو الاستعانة به؛ كقول بعضهم: (يا رسول الله اشف مريضي، يا رسول الله اقض ديني)، أو غير ذلك من الأقوال المضادَّة للتوحيد الذي هو حق الله على العبيد؛ كما سبق بيانه لك.

٢ - التمسح بجدار الحجرة، أو استلامه[1]؛ فالمسح والاستلام عبادة اختص بها الحجر الأسود والركن اليماني.

٣ - الطواف على القبر، فالطواف عبادة اختصَّ الله بها بيته الحرام، ولم يشرعها في غيره.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ «لا يجوز أن يطاف بقبر النبي ﷺ، ويكره إلصاق البطن والظهر بجدار القبر، قاله الحُليمي وغيره: ويكره مَسْحه باليد وتقبيله، بل الأدب: أن يبعد منه، كما يبعد منه لو حضر في حياته ﷺ هذا هو الصواب، وهو الذي قاله العلماء، وأطبقوا عليه، وينبغي أن لا يغتر بكثير من العوام في مخالفتهم ذلك، فإنَّ الاقتداء والعمل إنَّما يكون بأقوال العلماء، ولا يلتفت إلى مُحدثات العوام وجهالاتهم، ولقد أحسن السيد الجليل أبو علي الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ تعالى في قوله ما معناه: «اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين»، ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته؛ لأنَّ البركة إنما هي فيما وافق الشَّرع وأقوال العلماء، وكيف يبتغي الفضل في مخالفة الصواب»[2].

---

(١) مرَّ معنا أن الجدار لم يُبن إلا بعد عهد النبي ﷺ بقرون.

(٢) «الإيضاح في مناسك الحج والعمرة» للنووي (ص٤٥٦).

وقال الإمام النووي أيضًا: «وقال الإمام أبو الحسن محمد بن مرزوق الزعفراني - وكان من الفقهاء المحققين في كتابه في الجنائز -: ولا يستلم القبر بيده ولا يقبِّله، قال: وعلى هذا مضت السنة. قال أبو الحسن: واستلام القبور وتقبيلها الذي يفعله العوام الآن من المبتدعات المنكرة شرعًا، ينبغي تجنب فعله، وينهى فاعله.

قال: فمن قصد السَّلام على ميِّت سلَّم عليه من قبل وجهه، وإذا أراد الدَّعاء تحوَّل عن موضعه، واستقبل القبلة.

قال أبو موسى: وقال الفقهاء المتبحرون الخراسانيون: المستحب في زيارة القبور أن يقف مُستدبر القبلة مستقبلاً وجه الميت، يُسلِّم ولا يمسح القبر، ولا يقبِّله، ولا يمسُّه، فإنَّ ذلك عادة النصارى.

قال: وما ذكروه صحيح؛ لأنَّه قد صح النَّهي عن تعظيم القبور، ولأنَّه إذا لم يُستحبُّ استلام الركنين الشَّاميين من أركان الكعبة؛ لكونه لم يُسنُّ مع استحباب استلام الركنين الآخرين؛ فلأنْ لا يستحبُّ مسُّ القبور أولى»[١].

٤ - الوقوف أمام القبر كهيئة المصلي، بوضع اليمين على الشِّمال على الصدر أو تحته، وذلك فعل محرّم، لأن تلك الهيئة هيئة ذل وعبادة لا تجوز إلا لله ﷻ.

٥ - دعاء الله عند القبر، أو اعتقاد أنَّ الدعاء عنده مستجاب، وذلك

(١) «المجموع» للنووي (٥/ ٣١١).

فعل محرَّم؛ لأنه من أسباب الشرك، ولو كان الدعاء عند القبور، أو عند قبر النَّبي ﷺ أفضلَ وأصوبَ وأحبَّ إلى الله لرغَّبنا فيه رسول الله ﷺ، لأنه لم يترك شيئًا يقرِّب إلى الجنة إلا وحثَّ أمته عليه، فلما لم يفعل ذلك عُلم أنه فعل غير مشروع.

وقد رأى عليُّ بن الحسين رضي الله عنهما رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ: «**لَا تَتَّخِذُوْا قَبْرِيْ عِيْدًا، وَلا بُيُوْتُكُمْ قُبُوْرًا، وَصَلُّوا عَليَّ، فَإِنَّ تَسْلِيْمَكُمْ يَبْلُغُنِيْ أَيْنَ كُنْتُمْ**»[1].

٦ - إرسال من عجز عن الوصول إلى المدينة سلامه لرسول الله ﷺ مع بعض الزوار، وقيام بعضهم بتبليغ هذا السلام، وهذا فعل حادث مُبتدع، لم يُعرف عن السلف الصالح، ومن يفعل ذلك فقد ترك ما أمره به النبي ﷺ بقوله: «**وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي**»[2].

٧ - تكرار زيارة القبر المكرم؛ بحيث يعتاد زيارته كل يوم أو بعد كل فريضة. وهذا مخالف لقوله ﷺ: «**لا تجعلُوا قَبْرِي عِيدًا**»[3].

قال الملا علي القاري رحمه الله «كانت اليهود والنصارى تفعل ذلك

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٠٤٢)، وأبو يعلى (٤٦٩)، والضياء في «المختارة» (٤٢٨)، وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٨٨٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (ص٢١٩).

(٣) أخرجه أحمد (٨٨٠٤)، وأبو داود (٣٨٥)، وصححه النووي في «المجموع» (٨/ ٢٧٥).

بقبور أنبيائهم، فأورثهم الغفلة والقسوة، ومن عادة عبدة الأوثان أنهم لا يزالون يعظمون أمواتهم حتى اتخذوها أصنامًا، وإلى هذا أشار لقوله [ﷺ]: «**اللهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِيْ وَثَنَاً يُعْبَدُ**»، فيكون المقصود من النَّهي كراهةَ أن يتجاوزوا في قبره غاية التجاوز، ولهذا وَرد: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلى قَوْمٍ اتَّخَذُوْا قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، وقيل: العيد اسم من الاعتياد، يقال: عاده، واعتاده، وتعوَّده، أي: صار عادة له، والعيد ما اعتادك مِنْ هَمٍّ أو غيره، أي: لا تجعلوا قبري محلَّ اعتياد فإنَّه يؤدِّي إلى سوء الأدب، وارتفاع الحشمة، ولا يُظن أنَّ دعاء الغائب لا يصل إليَّ»[١].

وقال ابن رشد رَحِمَهُ اللهُ «وسئل [أي الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ] عن الغريب يأتي قبر النبي ﷺ كل يوم، فقال: «ما هذا من الأمر».

قال محمد بن رشد: المعنى في هذا: أنه إنَّما يلزمه أن يسلم عليه كلما مرَّ به، وليس عليه أن يمرَّ به ليسلم عليه...، ويكره له أن يُكثر المرور به والسلام عليه، والإتيان كل يوم إليه، لئلا يجعل القبر بفعله ذلك كالمسجد الذي يؤتى كل يوم للصلاة فيه. وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك بقوله: «**اللهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِيْ وَثَنَاً يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوْا قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»[٢].

وقد كره الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ وغيره من أهل العلم لأهل المدينة كلَّما دخل أحدهم المسجد، أن يجيء فيسلم على قبر النبي ﷺ

(١) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٢/ ٧٤٤).

(٢) «البيان والتحصيل» (١٨/ ٤٤٤).



وصاحبيه، وقال: إنما يكون ذلك لأحدهم إذا قدم من سفر، أو أراد سفرًا ونحو ذلك(١).

٨ - اعتقاد أن زيارة قبر النبي ﷺ واجبة أو شرط في الحج، كما يظنه بعض الحجاج، بل هي مستحبة في حقِّ من زار مسجد الرسول ﷺ، وليست من مناسك الحج.

٩ - اتفق الأئمة على أنَّه لا يَمَسُّ قبر النبي ﷺ ولا يُقَبِّله، وهذا كله محافظة على التوحيد، فإن من أصول الشرك بالله: اتخاذ القبور مساجد.

قال ابن الحاج رحمه الله «فترى مَن لا علمَ عنده يطوف بالقبر الشريف كما يطوف بالكعبة الحرام، ويتمسَّحُ به، ويُقَبِّله، ويُلقون عليه مناديلَهم وثيابهم؛ يقصدون به التبرُّك، وذلك كلُّه من البدع؛ لأنَّ التبركَ إنما يكون بالاتِّباع له عليه الصَّلاةُ والسَّلام، وما كان سببُ عبادة الجاهلية للأصنام إلَّا من هذا الباب»(٢).

وقال السيوطي رحمه الله «ومن البدع أيضًا:... طوافهم بالقبر الشريف، ولا يحلُّ ذلك، وكذلك إلصاقُهم بطونهم وظهورهم بجدار القبر، وتقبيلُهم إيَّاه بالصُّندوق الذي عند رأس النبي ﷺ، ومسْحُه باليد؛ وكل ذلك مَنهيٌّ عنه»(٣).

٣- مقبرة البقيع:

وهي من الأماكن التي يستحب للقادم للمدينة المنورة أن يزورها،

---

(١) ينظر: «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» (٢/ ٨٨)، «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٢٤١).

(٢) «المدخل» (١/ ٢٦٣).

(٣) «الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع» (ص١٨٥).

وهي مدفن أهل المدينة، وتقع في جنوب شرق المسجد النبوي الشريف.

والمقصود من زيارة الموتى هو الإحسان إليهم بالدعاء لهم، كما كان يفعل رسول الله ﷺ، وتذكر الموت والآخرة، وليس المقصود دعاءهم ولا الاستغاثة بهم، ولا اعتقاد أنَّ دعاء الله في ذلك الموطن هو أحرى بالإجابة[(١)].

عن عطاء بن يسار، عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: كان رسول الله ﷺ - كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ - يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ غَدًا، مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ**»[(٢)].

وهذه المقبرة قد دفن فيها عدد كبير من صحابة رسول الله ﷺ،

---

(١) زيارة القبور تنقسم إلى قسمين: مشروع وممنوع:

فالمشروع ما جاء الإذن به على لسان الشارع بزيارة الرجال لها دون النساء، من غير شدِّ رحل لها، فيدعو المسلم لأهلها، ويستغفر لهم، فيكون هو المحسن إليهم بذلك، مع تذكر الآخرة، وأنَّ هذا مصيره بعد حين، فهذه زيارة مستحبة وقد أذن الشارع بها في قوله ﷺ: «**زُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ**» [أخرجه أبو داود (٣٢٣٤)، والنسائي (٢٠٣٤)، وابن ماجه (١٥٦٩) واللفظ له، وأصله في صحيح مسلم (١٩٧٧) بلفظ: «**زُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ**»].

وأمَّا الممنوع فنوعان: أحدهما: محرم ووسيلة للشرك بالله ﷻ؛ كالتَّمسح بها، والصلاة عندها، والبناء عليها، والغلو فيها، مالم يصل إلى حدِّ العبادة. ونوع هو شرك أكبر - والعياذ بالله - مثل دعاء أهلها، والاستغاثة بهم، وطلب الحوائج منهم كالرزق، والزوج، والولد، ورد الغائب، وتفريج الهموم. وساء في هذا دعاؤه لذاته واعتقاد أنه قادر أو جعله وسيلة بينه وبين الله.

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٤). وسمي «بقيع الغرقد» لغرقد كان فيه، وهو ما عظم من العَوسج.

ومنهم(١):

١- أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

٢- أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنها.

٣- أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها.

٤- أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها.

٥- أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها.

٦- البضعة النبوية فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٧- البضعة النبوية رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٨- إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم.

٩- الحسن بن علي رضي الله عنهما.

١٠- أسعد بن زرارة رضي الله عنه

١١- عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

١٢- أروى بنت كريز رضي الله عنها.

١٣- ريحانة بنت شمعون رضي الله عنها.

١٤- عثمان بن مظعون رضي الله عنه.

١٥- مارية القبطية أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) ينظر في ذلك: «الطبقات الكبرى»، «البداية والنهاية»، «أسد الغابة في معرفة الصحابة»، «الإصابة في تمييز الصحابة».

١٦- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

١٧- ريحانة بنت عمرو رضي الله عنها.

١٨- نوفل بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه.

١٩- أسيد بن الحضير رضي الله عنه.

٢٠- صفية بنت عبد المطلب عمَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢١- العبَّاس بن عبد المطلب عمُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢٢- سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه.

٢٣- أبو هريرة رضي الله عنه.

وغيرهم كثير مما يصعب حصرهم، وجمع من التابعين وتابعيهم من فضلاء الأمة.

كما دفن فيها رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول.

ولا يعلم على جهة التأكيد أين مواقع هذه القبور الآن، وما يتناقله الناس من تحديد لم يرد فيه شيء مقطوع به.

* تنبيه:

مما يحسن في هذا المقام التنبيه على بعض أحكام القبور:

فمن ذلك أنَّ السنة في القَبر أن يرفع عن الأرض قدر شبر، وأن يجعل مُسَنَّمًا لا مُسطَّحًا؛ لما روى البخاري عن سفيان التمار، أنه حدثه: «أنه رأى قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسنمًا».

ولا يُمَيَّز القبر بالكتابة، أو بالتجصيص، أو وضع الرخام، أو البناء عليه.

أخرج مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يُجصص القبر، وأن يُقعد عليه، وأن يبنى عليه»[(١)].

وأخرج مسلم عن ثمامة بن شفي، قال: كنا مع فضالة بن عبيد رضي الله عنه بأرض الروم «برودس»، فتُوفِّي صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبره فَسُوِّي، ثم قال: «سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها»[(٢)].

وأخرج مسلم عن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألَّا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سوَّيته»[(٣)].

قال النووي رحمه الله «قال الشافعي والأصحاب: يكره أن يجصَّص القبر، وأن يكتب عليه اسم صاحبه، أو غير ذلك، وأن يبني عليه، وهذا لا خلاف فيه عندنا، وبه قال مالك، وأحمد، وداود، وجماهير العلماء»[(٤)].

قال ابن القيم رحمه الله «ونهى [ﷺ] عن تجصيص القبر والبناء عليه، كما روى مسلم في صحيحه عن جابر قال: «نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه بناء».

ونهى عن الكتابة عليها، كما روى أبو داود والترمذي في سننهما عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «نهى أن تجصص القبور، وأن يكتب

---

(١) مسلم (٩٧٠).
(٢) مسلم (٩٦٨).
(٣) مسلم (٩٦٩).
(٤) «المجموع» (٥/ ٢٩٨).

عليها»...، وهؤلاء يتخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن وغيره.

ونهى أن يزاد عليها غير ترابها، كما روى أبو داود من حديث جابر أيضاً: أن رسول الله ﷺ: «نهى أن يجصص القبر، أو يكتب عليه، أو يزاد عليه»، وهؤلاء يزيدون عليه - سوى التراب - الآجر والأحجار والجص.

ونهى عمر بن عبد العزيز أن يبنى القبر بأجر، وأوصى ألَّا يفعل ذلك بقبره.

وأوصى الأسود بن يزيد: «أن لا تجعلوا على قبري آجرًا».

وقال إبراهيم النخعي: «كانوا يكرهون الآجُرَّ على قبورهم».

وأوصى أبو هريرة حين حضرته الوفاة: «أن لا تضربوا على قبري فسطاطًا».

وكره الإمام أحمد أن يضرب على القبر فسطاطًا.

والمقصود: أنَّ هؤلاء المعظمين للقبور، المتخذينها أعيادًا، الموقدين عليها السرج، الذين يبنون عليها المساجد والقباب؛ مناقضون لما أمر به رسول الله ﷺ»[1].

وقال ابن الحاج المالكي رحمه الله «وليحذر من هذه البدعة التي اعتادها بعضهم، وهي جعل الرخام على القبور، وهي بدعة، وسرف، وإضاعة مال، وفخر، وخيلاء، وكذلك كل ما حواليه.

وليحذر من أن يجعل على القبر ألواحًا من خشب ...وكذلك يحذر

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ١٩٦).

من أن يجعل عليه درابزين، إذ إنَّ هذا كله من البدع المكروهة في الشرع الشريف.

وقد تقدم صفة القبر على السنة، فكل ما خالفها فهو بدعة مكروهة وإضاعة مال وفخر وخيلاء كما تقدم.

وليحذر مما يفعله بعضهم من نقش اسم الميت، وتاريخ موته على القبر، سواء كان ذلك عند رأس الميت في الحجر المُعلَّم به قبره - وإن كان الحجر من السُّنة على الصفة المتقدمة - أو كان النقش على البناء الذي اعتادوه على القبر مع كون البناء على القبر ممنوعًا - كما تقدم - أو كان في بلاطة منقوشة، أو في لوح من خشب، وأشد من ذلك أن يكون على عمود كان رخامًا أو غيره، والرخام أشد كراهة، وكذلك لو كان العمود من خشب فيمنع أيضًا»[(١)].

وقال الشوكاني ﵀ «ومِنْ رَفع القبور الداخل تحت الحديث دخولاً أوليًا: القُبَبُ والمشاهدُ المعمورة على القبور، وأيضًا هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي ﷺ فاعل ذلك.

وكم قد سَرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام؛ منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفَّار للأصنام، وعَظُم ذلك فظنوا أنَّها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر، فجعلوها مقصدًا لطلب قضاء الحوائج، وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدوا إليها الرِّحال، وتمسحوا بها واستغاثوا.

---

(١) «المدخل» (٣/ ٢٧٢).

ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا تجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف، لا عالمًا، ولا متعلمًا، ولا أميرًا، ولا وزيرًا، ولا ملكًا، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيرًا من هؤلاء المقبورين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يَمينٌ من جهة خصمه حلف بالله فاجرًا، فإذا قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكَّأ وأبى، واعترف بالحق!

وهذا من أبين الأدلة الدَّالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه - تعالى - ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة!!

فيا علماء الدِّين ويا ملوك المسلمين، أيُّ رزء للإسلام أشد من الكفر، وأيُّ بلاء لهذا الدِّين أضر عليه من عبادة غير الله؟»[١].

ومن مفاخر المملكة العربية السعودية: ما تقوم به من حماية التَّوحيد، ومحاربة الشرك ووسائله وصوره، ومن أعظم تلك الوسائل والصور: إزالة القباب والمشاهد المحرمة التي كانت في مقبرة البقيع خاصة، وغيرها من المقابر في أنحاء المملكة كلها.

وإنَّ من نعم الله على أهل الإسلام: هذه البلاد المباركة التي قامت على حماية التوحيد الذي جاءت به الرسل، وإزالة الشرك من أرضها، فلا ترى فيها - ولله الحمد والمِنَّة - قبرًا يعبد، ولا ضريحًا بنيت عليه قُبَّة، ولا مَسجدًا به قبر، ولا ترى فيها مظهرًا من مظاهر الشرك، بل لا يصل إلى ولاة الأمر بخبر وجود قبر يُتردد إليه، أو بئر أو شجر يتبرك بها، أو غير ذلك؛ إلا ويزال.

---

(١) «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار» (٤/ ١٠٢).

قال الشيخ محمد المعصومي - وهو من علماء بُخارى -: «لما تشرفت بمكة المكرمة سنة (١٣٥٣هـ) انشرح قلبي برؤية الكعبة المشرفة - زادها الله تشريفًا وتعظيمًا - ولما شهدتُ توحيد الجماعة في الصلوات الخمس زادني سرورًا؛ لاضمحلال بدعة تعدد الجماعات في هذا المسجد الشريف[1]، وكذا هدم قباب القبور التي كانت من أضرِّ الأشياء على عقيدة المسلمين».

٤- مقبرة شهداء أحد:

وهي من الأماكن التي يستحب زيارتها للقادم للمدينة المنورة، وهي أحد معالم المدينة، وتقع شمال المسجد النبوي، بجوار جبل أُحد.

وقد ثبت أنَّ النبي ﷺ زارهم[2]، فيستحب لمن نزل المدينة أن

---

(١) تكلّم الرحّالة ابن جبير في «رحلته» (ص٧٨) عند مروره بمكة سنة ٥٧٨ هـ، عن وجود أربعة أئمة سنّية للحرم، فأوّلهم إمامةً الشافعيُّ، ويصلي خلف مقام إبراهيم عليه السلام، ثم المالكي ويصلي قِبالة الركن اليماني، ثم الحنفي ويصلّي قِبالة الميزاب، ثم الحنبلي - وصلاته مع المالكي في حينٍ واحدٍ - وموضع صلاته يقابل ما بين الحجر الأسود والركن اليماني. إلا صلاة المغرب يصلونها في وقت واحد مجتمعين لضيق وقتها، قال: «يبدأ مؤذن الشافعي بالإقامة، ثم يقيم مؤذنو سائر الأئمة، وربما دخل في هذه الصلاة على المصلين سهوٌ وغفلة لاجتماع التكبير فيها من كل جهة، فربما ركع المالكي بركوع الشافعي أو الحنفي، أو سلَّم أحدهم بغير سلام إمامه، فترى كل أذنٍ مصيخة لصوت إمامها أو صوت مؤذنه مخافة السهو، ومع هذا فيحدث السهو على كثير من الناس»، قال الشيخ أحمد شاكر ؒ في تعليقه على «سنن الترمذي» (ط١٣٥٧هـ): «بل قد بلغنا أن هذا المنكر كان في الحرم المكي، وأنه كان يصلي فيه أربعة أئمة، يزعمونهم للمذاهب الأربعة، لكننا لم نَرَ ذلك، إذ أننا لم ندرك هذا العهد بتمامه، وإنما حججنا في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (حفظه الله)، وسمعنا أنه أبطل هذه البدعة، وجمع الناس في الحرم على إمام واحد راتب، ونرجو أن يوفّق الله علماء الإسلام لإبطال هذه البدعة في جميع المساجد في البلدان، بفضل الله وعونه، إنه سميع الدعاء». (١/ ٤٣٢).

(٢) أخرج البخاري (٤٠٤٢)، ومسلم (٢٢٩٦) عن عقبة بن عامر ؓ، قال: «صلَّى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثماني سنين، كالمودع للأحياء والأموات». =

يزور تلك المقبرة، ويسلم على من فيها من الصحابة ﭫ، ويدعو لهم، كما يفعل في مقابر المسلمين الأخرى، وليس المقصود دعاءهم، أو الاستغاثة بهم، أو اعتقاد أنَّ دعاء الله في ذلك الموطن هو أحرى بالإجابة.

وقد سميت بهذا الاسم؛ لأنَّه تضم سبعين من الصحابة الكرام الذين استشهدوا في غزوة أُحد، ومنهم[1]:

١- عمُّ النبي ﷺ: حمزة بن عبد المطلب ﭬ.

٢- حنظله بن أبي عامر ﭬ.

٣- مصعب بن عمير ﭬ.

٤- عبد الله بن عمرو بن حرام ﭬ.

٥- عمرو بن الجموح ﭬ.

٦- خارجة بن زيد ﭬ.

٧- سعد بن ربيع ﭬ.

٨- النعمان بن مالك ﭬ.

٩- عبدة بن الحسحاس ﭬ.

= وأخرج أحمد (١٣٨٧)، وأبو داود (٢٠٤٣) - بسند صحيح - عن طلحة بن عبد الله ﭬ، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يريد قبور الشهداء، حتى إذا أشرفنا على حَرَّة وَاقِم فلمَّا تدلَّينا منها، وإذا قبور بِمَحْنِيَّة، قال: قلنا: يا رسول الله، أقبور إخواننا هذه؟ قال: «**قُبُوْرُ أَصْحَابِنَا**»، فلما جِئنا قبور الشهداء، قال: «**هَذِهِ قُبُوْرُ إِخْوَانِنَا**». وصححه ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٠/ ٢٤٥). وحرَّة واقم: هي حَرَّة المدينة الشرقية. وقوله: (بِمَحْنِيَّة) هو حيث ينعطف الوادي، وهو منحناه أيضًا، ومحاني الوادي: معاطفه .ينظر: «الصحاح» (٦/ ٢٣٢١).

(١) ينظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٢٢).

١٠- مالك بن سنان رضي الله عنه.

١١- شماس بن عثمان المخزومي رضي الله عنه.

١٢- سهل بن قيس رضي الله عنه.

١٣- عمرو بن معاذ رضي الله عنه.

١٤- عبد الله بن جبير بن النعمان رضي الله عنه.

١٥- عمرو بن معاذ بن النعمان رضي الله عنه.

١٦- الحارث بن أنس بن رافع رضي الله عنه.

١٧- عمارة بن زياد بن السكن رضي الله عنه.

١٨- سلمة بن ثابت بن وقش رضي الله عنه.

١٩- عمرو بن ثابت بن وقش رضي الله عنه.

٢٠- رفاعة بن وقش رضي الله عنه.

٢١- اليمان أبو حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، قتله المسلمون خطأ.

٢٢- صيفي بن قيظي رضي الله عنه.

٢٣- الحباب بن قيظي رضي الله عنه.

٢٤- عباد بن سهل رضي الله عنه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله «ويستحب أيضًا زيارة قبور أهل البقيع، وشهداء أحد؛ للدّعاء لهم والاستغفار؛ لأنَّ النبي ﷺ كان يقصد ذلك»[(١)].

قال العلامة محمد العثيمين رحمه الله «وإن أحب أن يأتي أُحُدًا، ويتذكر

(١) «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٤٧١).

ما جرى للنبي ﷺ وأصحابه في تلك الغزوة من جهاد وابتلاء وتمحيص وشهادة، ثم يسلِّم على الشهداء هناك؛ مثل: حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، عمِّ النبي ﷺ فلا بأس بذلك، فإن هذا قد يكون من السَّير في الأرض المأمور به»[(١)].

٥- مسجد قباء:

وهو أول مسجد بني في الإسلام كما تقدم، ويقع في جنوب المدينة، ويبعد عن المسجد النبوي حوالي (٥ كم)، ويستحب زيارته والصلاة فيه لمن كان بالمدينة.

وكان لهذا المسجد منزلة خاصة عند رسول الله ﷺ، فكان يخصه بالزيارة كل أسبوع.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يأتي مسجدَ قباء كلَّ سبتٍ ماشيًا وراكبًا»[(٢)].

بل رتَّب ﷺ على زيارته الأجر الوفير بالعمل اليسير.

فعن سهل بن حنيف رضي الله عنه، قال: رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَطَهَّرَ فِيْ بَيْتِهِ ثُمَّ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءَ فَصَلَّى فِيْهِ صَلَاةً، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ عُمْرَةٍ**»[(٣)].

وليس بالمدينة مسجد يشرع إتيانه - مع مسجد رسول الله ﷺ - إلا مسجد قباء.

---

(١) «المنهج لمريد العمرة والحج» (ص٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (١١٩٣)، ومسلم (١٣٩٩)

(٣) أخرجه أحمد (١٥٩٨٠)، والنسائي (٧٨٠)، وابن ماجه (١٤١٢)، واللفظ له، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ١٨٧).

وأما سائر المساجد في المدينة فلها حكم المساجد الأخرى، فلم يخصها النبي ﷺ بشيء[١].

وبهذا يعلم أن الأماكن التي يستحب شرعًا زيارتها في المدينة خمسة مواضع اتباعًا لسنته ﷺ.

قال ابن وضاح رحمه الله: «وكان مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار للنبي ﷺ ما عدا قُباء وأحد... فعليكم بالاتباع لأئمة الهدى المعروفين؛ فقد قال بعض من مضى: كم مِن أمر هو اليوم معروف عند كثير من الناس كان منكرًا عند من مضى، ومُتَحبَّب إليه بما يبغضه عليه، ومتقرب إليه بما يبعده منه، وكل بدعة عليها زينة وبهجة»[٢].



(١) من المساجد التي يخصصها البعض بالزيارة: مسجد الغمامة، ومسجد القبلتين، والمساجد السبعة، وغيرها، فهذه لا يشرع زيارتها تعبدًا.

(٢) «البدع والنهي عنها» لابن وضَّاح (ص٨٨).



زيارة الأماكن التي لم يزرها النبي ﷺ

جماعُ الدِّين أمران[١]:

أحدهما: ألا نعبد إلا الله تعالى، وهذا هو تحقيق شهادة ألا إله إلا الله.

والثاني: أن نعبده بما شرع وهذا هو تحقيق شهادة أنَّ محمدًا رسول الله.

فالعبادة لا تكون إلا لله ﷻ، فلا يصلي العبدُ إلا لله، ولا يصوم ولا يحج إلا لله، ولا يتوكل إلا على الله، ولا يخاف إلا من الله، ولا ينذر إلا لله، ولا يحلف إلا بالله[٢].

وليس لأحد أن يعبد الله إلا بما شرعه رسوله ﷺ، فلا يعبده بالأمور المبتدعة.

قال الشاطبي رحمه الله: «قد ثبت النقل بأنه لا يقرِّب إلى الله إلا العمل بما شرع، وعلى الوجه الذي شرع...، وأن البدع تحبط الأعمال»[٣].

---

(١) ينظر: «مجموع الفتاوى» (١/ ٨٠)، «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» (ص١١٨)، «معارج القبول» (٢/ ٥١١). «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة»

(٢) أخرج أحمد (٦٠٧٢)، والترمذي (١٥٣٥)، وأبو داود (٣٢٥١) - بسند صحيح - من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»، قال ابن عبد البر رحمه الله: «لا يجوز الحلف بغير الله ﷻ في شيءٍ من الأشياء، ولا على حال من الأحوال، وهذا أمر مُجتمعٌ عليه». «التمهيد» (١٤/ ٣٦٦).

(٣) «الاعتصام» (١/ ٢٠٧).

والبدعة: هي كل ما أحدث في الشرع بغير دليل[(١)].

قال النبي ﷺ: «**وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[(٢)].

فقد أُمرنا بالاتباع ونهينا عن الابتداع، وذلك لكمال الدين الإسلامي، والاغتناء بما شرعه الله تعالى ورسوله ﷺ، وتلقاه أهل السنة والجماعة بالقبول، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

وقال ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[(٣)].

وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، كما أن حديث: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»[(٤)] ميزان للأعمال في باطنها.

فكما أنَّ كل عمل لا يراد به وجهَ الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب ولا أجر، فكذلك كلُّ عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله، فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدِّين ما لم يأذن به الله ورسوله، فليس من الدِّين في شيء، بل هو زيادة على ما شرعه الله ﷻ ورسوله ﷺ.

قال ابن حجر ؒ في تعليقه على حديث: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»: «هذا الحديث معدود من أصول الإسلام، وقاعدة من قواعده، فإنَّ معناه: من اخترع في الدِّين ما لا يشهد له أصل من

---

(١) ينظر: «الاعتصام» (١/ ٥٩)، «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٨٢)، «جامع العلوم والحكم» (٢/ ١٢٨)، «فتح الباري» (١٣/ ٢٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٧٧)، ومسلم (٨٦٧) واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٤) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

أصوله فلا يلتفت إليه»[١].

إذا تبين لك ذلك: فإنَّ هناك أماكنَ يقصدها بعض الزوار ليس لزيارتها أصلٌ شرعي، وتَشغل الزَّائر عن المقصد الأساس لِمقْدَمِه لمدينة رسول الله ﷺ، وهو الإكثار من الصلاة في مسجده، ولزومه، وذكر الله فيه، مع الاستفادة مِمَّا يعقد فيها من حِلق العلم والذكر.

فهذه الأماكن إن قصدها الزائر تقرُّبًا إلى الله، واعتقاد أن زيارتها من دين الله، فلا شك أنه لم يُصب في ذلك، بل زاد في دين الله ما لم يأتِ به النبي ﷺ، وليست مما يقرب إلى محبة الله ومحبة رسوله ﷺ؛ لأنَّ محبة الله لا ينالها العبد إلا بصواب عمله، وصواب العمل لا يكون إلا بشرطين[٢]:

الأول: الإخلاص لله ﷻ.

والثاني: المتابعة للرسول ﷺ.

شرط قبول السعي أن يجتمعا	فيه إصابة وإخلاص معًا
لله رب العرش لا سواه	موافق الشرع الذي ارتضاه[٣]

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلك: ٢].

---

(١) «فتح الباري» (٥/ ٣٠٣).

(٢) ينظر: «إغاثة اللهفان» (١/ ٨)، «الروح» (٢/ ٣٩٨)، «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٧٦)، «فتح ذي الجلال والإكرام شرح بلوغ المرام» (٢/ ٥)،

(٣) «معارج القبول» (٢/ ٦٠٢).

قال ابن كثير رحمه الله: «لم يقل أكثر عملاً، بل: ﴿أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾ [هُود: ٧]، ولا يكون العمل حسنًا حتى يكون خالصًا لله عز وجل، على شريعة رسول الله ﷺ، فمتى فَقَد العمل واحدًا من هذين الشرطين حبط وبطل»(١).

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [المُلك: ٢]، قال: «أخلصه وأصوبه»، قالوا: يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: «إذا كان العمل خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل؛ حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة»(٢).

ومتابعة الرسول الله ﷺ لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقًا للشريعة في أمور ستة: سببه، وجنسه، وقدره، وكيفيته، وزمانه، ومكانه، فإذا لم توافق الشريعة في هذه الأمور الستة فهو باطل مردود، لأنه أحدث في دين الله ما ليس منه.(٣):

الأول: السَّبَب، فإذا تعبد الإنسان لله عبادة مقرونة بسبب ليس شرعيًّا فهي مردودة على صاحبها.

مثالها: رجل يُحيي ليلة السابع والعشرين من رجب بحجة أنَّها الليلة التي عرج فيها برسول الله ﷺ.

فالتهجد عبادة وسنة، ولكن لما قرن بهذا السبب كان بدعة، لأنه

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٧٤).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٢٤).
(٣) ينظر: «الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع» (ص٢١)، «شرح الأربعين النووية» (ص٩٨).

بَنى هذه العبادة على سبب لم يثبت شرعًا. وهذا أمر مهم يتبين به ابتداع كثير ممن يظن أنه من السنة، وليس من السنة.

ومن الأمثلة كذلك: المولد النبوي، فإن هذا السبب لم يشرع، ولم يفعله النبي ﷺ، ولا الصحابة، ولا القرون المفضلة، وإنما حدث متأخرًا عن القرون الفاضلة، بل لم يعرف إلا في القرن الرابع.

الثاني: الجِنْس، فلا بد أن تكون العبادة موافقة للشرع في جنسها، فلو تعبد إنسان لله بعبادة لم تشرع في جنسها، فهي غير مقبولة.

ومثال ذلك: أن يُضَحِّي رجل بفرس، فلا تصح أضحيته، لأنه خالف الشريعة في جنسها، فالأضاحي لا تكون إلا من بهيمة الأنعام: الإبل، والبقر، والغنم.

الثالث: القَدْر، فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة على أنها فريضة، فيقال له: هذه بدعة غير مقبولة، لأنها مخالفة للشرع في القَدْر، ومن باب أولى لو أنَّ الإنسان صلَّى الظهر مثلًا خمسًا، فإن صلاته لا تصح بالاتفاق.

الرابع: الكيفيَّة، فلو أن رجلًا توضأ، فبدأ بغسل رجليه، ثمَّ مسح رأسه، ثم غسل يديه، ثم وجهه، فيقال له: وضوؤك باطل؛ لأنه مخالف للشرع في الكيفية.

الخامس: الزَّمَان، فلو أنَّ رجلًا ضَحَّى في أول أيام ذي الحجة، فلا تقبل الأضحية لمخالفة الشرع في الزمان.

السادس: المَكَان، فلو أن رجلًا اعتكف في غير مسجد، فإنَّ اعتكافه لا يصح، وذلك لأنَّ الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد، ولو

قالت امرأة: أريد أن أعتكف في مُصلَّى البيت فلا يصح اعتكافها، لمخالفة الشرع في المكان .

لذا: فليسأل الزائر نفسه قبل أن يُقدم على ذلك، هل هذا العمل مما يحبه الله ورسوله وشرعاه، أم لا؟

وعليه: فهذه الأماكن إن قصدها معتقدًا فضيلتها؛ فلا شك أنه لم يُصب في ذلك، بل زاد في دين الله ما لم يأتِ به النبي ﷺ؛ وهذه الزيارة ليست مما يُقرِّب إلى محبة الله ومحبة رسوله ﷺ.

وأمَّا إن كانت الزيارة لأجل التَّعرف على الأماكن التأريخية في المدينة، فإنَّ هذا مباح في الجملة، وقد يكون من السَّير في الأرض المأمور به، بشرط ألا يصاحبها مظهر من مظاهر التعظيم، أو المشقة على النَّفس بصعود شاهق، أو تكلف سفر بعيد، وألَّا تكون مُشغِلة لزائر المدينة النبوية عن المقصد الأساس لزيارته بكثرة الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، والانشغال بالطاعات فيه.






تاريخ عمارة المسجد النبوي وتوسعاته(١)

قدم النبي ﷺ المدينة فنزل أعلى المدينة في حي يقال لهم: «بنو عمرو بن عوف»، فأقام النبي ﷺ فيهم أربع عشرة ليلة، ثم أمر ببناء المسجد بعد أن اشترى حائطًا من بني النجار، فيه قبور المشركين، وفيه خرب، ونخل، فأمر النبي ﷺ بقبور المشركين، فنبشت، ثم بالخرب فسويت، وبالنخل فقطِّع، فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه الحجارة(٢)، وكانت مساحته سبعين ذراعًا في ستين ذراعًا من الجنوب إلى الشمال.

ثم زاد النبي ﷺ فيه أربعين ذراعًا في العرض وثلاثين في الطول بعد غزوة خيبر في السنة السابعة للهجرة، فصار المسجد مربَّعًا: مائة ذراع في مائة ذراع من الجنوب إلى الشمال، ومن الشرق والغرب.

ثم زاد في المسجد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة ١٧هـ، خمسة أمتار في الغرب، فصارت مساحة المسجد طولاً من الجنوب إلى الشمال مائة وأربعين ذراعًا، وعرضه من الشرق إلى الغرب مائة وعشرين ذراعًا.

---

(١) ينظر: «التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة»، «مجلة الجامعة الإسلامية» العدد [٤٦]، «عمارة المسجد النبوي منذ إنشائه وحتى العهد المملوكي»، «عمارة المسجد النبوي في العهد المملوكي»، «عمارة المسجد النبوي - دراسة جديدة»، «تاريخ المسجد النبوي الشريف».

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٨) ومسلم (٥٢٤).

ثم زاد فيه أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﵁ رواقًا في القبلة حتى بلغ جداره اليوم الغرب والشمال، وجعل طوله مائة وستين ذراعًا، وعرضه مائة وخمسين ذراعًا.

ثم زاد فيه الوليد بن عبد الملك بن مروان وأدخل فيه حُجرات أمهات المؤمنين بعد أن هدمها، وكانت زيادته في الشرق والغرب والشمال، فبلغت مساحة المسجد بعد زيادة الوليد مائتي ذراع طولاً، وعرضه في المقدمة مائتي ذراع، وفي المؤخرة مائة وثمانين ذراعًا.

وفي سنة ١٦١ هـ زاد في المسجد محمد المهدي العباسي في الجهة الشمالية فقط، فصار طوله ثلاثمائة ذراع وعرضه مائة وثمانين ذراعًا.

واحترق المسجد النبوي الشريف في عهد الخليفة المستعصم سنة ٦٥٤هـ، ولمَّا علم الخليفة بذلك رغب بإصلاح المسجد وإعادة إعماره، وأرسل الأموال اللازمة لذلك، ولكن البناء لم يتم بسبب غزو التتار وسقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ.

فتولَّى الأمر بعد ذلك السلاطين المماليك في مصر، فتمت عملية البناء والترميم سنة ٦٦١هـ، وعاد المسجد إلى ما كان عليه قبل الحريق.

ثم احترق المسجد النبوي مرة أخرى سنة ٨٨٦هـ، فرفع الأمر للسلطان قايتباي، فأرسل بالأموال والصناع والمواد اللازمة، وأمر بإعمار المسجد، وقد امتدت العمارة حتى رمضان من سنة ٨٨٨ هـ.

وظل المسجد على حاله حتى عام ١٢٦٥هـ، عندما ظهرت تشققاتٌ على بعض جدرانه وقبابه وسقفه، فكتب شيخ الحرم إلى السلطان عبد

المجيد، الذي أمر بتجديد عمارة المسجد بكامله، واستمرت أعمال البناء والزخرفة إلى عام ١٢٧٧هـ.

وبعد أن ضمَّ الملك عبد العزيز آل سعود ﵀ الحجاز إلى مُلكه، واستتبَّ الأمن في الحرمين الشريفين، وأصبح الوصول إليهما آمنًا[1]، كثر عدد الحجاج والمعتمرين والزائرين، فضاق بهم المسجد النبوي الشريف، فضلاً عن ظهور تصدعات جديدة في جدرانه وأعمدته، فأعلن في بيان للعالم الإسلامي عزمه على عمارة المسجد النبوي الشريف وكان ذلك عام ١٣٦٨هـ.

ثم توالى أبناؤه الملوك من بعده في الاهتمام بعمارة المسجد النبوي الشريف وتوسعته، وزيارته كل عام وتفقد أحواله.

---

(١) كانت الحياة في جزيرة العرب قبل توحيدها على يد الملك عبد العزيز آل سعود ﵀ مأساة حقيقية بسبب فقد الأمن، وحسبك أن تعلم أنَّ كل بلدة لها سور تتسور به من أعدائها الذين هم جيرانها وقد يكونوا أبناء عمومتهم! وكان السفر والتنقل بين الديار وخاصَّة لمكة والمدينة من إلقاء النفس إلى التهلكة بسبب قطَّاع الطرق الذي يجوسون الديار، ويتربصون بأصحاب القوافل شرًا لسلبهم ونهبهم! فأبدلهم الله بعد خوفهم أمنًا، وبعد فقرهم غنى، وبعد تشرذمهم اجتماعًا، وبعد تنافرهم محبة، وبعد حربهم سلمًا. فلله الحمد من قبل ومن بعد، ورحم الله الملك المؤسس، وجزاه خير الجزاء.

قال الأمير شكيب أرسلان: «حدثني بعض الأشراف الهاشميين من أولاد أمراء مكة أنفسهم أنهم كانوا في القرى التي لهم حول الطائف يوصدون أبوابها ليلاً، ولا يفتحونها لأي طارق خِيفَة الغِيلة، وحذراً من سطو اللصوص، حتى جاء هذا العهد السعودي فصاروا يأمنون أن يبيتوا وأبوابهم مفتحة، وصاروا يفتحون لأي طارق جاءهم.

وحدثني الجميع أنهم كانوا لا يقدرون على التجوال إلا مسلحين، فأصبح الآن كلُّ إنسان يجول في الحواضر والبوادي أعزل لا يحمل شيئاً ولا السكين، وقد يكون حاملاً الذهب ولا يخشى عادية ولا حادثة، وكثيراً ما يترك الناس أوقار دوابهم في قارعة الطريق وتبقى أياماً وليالي إلى أن يعود أصحابها فيأخذوها ولا يتجرأ أحد أن ينظر إليها». «الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف» (ص١٨٧)

عناية المملكة العربية السعودية بالمسجد النبوي

أسس الملك عبد العزيز ﵀ هذا الكيان العظيم - المملكة العربية السعودية - على الكتاب والسنة، وجعلهما مصدر التشريع والتحاكم والتقاضي فيها، فكانت دولة إسلامية عصرية، تأخذ بأسباب التقدم مع الاستمساك بأصولها التي قامت عليها.

وكان من أهمِّ أولوياته ﵀ العناية والاهتمام بمكة المكرمة والمدينة المنورة، فتبنَّى ﵀ منهجًا واضحًا سار عليه في الاهتمام بهاتين المدينتين المقدستين، وسار على ذلك أبناؤه البررة من بعده، باذلين قصارى الجهد في خدمتها وتطويرها، وتيسير سبل الحياة فيها، وتسهيل قدوم المسلمين إليها من كل أصقاع الأرض، وتوفير مقتضيات الأمن والسلامة لهم، وعمارة المسجدين بما يليق بهما حسًا ومَعْنًا.

لقد جعل ولاة أمر هذه البلاد المباركة خدمة الحرمين الشريفين أعظم مقاصدهم، وأجل مطالبهم، وكان التنصيص على إعمارهما وخدمتهما وتوفير الأمن لقاصدهما أحد مواد النظام الأساسي للحكم في هذه البلاد[١]، وأقوالهم وأفعالهم تنطق بأنهم يتشرفون بخدمة هاتين

(١) نصَّت المادة الرابعة والعشرون من النظام الأساسي للحكم - وهو يقابل الدستور في الدول الأخرى - على ما يلي: «تقوم الدولة بإعمار الحرمين الشريفين، وخدمتهما، وتوفر الأمن والرعاية لقاصديهما، بما يمكن من أداء الحج والعمرة والزيارة بيسر وطمأنينة»

المدينتين المقدستين[١].

وهذا الأمر نابع من عقيدة راسخة تلقاها ملوك هذه البلاد من الملك المؤسس ﷺ، في الاهتمام بهاتين المدينتين المقدستين، وصيانتهما من كل ما يشوب صفو مرتاديهما في دينهم وأمنهم، ويعكِّر عليهم روحانيتهم فيها.

وأعظم روحانية يجدها قاصدهما أنه يجد راية التوحيد قائمة، فلا يجد الزائر لهاتين المدينتين المقدستين مظهرًا من مظاهر الشرك أو البدع فيهما، ولله الحمد.

كما أنَّ من دخلهما شَعَرَ بأمنٍ وأمانٍ، مما يفرِّغه لما أتى من أجله من العبادة والتأله لله ﷻ.

والمسجد النبوي الشريف قد حظي - ولا زال - بعناية فائقة واهتمام بالغ من ولاة أمر هذه البلاد، منذ توحيدها على يد الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ﷺ، ومرورًا بأبنائه الملوك الذين تقلدوا مقاليد الأمور في المملكة العربية السعودية: سعود، ثم فيصل، ثم خالد، ثم فهد، ثم عبد الله ﷺ، وإلى هذا العهد الزاهر عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز - أعزه الله ونصره - كلهم تعاقبوا على البذل بسخاء لخدمة هذا المسجد الشريف،

(١) قال خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز - أيده الله وأعزَّه - في حفل افتتاح بعض المشاريع في المدينة المنورة: «يشرفني دائماً ومن كان من قبلي من إخوتي ومن والدنا عبد العزيز أن نكون خُدامًا للحرمين الشريفين، نحن وشعبنا في بلادنا كُلنا خُدام للحرمين الشريفين». «جريدة أم القرى» [العدد ٤٦٩٨] بتاريخ ٢١/ ٢/ ١٤٣٩هـ.

وتوسيع مساحته، وتزويده بمختلف الخدمات التي تليق به، وتسهل على المصلين والزوار ما قدموا من أجله من الطاعات.

وقد كان من أولويات الملك عبد العزيز ﵀ توسعة المسجد النبوي الشريف، وأعلن ذلك في خطاب رسمي عام ١٣٦٨هـ عن عزمه على توسعته، ومنذ ذلك الحين وقادة هذه البلاد يتعاهدون المسجد النبوي الشريف بالعناية والتوسعة فكانت التوسعة الأولى والثانية والثالثة؛ فنسأل الله أن يضاعف لهم الأجر، وأن يبارك في أعمالهم، وأن يوفقهم لكل خير.

ويواصل خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز - حفظه الله - هذه المسيرة العطرة في الاهتمام بالحرمين الشريفين، وخدمة الحجَّاج، وزوار المسجدين الشريفين، ففي كل محفل يؤكد - أيده الله - أهمية الحرص على متابعة العمل في مشروعات التوسعة بالحرمين الشريفين التي تصب جميعها في خدمة الإسلام والمسلمين، لاسيما حجاج بيت الله الحرام، وزوار مدينة الرسول ﷺ، وتقديم الرعاية التامة لهما.

ولم تقتصر رعاية المسجد النبوي الشريف على جانب العمارة الحسية فقط، بل إنَّ عمارة المسجد النبوي الشريف معنويًا بحلق القرآن والتحفيظ وتعليم العلوم الشرعية مما يبهج قلوب أهل الإسلام، فينعم الزائر بالطمأنينة والأمان، وتعلم ما ينفعه في دينه من توحيد وعبادات.

كما أن رعاية المسجد النبوي الشريف في جانب النظافة أمر لا تخطئه العين، ويكفي أن يُعلم أن من يقوم على نظافة وصيانة هذا

المسجد الشريف يزيد على ألف وخمسمائة عامل[١]؛ ليكون هذا المسجد النبوي الشريف في أعلى مقامات النظافة الحِسَّية؛ ولتتفرغ للعبادة والصلاة التي شَدَدَّت الرِّحال من أجلها.



(١) تصريح مدير إدارة النظافة والسجاد بالمسجد النبوي الشريف في جريدة الجزيرة، بتاريخ (٥/ ٩/ ١٤٣٧هـ).




وصايا عامَّة

وهذه ست وصايا أختم بها:

الوصية الأولى: إنَّ أعظم الوصايا وأجلها: الوصية بتقوى الله ﷻ، فهي وصية الله للأولين والآخرين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [النِّسَاء: ١٣١].

وحقيقة التقوى: العمل بطاعة الله، على نور من الله، رجاء ثواب الله، وترك معاصي الله، على نور من الله، مخافة عذاب الله[(١)].

«فكل مَن تدبر موارد التقوى في كتاب الله ﷻ وفي سنة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام علم أنها سبب كل خير في الدنيا والآخرة... فالتقوى رأس كل خير، ومفتاح كل خير، وسبب كل خير في الدنيا والآخرة، وإنما تأتي المصائب والبلايا والمحن والعقوبات بسبب الإهمال أو الإخلال بالتقوى وإضاعتها، أو إضاعة جزء منها، فالتقوى هي سبب السعادة والنجاة وتفريج الكروب والعز والنصر في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطَّلَاق: ٢-٣]، قال بعض السلف: هذه الآية أجمع آية في كتاب

---

(١) **ينظر:** «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٦٠١). قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا: «فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بتروٍّ من العلم والاتباع، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله، لا ليقال: فلان تارك للمعاصي بنور الفقه، إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها، ويكون الترك خوفًا من الله، لا ليمدح بتركها، فمن داوم على هذه الوصية، فقد فاز».

الله، أو قال: من أجمع آية في كتاب الله، وما ذاك إلا لأن الله رتب عليها خير الدنيا والآخرة، فمن اتقى الله جعل له مخرجًا من مضائق الدنيا ومضائق الآخرة، والإنسان في أشد الحاجة، بل في أشد الضرورة إلى الأسباب التي تخلِّصه من المضائق في الدنيا والآخرة، ولكنه في الآخرة أشد حاجة وأعظم ضرورة، وأعظم الكربات وأعظم المضائق كربات يوم القيامة، وشدائدها، فمن اتقى الله في هذه الدار فرَّج الله عنه كربات يوم القيامة، وفاز بالسعادة والنجاة في ذلك اليوم العظيم العصيب، فمن وقع في كربة من الكربات فعليه أن يتقي الله في جميع الأمور؛ حتى يفوز بالفرج والتيسير، فالتقوى باب لتفريج كربة العسر، وكربة الفقر، وكربة الظلم، وكربة الجهل، وكربة السيئات والمعاصي، وكربة الشرك والكفر إلى غير ذلك»[١].

الوصية الثانية: قد حضرت - يا عبد الله - إلى هذه المدينة المباركة من بلاد بعيدة، وتحمَّلت مشقة السفر، وأنفقت الأموال الكثيرة تبتغي الأجر والثواب من الله تعالى، فحافظ على أوقاتك، واشْغلها بالعبادة والتقرب إلى الله ﷻ وخاصة بالصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، والذكر، والدعاء، والاستغفار، والصدقة، وغير ذلك من أنواع العبادات والقربات، وحافظ على صلاة الجماعة في المساجد، فصلاة الجماعة تزيد على صلاة المنفرد أضعافًا كثيرة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**صَلَاةُ الجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً**»[٢].

---

(١) من كلام سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز رحمه الله بتصرف، ينظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٢٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٥) ومسلم (٦٥٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ثم اعْرف لمدينة رسول الله ﷺ حقَّها، فإن تعظيمها من تعظيم رسول الله ﷺ[١]، فليكن الأدب فيها قرينك، وإياك ظلم نفسك بالمعاصي أو ظلم غيرك من عباد الله بتجاوزحقوقهم.

الوصية الثالثة: إنَّ محبَّة رسول الله ﷺ وتوقيره وتعظيمه عبادةٌ يتقرب بها إلى الله ﷻ، وهذه المحبة إيمان، وهي تكون بالقلب واللسان والجوارح:

فمحبته بالقلب تقتضي تقديم محبَّته ﷺ على النَّفس والوالد والأهل والولد وجميع الخلق، كما قال ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِه، وَالنَّاسِ أَجْمَعِين**»[٢].

وتقتضي استشعار هيبته، والشوق لرؤيته، وحُبُّ ما يُحِبُّ ومَن يُحب، وكُرْه ما يكره ومَنْ يكره، ومعرفة سيرته ﷺ، وتدبرها.

ومحبته باللسان تعني: التأدُّب عند ذكره ﷺ، فلا يذكر باسمه مجردًا، بل يُوصف بالنبوَّة أو الرسالة فقد وصف الرسول ﷺ من لا يصلِّي عليه عند ذكره بالبخيل[٣].

ومن ذلك: كثرة الصَّلاة عليه، وترديد الأذكار والأدعية التي قالها ﷺ، ونشر سنته، وتعليمها للناس، وتذكيرهم بحقوقه ﷺ.

ومحبته بالجوارح تعني: العمل بسنته، والاقتداء والاهتداء بهديه ظاهرًا وباطنًا.

---

(١) ينظر: «شعب الإيمان» للبيهقي (٣/ ١١٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٤)، ومسلم (٤٤)، واللفظ له.

(٣) أخرج أحمد (٢٥٨)، والترمذي (٣٥٤٦) والنسائي (٩٨٠٢) - بإسناد صحيح - عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، ثُمَّ لَمْ يُصَلِّ عَلَيّ**». ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن ذلك: أنه أخبر أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن حقه أنه يجب أن يؤثره العطشان بالماء، والجائع بالطعام، وأنه يجب أن يُوقَّى بالأنفس والأموال، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [التوبة: ١٢٠].

ومن حقه أن يكون أحبَّ إلى المؤمن من نفسه وولده وجميع الخلق، كما دل على ذلك قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٤] إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآية [التوبة: ٢٤] مع الأحاديث الصحيحة المشهورة كما في الصحيح من قول عمر رضي الله عنه: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال: «**لا يَا عُمَر حَتَّى أَكُوْنَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**» قال: فأنت والله يا رسول الله أحب إلي من نفسي، قال: «**الآنَ يَا عُمَر**»[(١)].

ومن ذلك: أن الله أمر بتعزيره وتوقيره فقال: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩]، والتَّعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه، والتَّوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار.

ومن ذلك: أنه خصه في المخاطبة بما يليق به فقال: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]، فنهى أن يقولوا: يا محمد، أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، ولكن يقولوا: يا رسول الله، يا نبي الله.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٣٢).

ومن ذلك: أنه حرَّم التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذن، وحرَّم رفع الصوت فوق صوته، وأن يجهر له بالكلام كما يجهر الرجلُ للرجل، وأخبر أن ذلك سبب حبوط العمل.

ومن ذلك: أنه حرَّم على الأمَّة أن يؤذوه بما هو مباح أن يعامل به بعضهم بعضًا تمييزًا له؛ مثل نكاح أزواجه من بعده، وأوجب على الأمَّة لأجله احترام أزواجه وجعلهن أمهات في التحريم والاحترام.

ومن كرامته المتعلقة بالقول: أنه فرق بين أذاه وأذى المؤمنين فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزَاب: ٥٧-٥٨].

ومن ذلك: أن الله رفع له ذكره فلا يذكر الله سبحانه إلا ذكر معه، ولا تصحُّ للأمة خُطبة ولا تشهد حتى يشهدوا أنه عبده ورسوله، وأوجب ذكره في كل خُطبة، وفي الشَّهادتين اللتين هما أساس الإسلام، وفي الأذان الذي هو شعار الإسلام، وفي الصلاة التي هي عماد الدين إلى غير ذلك من المواضع»[1] ﷺ.

وحُرْمته ﷺ وتوقيره وتعظيمه مستمر بعد موته ﷺ عند ذكره، وسماع حديثه.

قال أبو إبراهيم التَّجِيبي: «واجب على كل مؤمن متى ذكره، أو ذُكر عنده أن يخضع ويخشع، ويتوقَّر، ويسكن من حركته، ويأخذ في هيبته

---

(١) «الصارم المسلول على شاتم الرسول» (٣/ ٨٠١) بتصرف.

وإجلاله؛ بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه، ويتأدب بما أدبنا الله به،... وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح، وأئمتنا الماضين رضي الله عنهم»(١).

الوصية الرابعة: إنَّ تعظيم رسول الله ﷺ من شعب الإيمان العظيمة، وهي منزلة فوق منزلة المحبة، وهي من الأمور التي يُتعبَّد بها لله جل وعلا.

والعبادة - كما قدمنا - مبناها على أمرين: إخلاص العبادة لله جل وعلا، وألا يُعبد إلا بما شرع، وهذا هو حقيقة شهادة التوحيد: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)، فكلُّ تعظيم لم يأتِ به الشارع فليس من التعظيم المشروع، وإنما هو إحداث في الدِّين بما لم يأذن الله به.

وأعظم صور تعظيم الرسول ﷺ المشروعة: اتِّباعه بما جاء به من توحيد الله جل وعلا، وصرف العبادة كلها لله جل وعلا، والعمل بسنته في دقيق الأمور وجليلها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «تعظيم الرسل بتصديقهم فيما أخبروا به عن الله، وطاعتهم فيما أمروا به، ومتابعتهم ومحبتهم وموالاتهم، لا التكذيب بما أرسلوا به، والإشراك بهم، والغلو فيهم، بل هذا كفر بهم وطعن فيهم ومعاداة لهم»(٢).

---

(١) «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» (٢/ ٤٠).

(٢) «الرد على الأخنائي» (ص١٢٢). والغلو: هو مجاوزة الحدِّ في مدح الشيء أو ذمه، وضابطه تعدي ما أمر الله به، والمقصود به هاهنا: الإفراط في تعظيم الصالحين بالقول والاعتقاد، وهو أصل الشرك في القديم والحديث، بل هو سبب أول شرك وقع في الأرض، كما أخرج البخاري (٤٩٢٠) عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نُوح: ٢٣]، قال: «أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها =

ومن ذلك: اعتقاد تفرد الله ﷻ بالربوبية: فهو الخالق، وهو الرازق، وهو المحيي، وهو المميت، وهو المعزُّ، وهو المذل.

ومن أقرَّ أنه لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا نافع إلا الله: وجب عليه أن يقرَّ أن العبادة - بجميع أنواعها - لا تكون إلا لله ﷻ، فلا يُدعى إلا الله، ولا يستغاث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا تذبح النذور ولا تقرَّب القرابين إلا له ﷻ.

والله ﷻ له الأسماء الحسنى والصفات العُلى، نؤمن بها كما وردت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الصحيحة على ظاهرها، وما تدلُّ عليه ألفاظها من المعاني، ولا نؤولها عن ظاهرها.

وصفاته ﷻ لا تشبه صفات المخلوقين، تعالى عن النِّدِّ والنَّظير.

ومن ذلك: معرفة هديه ﷺ في العبادات ليقيمها المسلم على الوجه المشروع، فيعرف أحكام الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج، وما يحتاجه من أحكام المعاملات، وجماع ذلك تعلم العلم النافع.

= بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت». ومن صور الغلو في الصالحين: وضع التماثيل لهم، واتخاذ قبورهم مساجد، والبناء على قبورهم، وإسراجها بالسرج والقناديل، وغير ذلك من الصور.

فليس من محبته وتوقيره ﷺ: الغُلوُّ فيه برفعه فوق منزلته التي أنزله الله إياها، وهو القائل: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ**».

وهذا الغلو يوجد شيء منه في أشعار المادِحين لسيد المرسلين ﷺ، الذين جاوزوا الحدَّ في مدحه ﷺ، وعصوه في نهيه من الغلو فيه، وإطرائه كما أطرت النصارى ابن مريم، وصار حظهم منه ﷺ هو مدحه بالأشعار والقصائد، والغلو الزائد، مع عصيانهم له في أمره ونهيه، فتجد هذا النوع من أعصى الخلق له صلوات الله عليه وسلامه.

وليس من محبته وتوقيره ﷺ: الحَلِف به، فكيف بغيره من المخلوقين؟!

ومن ذلك: معرفة الرجل حقوق زوجه وأولاده عليه، فيقوم على رعايتهم، والاهتمام بهم، وتربيتهم التربية المثلى، وهي مسؤولية عظيمة سيسأل عنها الوالد، كما قال ﷺ: «**وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(١)، أي أن كل أحد سيقف بين يدي الله تعالى ويسأل عن هذه الرعية التي استرعاه الله تعالى عليها، حفظها، أم ضيعها.

قال ابن القيم رحمه الله: «فوصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم...، فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنَّما جاء فسادهم من قِبَل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدِّين وسننه فأضاعوهم صغارًا فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كبارًا»(٢).

الوصية الخامسة: معرفة حقوق ولاة الأمر، والعمل بمقتضياتها، فإنه لا قيام للدِّين ولا للدنيا إلا بتنصيب الإمام وتوليته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «يجب أن يعرف النَّاس أنَّ ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا الدنيا إلا بها»(٣).

وقد نهى اللهُ عز وجل عن التفرُّقِ والاختلاف، وأَمَر بالاجتماع والائتلاف، على طاعةِ الله سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٠٠)، ومسلم (١٨٢٩).
(٢) «تحفة المودود» (ص٢٢٩).
(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٣٩٠).

قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣].

ولا اجتماعَ إلا بإمامة، ولا إمامةَ إلا بسَمْعٍ وطاعة.(١)

فالسمع والطاعة في غير معصية من أعظم حقوق ولاة الأمر، وذلك أنَّ استقرار الحكم، واتفاق الكلمة واجتماع القلوب هي في طاعتهم في المعروف.

أخرج الشيخان عن عبادة بن الصامت ﵁ أنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم».(٢)

قال ابن حجر ﵀: «والمراد أن طواعيتهم لمن يتولى عليهم لا تتوقف على إيصالهم حقوقهم بل عليهم الطاعة ولو منعهم حقهم».(٣)

فطاعة ولي الأمر، وترك منازعته، طريقة أهل السنة والجماعة، وهذا هو فصل النّزاع بين أهل السنة، وبين الخوارج.

وإذا تأملت في كل فتنة تقع في المجتمعات؛ فستجدها بسبب الخروج على ولي الأمر، وما من خروج على ولي الأمر إلا وقد أحدث

---

(١) ومما ينبه عليه في هذا المقام: أنَّه لا يجوز مبايعة غير الإمام الأعظم، وما تحدثه بعض الفرق والجماعات السياسية من مبايعتهم لمرشدٍ لهم أو قائد، أو شخص يزعمون أنه خليفة لهم، فهو يناقض البيعة الشرعية ولا يجوز، وهذا مما حرمته الشريعة، وهذا من شق العصا، وسببٌ لإيجاد الفتنة والشر والضلال، فلا يجوز أن تتعدد البيعات.

(٢) البخاري (٧١٩٩)، مسلم (١٧٤٩).

(٣) «فتح الباري» (١٣/ ٨).

من الفتن والشرور مالا يقارن بما يُتوقع من حصول مصلحة إذا تحقق شيء من ذلك، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «وقَلَّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولَّد على فعله من الشر، أعظم مما تولَّد من الخير».(١)

ومن حقوق ولي الأمر: النصحُ له بالشروط الشرعية المعتبرة.

قال النووي ﵀: «وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم.

وقال الخطابي ﵀: ومن النَّصيحة لهم الصلاةُ خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأنْ يُدعى لهم بالصلاح».(٢)

وليس من النصيحة ما يفعله بعض الناس من التشهير بالكلام في الولاة في المنابر، أو في الكتابة في الصحف، أو بالتحدث في المجالس، أو بالنشر في وسائل التواصل الاجتماعي! كل ذلك ليس من سبل النصيحة الشرعية، إنما النصيحة الشرعية للإمام أن تكون بينك وبينه بالسرِّ لا بالعلانية، فلابد أن يُحفظ مقام الإمام، وألا تُذكر الأخطاء أمام عامة الناس.

---

(١) «منهاج السنة» (٤/٥٢٧).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (٢/٣٨).

قيل لأسامة بن زيد رضي الله عنه: «ألا تدخل على عثمان فتكلمه»؟! فقال: «أترون أني لا أكلمه إلا أُسمِعُكُم!! والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه».[(١)] وفي رواية: «إنكم لترون أني لا أكلمه؛ إلا أسمعكم! إني أكلمه في السِّر».[(٢)]

وإذا تأملت في كل فتنة تقع في المجتمعات؛ فستجدها بسبب الخروج على ولي الأمر، وما من خروج على ولي الأمر إلا وقد أحدث من الفتن والشرور مالا يقارن بما يُتوقع من حصول مصلحة إذا تحقق شيء من ذلك، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقلَّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولَّد على فعله من الشر، أعظم مما تولَّد من الخير».[(٣)]

قال الإمام ابن المبارك رحمه الله:

اللهُ يَدْفَعُ بِالسُّلْطَانِ مُعْضِلَةً ... عَنْ دِيْنِنَا رَحْمَةً مِنْهُ وَرِضْوَانَا
لَوْلَا الأَئِمَّةُ لَمْ تَأْمَنْ لَنَا سُبُلٌ ... وَكَانَ أَضْعَفُنَا نَهْباً لأَقْوَانَا[(٤)]

الوصية السادسة: إنَّ من توقيره صلى الله عليه وسلم معرفة حقِّ آل بيته وعترته وحق صحابته رضي الله عنهم، فمن توقيره صلى الله عليه وسلم موالاة آله وعترته وأهل بيته المؤمنين، ومحبتهم بما ورد في الشَّرع، فلا إفراط ولا تفريط، فعقيدتنا - ولله الحمد - وسطٌ بين الإفراط والتَّفريط، والغلُوِّ والجفاء في جميع مسائل الاعتقاد، ومن ذلك ما نعتقده في آل بيت الرَّسول صلى الله عليه وسلم، وفي صحابته الكرام رضي الله عنهم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٩).
(٢) أخرجه البخاري (٣٢٦٧).
(٣) «منهاج السنة» (٤/ ٥٢٧).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤١٤).

فإنَّنا نتولَّى كلَّ مسلم ومسلمة من أهل البيت: أزواجه، وذريته، وبني هاشم، وبني المطلب، فنحبهم، ونتولاهم، وننزلهم منازلهم التي يستحقُّونها كما أمر الله، ومن ذلك أن نعرف الفضل لمن جمع الله له بين شرف الإيمان بالله ورسوله، وشرف الاتصال بالنسب النبوي الشريف.

فمن كان من أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ، فإنَّنا نحبُّه لإيمانه وتقواه، ولصُحبته لرسول الله ﷺ، ولقرابته منه ﷺ.

ومن أتى من منهم بعد عصر النبوة، وهو مؤمن، فإنَّنا نحبُّه لإيمانه وتقواه، ولقرابته من رسول الله ﷺ.

ومن لم يُوَفَّق منهم للإيمان، فإنَّ شرف النَّسب لا يفيده شيئًا. قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجرَات: ١٣]، وقال ﷺ: «**وَمَن بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُه**»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ؒ: «محبتهم عندنا فرض واجب يؤجر عليه، ونحن نقول في صلاتنا كل يوم: «اللهم صلِّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»، ومن أبغضهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً»[٢].

ومع هذه المحبة الواجبة: فإنَّنا لا نعتقد عصمتهم، بل هم بشرٌ تقع منهم الذنوب كما تقع من غيرهم، كما لا نغالي في أوصافهم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤٨٧) بتصرف يسير.

والقاعدة الكلية في هذا: ألا نعتقد أنَّ أحدًا معصوم بعد النبي ﷺ، بل الخلفاء الراشدون ومن دونهم يجوز عليهم الخطأ.

ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نُفرِط في حبِّ أحد منهم، ولا نتبرأ من أحدٍ منهم، ونبغض من يبغضهم، ولا نذكرهم إلا بخير، ونبغض من يكرههم بسوء، ونعتقد أن حبُّهم إيمان، وأن بغضهم نفاق.

ونعتقد أنَّ مِن الصحابة مَن هو أفضل ممن جمع بين الصحبة والقرابة، فأبو بكر الصديق وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين هم خير الصَّحابة على هذا الترتيب.



اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، اللهم ألف بين قلوبهم، واهدهم سبل السلام، وجنبهم الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأعذهم منها، ومن دعاتها.

اللهم وفِّقْ إمامَنا خادم الحرمين الشريفين لكل خير، وانصر به دينك وأعْلِ به كلمتك، اللهم اجمع به كلمةَ الأُمَّةِ على الخير، وبارك له في مساعيه، واجمع به كلمة الأمة، ووحِّد به صفوفها على الخير، واجعله سببًا لحقن الدماء واجتماع القلوب، وشدَّ عضده بولي عهده، وبارك له في مساعيه الخيرة، وفقهما للصواب فيما يقولان ويفعلان، إنك على كل شيء قدير

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البَقَرَة: ٢٠١].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعرَاف: ٢٣].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحَشر: ١٠].

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.




فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

* **الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع**، محمد بن صالح العثيمين، ط١، طبع على نفقة فاعل خير، ١٤١٠هـ.

* **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، للمقدسي، مكتبة مدبولي، ط٣، ١٤١١هـ.

* **أحكام الجنائز**، الألباني، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٦هـ.

* **الآداب الشرعية والمنح المرضية**، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٩هـ.

* **الأدب المفرد** للبخاري، ط٣، دار البشائر، ١٤٠٩هـ.

* **الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف**، شكيب أرسلان، دار النوادر، ط١، ١٤٢٦هـ.

* **الاستذكار**، ابن عبد البر، تحقيق: سالم محمد عطا، ط١، ١٤٢١هـ، دار الكتب العلمية.

* **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ابن الأثير، تحقيق: علي معوض، ط١، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية.

* **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، ط١، ١٤٢٩هـ.

* **الاعتصام**، الشاطبي، تحقيق: محمد الشقير وآخرين، ط١، دار ابن الجوزي، ١٤٢٩هـ.

* **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط١، مكتبة السنة المحمدية.

* **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، ابن تيمية، تحقيق: ناصر العقل، ط٢، ١٤١٩هـ.
* **إكمال المعلم بفوائد الإمام مسلم**، القاضي عياض، ط١، دار الوفاء، ١٤١٩هـ.
* **الأم**، للشافعي، دار المعرفة. (تصوير عن طبعة بولاق)
* **الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع**، السيوطي، تحقيق: ذيب القحطاني، ط١، مطابع الرشيد، ١٤٠٩هـ.
* **الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف**، لابن المنذر، تحقيق: صغير حنيف، ط١، دار طيبة، ١٤٠٥هـ.
* **الإيضاح في مناسك الحج والعمرة**، للنووي، دار البشائر، ط٢، ١٤١٤هـ.
* **البداية والنهاية**، ابن كثير، تحقيق: عبد الله التركي، ط١، دار هجر، ١٤١٧هـ.
* **البدع والنهي عنها**، ابن وضاح القرطبي، تحقيق: عمرو سليم، ط١، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٦هـ.
* **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، الفيروز آبادى، تحقيق: محمد علي النجار، ط١، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر.
* **البلدان**، ابن الفقيه، تحقيق: يوسف الهادي، ط١، عال الكتب، ١٤١٦هـ
* **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة**، ابن رشد، تحقيق: محمد حجي، ط٢، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ.
* **تاريخ المسجد النبوي الشريف**، محمد إلياس عبد الغني، ط١، ١٤١٦هـ.
* **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، السخاوي، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ.
* **التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة**، عبد العزيز ابن باز، ط٤، مطابع الحكومة، ١٣٨٤هـ.
* **تفسير ابن أبي حاتم**، تحقيق: حكمت بشير وآخرين، ط١، دار ابن الجوزي، ١٤٣٩هـ.

* **تفسير ابن كثير**، تحقيق: سامي السلامة، ط٢، دار طيبة، ١٤٢٠هـ.
* **تفسير غريب ما في الصحيحين**، محمد بن نصر الحميدي، تحقيق: يحيى مراد، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ.
* **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ابن عبد البر، وزارة الشؤون الإسلامية بالمغرب، ط٢.
* **تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد**، سليمان آل الشيخ، ط١، المكتب الإسلامي، ١٣٨٢هـ.
* **جمهرة اللغة**، ابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط٣، دار العلم للملايين.
* **دلائل النبوة**، البيهقي، ط٣، دار الكتب العلمية.
* **ديوان حسان بن ثابت**، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، ط١، المطبعة الرحمانية، ١٣٤٧هـ.
* **رحلة ابن جبير**، دار صادر.
* **الروح**، ابن القيم، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، ط١، عالم الفوائد، ١٤٣٢هـ.
* **الروض المعطار في خبر الأقطار**، الحميري، تحقيق: إحسان عباس، ط١، مؤسسة ناصر للطباعة، ١٩٨٠م.
* **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢٧، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ.
* **سلسلة الأحاديث الصحيحة، وشيء من فقهها**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف.
* **السنة**، ابن أبي عاصم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط١، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ.
* **سنن ابن ماجه**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ.

* **سنن أبي داود**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ.

* **جامع الترمذي**، تحقيق: أحمد شاكر، ط٣، مطبعة البابي، ١٣٩٥هـ.

* **السنن الكبرى**، البيهقي، ن: محمد عطا، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.

* **السنن الصغرى (المجتبى)** للنسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ.

* **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.

* **سيرة ابن هشام**، تحقيق: مصطفى السقا، ط١، مطبعة البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ.

* **السيرة النبوية**، ابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط١، دار المعرفة، ١٣٩٥هـ.

* **شرح الأربعين النووية**، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٢٥هـ.

* **شرح معاني الآثار**، الطحاوي، تحقيق: محمد زهري النجار، ط١، عالم الكتب، ١٤١٤هـ.

* **الشريعة**، الآجري، ت: عبد الله الدميجي، ط١، دار الوطن، ١٤٢٠هـ.

* **شعب الإيمان**، البيهقي، تحقيق: عبد العلي الحامد، ط١، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ.

* **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، القاضي عياض، ط١، دار الفكر، ١٤٠٩هـ.

* **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، ابن تيمية، تحقيق: محمد الحلواني، ط١، رمادي للنشر، ١٤١٧هـ.

* **الصحاح**، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين. ١٤٠٧هـ.

* **صحيح ابن حبان** (بترتيب ابن بلبان)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ.

* **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق: مصطفى الأعظمي، ط٣، المكتب الإسلامي، ١٤٢٣هـ.

* **صحيح البخاري**، دار التأصيل، ١٤٣٦هـ.

* صحيح مسلم، دار التأصيل، ١٤٣٥هـ.

* **الطبقات الكبرى**، ابن سعد، تحقيق: عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ.

* **طرح التثريب في شرح التقريب**، لزين الدين العراقي وابنه، تحقيق: محمد درويش، ط١، دار ابن الجوزي، ١٤٣٨هـ.

* **عمارة المسجد النبوي - دراسة جديدة**، محمد الحداد، ط١، الجمعية التاريخية السعودية، ١٤١٩هـ.

* **عمارة المسجد النبوي في العهد المملوكي**، محمد هزاع الشمري، رسالة ماجستير غير منشورة.

* **عمارة المسجد النبوي منذ إنشائه وحتى العهد المملوكي**، محمد هزاع الشمري، ط١، دار القاهرة للكتاب، ٢٠٠١م.

* **غريب الحديث**، ابن قتيبة، تحقيق: عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ.

* **الفائق في غريب الحديث**، الزمخشري، تحقيق: علي البجاوي، ط١، مكتبة البابي الحلبي.

* **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ابن حجر، ط١، المطبعة السلفية، ١٣٨٠هـ.

* **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن رجب، تحقيق: محمود شعبان وآخرين، ط١، مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٧هـ.

* **فتح ذي الجلال والإكرام شرح بلوغ المرام**، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، ١٤٢٤هـ.

* **الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني**، جمع وتحقيق: محمد صبحي حلاق، ط١، مكتبة الجيل.

* **فضل الصلاة على النبي ﷺ**، إسماعيل بن إسحاق، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، المكتب الإسلامي، ١٩٧٧م.

* **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المناوي، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ.

* **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، ابن تيمية، ط٣، مطبعة المنار، ١٣٤٥هـ

* **الكافية الشافية في الانتصار للفرق الناجية (النونية)**، ابن القيم، ط١، عالم الفوائد، ١٤٢٨هـ.

* **الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، الهرري، ط١، طوق النجاة، ١٤٣٠هـ.

* **لطائف المعارف**، ابن رجب، دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ.

* **مجلة الجامعة الإسلامية**، العدد [٤٦].

* **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن القاسم، ط١، مطبعة الرياض، ١٣٨١هـ.

* **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد العثيمين**، جمع: محمد السليمان، ط١، دار الثريا.

* **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**، عبد العزيز بن باز، جمع: محمد الشويعر، ط٤، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

* **المجموع شرح المهذب**، للنووي، تحقيق: محمد المطيعي، مكتبة الإرشاد.

* **المخصص**، ابن سيده، تحقيق: خليل الجفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ.

* **المدخل**، ابن الحاج، دار التراث.

* **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، الملا علي القاري، ط١، دار الفكر، ١٤٢٢هـ.

* **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم، تحقيق: مصطفى عطا، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.
* **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.
* **مسند الدارمي**، تحقيق: حسين أسد، ط١، دار المغني، ١٤٢١هـ.
* **مشارق الأنوار عل صحاح الآثار**، القاضي عياض، ط١، دار الكمال المتحدة، ١٤٣٧هـ.
* **المصنف**، ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال الحوت، ط١، مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ.
* **المصنف**، عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ.
* **معارج القبول بشرح سلم الوصول**، حافظ الحكمي، ط١، المطبعة السلفية.
* **معجم البلدان**، ياقوت الحموي، ط٢، دار صادر، ١٩٩٥م.
* **المعجم الأوسط**، الطبراني، تحقيق: طارق عوض الله، ط١، دار الحرمين.
* **المعجم الكبير**، الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية.
* **المفهم لما أشكل من تلخيص الإمام مسلم**، القرطبي، تحقيق: محي الدين مستو وآخرين، ط١، دار ابن كثير، ١٤١٧هـ.
* **منهاج السنة النبوية**، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٦هـ.
* **المنهج لمريد العمرة والحج**، محمد بن صالح العثيمين، ط١، مدار الوطن، ١٤٢٩هـ.
* **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار**، الشوكاني، تحقيق: محمد حسن حلاق، ط١، دار ابن الجوزي، ١٤٢٧هـ.
* **هدى الساري مقدمة فتح الباري**، ابن حجر، ط١، المطبعة السلفية.
* **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، السمهودي، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.



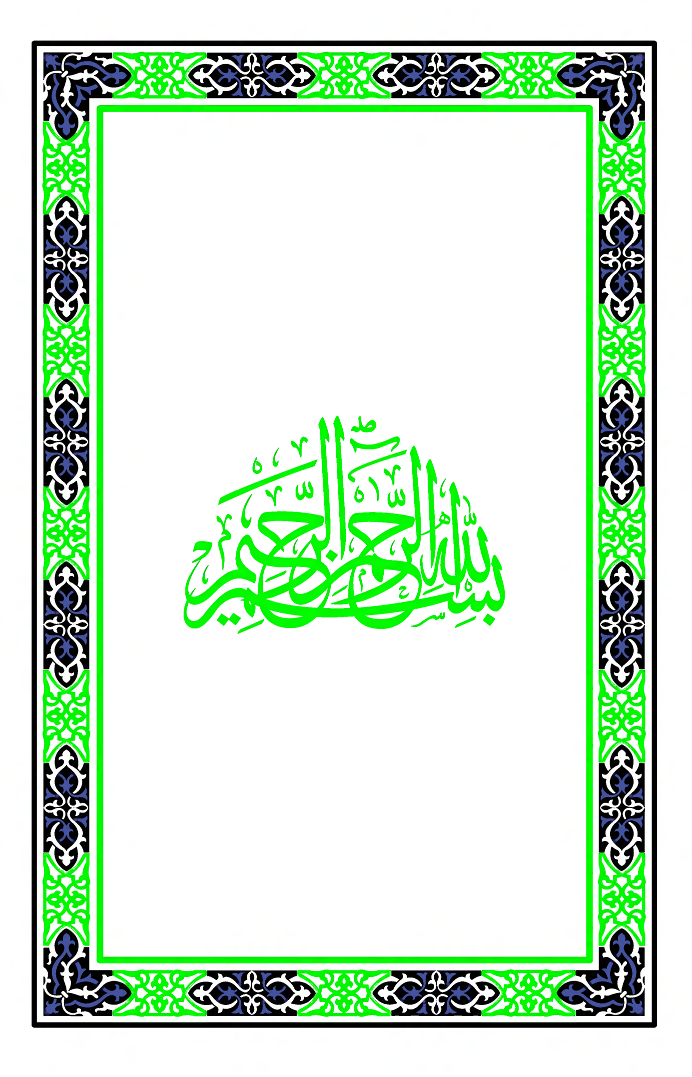

فهرس الفوائد






فهرس الموضوعات

رسائل إلى الحاج



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله على جميع نعمه بما هو أهله، وكما ينبغي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فمن فضل الله ﷻ وتوالي نعمه أن نفدت الطبعة الأولى لهذا الكتاب في وقت وجيز للغاية، وقد رغب القائمون على طباعته إعادة طبعه مرة أخرى.

وقد استجبتُ لطلبهم بعد أن أجريت عليه بعض التعديل من حذف وإضافة، وإصلاح للتطبيعات، وزيادة تعليق على بعض المسائل؛ بما لا يخرج الكتاب عن مضمونه الأساس(١).

وإنَّ مما يحسن عَرْضه فيستوجب شكره ما يجده الحاج والمعتمر من اهتمام بالغ من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز - يحفظه الله -، وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي محمد بن سلمان بن عبد العزيز - وفقه الله - بالحرم المكي الشريف والمشاعر المقدسة، وأعلى هذا الاهتمام وأوفاه: تجريد التوحيد لربِّ العبيد، ونشر الأمن والأمان والاطمئنان في ربوع هذه البلاد المباركة؛ مما يستجمع قلوب الموحدين على ذكر هذا وشكره.

---

(١) فهو رسالة موجَّهة للحاج من عامَّة المسلمين من أقطار المعمورة، والتي تتشرف هذه البلاد المباركة - المملكة العربية السعودية - بخدمتهم من حين مَقدمِهم وإلى مَغادرتهم، فالكتاب له هدف وغاية بأسلوبه وفكرته ومادته العلمية.

أسأل الله العظيم الكريم أن يحفظ خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز بحفظه، وأن يكلأه برعايته، وأن يجري الخير على يديه، وأن يحفظ به البلاد والعباد، وأن يشدَّ عضده بولي عهده الأمين، وأن يوفقهما لكل خير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد الرحمن بن عبد الله السند






مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أخي الحاج:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فأبارك لك مقدمك لهذه الديار الآمنة المطمئنة، لتؤدي شعيرة من أعظم شعائر هذا الدِّين العظيم، وركنًا من أركانه الخمسة، شعيرة تقوم على توحيد الله ﷻ، والرغبة فيما عنده وحده، والابتهال إليه، وطلب الحاجات منه ﷻ، فهي عبادة عظيمة يحقِّق فيها العبدُ توحيد الله ﷻ، ويتعرض إلى نفحات الرحمة والمغفرة منه سبحانه وتعالى.

ورغبة في التواصي بالحق، أقدِّم لك هذه الرسائل التي أسأل الله أن تكون نافعة لي ولك، ولمن يقرؤها من بعدك، فإنَّ الدال على الخير كفاعله.

تقبل الله حجَّك، وغفر ذنبك، وأعادك إلى أهلك غانمًا سالمًا.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد الرحمن بن عبد الله السند





الرسالة الأولى

مناقع الحج

أخي الحاج:

إن الله تعالى فاضل بين الأشخاص والأزمان والأماكن، والتخصيص والاصطفاء شأن إلهي له سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبيَاء: ٢٣].

فاختار ﷻ من الملائكة: جبريل.

ومن البشر: الأنبياء.

ومن الأنبياء: محمدًا.

ومن البلاد: مكة.

ومن الأشهر: الأشهرَ الحرمِ.

ومن الليالي: ليلةَ القدر.

ومن الأيام: يومَ الجمعة.

ومن المساجد: المسجدَ الحرام.

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القَصَص: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحَجّ: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٣].

ومِمَّا اختص الله تعالى به بعض الشهور أن جعلها من أشهر الحج.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البَقَرَة: ١٩٧].

وأشهر الحج هي: شهر شوال، وذي القعدة، وذي الحجة.

وهذا الاختصاص لهذه الأشهر، هو من لدن الشارع الحكيم ﷻ.

وكما اصطفى ﷻ زمنًا للحج فإنَّه اصطفى له مكانًا، فاختار إيقاع هذا المنسك في خير البلاد وأشرفها، وهي البلد الحرام، «فإنه سبحانه وتعالى اختاره لنبيه ﷺ، وجعله مناسك لعباده، وأوجب عليهم الإتيان إليه من القُرب والبُعد من كل فجٍّ عميق، فلا يدخلونه إلا متواضعين متخشعين متذلِّلين، كاشفي رؤوسهم، متجرِّدين عن لباس أهل الدنيا، وجعله حرما آمنًا لا يسفك فيه دم، ولا تعضد به شجرة، ولا ينفَّر له صيد، ولا يختلى خلاه، ولا تلتقط لقطته للتمليك بل للتعريف ليس إلا، وجعل قصده مُكفِّرًا لما سلف من الذنوب، ماحيًا للأوزار، حاطًا للخطايا، كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»[1]، ولم يرض لقاصده من الثواب دون الجنة، ففي السنن من حديث

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب دون الجنة**»[2]، وفي

(١) البخاري (١٨١٩)، ومسلم (١٣٥٠)، واللفظ له.

(٢) أخرجه أحمد (٣٦٦٩)، والترمذي (٨١٠)، والنسائي (٣٦١٠).

الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»[(١)]، فلو لم يكن البلد الأمين خير بلاده، وأحبها إليه، ومختاره من البلاد؛ لما جَعل عَرصَاتها مناسك لعباده فرض عليهم قصدها، وجعل ذلك من آكد فروض الإسلام، وأقسم به في كتابه العزيز في موضعين منه فقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ٣]، وقال تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: ١]»[(٢)].

ومما لا شك فيه أنَّ من أعظم الأعمال الصالحات، وأفضلها إلى رب الأرض والسماوات: فريضة الحج.

أوجبه الله على عبادة، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عِمرَان: ٩٧].

وجعله ركنَ الإسلام الخامس؛ كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي أخرجه الشيخان: «**بني الإسلام على خمسة، على أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج**»[(٣)].

والحج سبب لهدم الذنوب والسيئات، قال النَّبي ﷺ لعمرو بن العاص رضي الله عنه: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن التوبة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).
(٢) «زاد المعاد» (١/ ٤٧).
(٣) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦) واللفظ له.
(٤) أخرجه مسلم (١٢١).

وقال ﷺ عن الحج: «من حج فلم يرفث، ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه»(١).

ومما ينبغي التذكير به: غفلة الناس عن مقاصد الحج التي من أجلها شُرع، وانشغال البعض بالتفقه في تفاصيل المسائل دون إعمال النظر في مقاصد الحج.

قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحَجّ: ٢٧] دعا الله تعالى عبادَه من جميع أطراف الأرض ونواحيها إلى حج هذا البيت المشرَّف على كل بقاع الأرض بتشريف الله واختيارِه راجلين أو راكبين، ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحَجّ: ٢٨]، وهو لفظ عامٌّ شامل لكل نفع وخير، سواء في ذلك نفع الدنيا والآخرة.

قال الزمخشري: «نكَّر المنافع؛ لأنَّه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات. وعن أبي حنيفة رحمه الله: أنه كان يفاضل بين العبادات قبل أن يَحُجَّ، فلما حجّ فضَّل الحج على العبادات كلها، لما شاهد من تلك الخصائص»(٢).

قال شيخنا ابن باز رحمه الله: أمَّا الحج ففيه من الفوائد العظيمة ما لا تحيط به العبارة.(٣)

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) «الكشاف» (٣/ ١٥٣).
(٣) ينظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٢٣٤).



فمن أعظم مقاصد الحج:

١- **إظهار التَّوحيد لله رب العالمين؛** فكل مشاعر الحج هي توحيد الله، وهي مقصوده الأعظم، فإنَّ الحجَّ مؤسسٌ على التَّوحيد المحض والمحبة الخالصة.

فالحجُّ كله دعوة إلى توحيد الله ﷻ، والاستقامة على دينه، والثَّبات على ما بُعِث به رسولُه محمد عليه الصلاة والسلام، وتوجيه الناس إلى توحيد الله، والإخلاص له، والاتباع لرسوله ﷺ فيما بعثه الله به من الحقِّ والهدى في الحج وغيره. فالتلبية هي أول ما يأتي به الحاج والمعتمر، فيقول: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك»، فيعلن المُحرمُ توحيدَه لله، وإخلاصه لله، وأن الله سبحانه لا شريك له، وهكذا في طوافه يذكر الله ويعظِّمه ويعبده بالطواف وحده، ويسعى فيعبده بالسعي وحده دون كل ما سواه، وهكذا بالتحليق والتقصير، وهكذا بذبح الهدايا والضحايا، كل ذلك لله وحده، وهكذا بأذكاره التي يقولها في عرفات، وفي مزدلفة، وفي منى، كلها ذكر لله وتوحيد له، ففي كل أحواله ومشاهده يقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك.

وتوحيد الله وإخلاص العبادة له هو أعظم ما أوجبه الله على عباده في كل مكان وفي كل زمان، ولاسيما في هذه البقعة العظيمة المباركة، فيخلص الحاج لله عمله وقوله من طواف وسعي ودعاء وغير ذلك، وهكذا في بقية الأعمال كلها لله وحده ﷻ، مع الحذر من معاصي الله ﷷ، ومع الحذر من ظلم العباد وإيذائهم بقول أو عمل.

٢- **إقامة ذكر الله تعالى،** فما جعل الطواف بالبيت، ولا السعي بين الصفا والمروة، ولا رمي الجمار إلا لذكر الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحَجّ: ٢٨].

وفي الأثر: «**إنما جعل الطواف والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار لإقامة ذكر الله** ﷻ»[(١)].

فمن تأمل مناسك الحج وجد ارتباطها الوثيق بذكر الله تعالى، فهي روح الحجِّ ولبُّه، وهي مقصود من مقاصده العظيمة.

٣- **تحقيق الانقياد لله** ﷻ، والمتابعة لرسوله ﷺ، فإنَّ مبنى الحج على التسليم التام لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، فيتجرد المُحرم من ملابسه ويرتدي إزارًا ورداءً، ويطوف بالبيت سبعًا ويسعى سبعًا، ويبيت في منى ليلة التاسع استحبابًا، وليالي التشريق وجوبًا، ويقف بعرفة من بعد الزوال إلى تحقيق مغيب الشمس، ثم ينتقل إلى مزدلفة ويبيت فيها إلى ما بعد الفجر، ويوم العيد له أعمال مرتبة استحبابًا، ثم أيام التشريق يرمي ويبيت في منى وجوبًا، وهذه الأعمال قد لا يدرك الحاج حكمتها، وإنما سبيله التسليم لأمر الله وأمر رسوله ﷺ.

وتأمل قول عمر بن الخطاب ﷺ عندما قبل الحجر: «إني أعلم أنك حجر، لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبَّلتُك»[(٢)]، ففيه التسليم التام والمتابعة لأمر الله وأمر رسوله ﷺ.

واعلم - أخي الحاج - أنَّ محبَة الله لا ينالها العبد إلا بصواب

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٣٥١)، وأبو داود (١٨٨٨)، وابن خزيمة (٢٨٨٢)، واختلف في وقفه ورفعه، والصحيح أنَّه موقوف على عائشة ﵂. ينظر: «السنن الكبرى» للبيهقي (ح٩٦٤٦)، ولكن يشهد لصحة معناه القرآن؛ كما قال الشنقيطي ﵀ في «أضواء البيان» (٥/ ٣٤١)

(٢) أخرجه البخاري (١٥٩٧).

=

عمله، وصواب العمل لا يكون إلا بشرطين رئيسين(١):

الأول: الإخلاص لله ﷻ.

والثاني: المتابعة للرسول ﷺ.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلك: ٢].

قال ابن كثير رحمه الله: «لم يقل أكثر عملاً، بل: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، ولا يكون العمل حسنًا حتى يكون خالصًا لله ﷻ، على شريعة رسول الله ﷺ، فمتى فَقَد العمل واحدًا من هذين الشرطين حبط وبطل»(٢).

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلك: ٢]، قال: «أخلصه وأصوبه»، قالوا: يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: «إذا كان العمل خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل؛ حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة»(٣).

ومتابعة الرسول الله ﷺ لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقًا للشريعة في أمور ستة:

الأول: السَّبَب، فإذا تعبد الإنسان لله عبادة مقرونة بسبب ليس شرعيًّا فهي مردودة على صاحبها.

(١) ينظر: «إغاثة اللهفان» (١/٨)، «الروح» (٢/٣٩٨)، «جامع العلوم والحكم» (١/١٧٦)، «فتح ذي الجلال والإكرام شرح بلوغ المرام» (٢/٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/٥٧٤).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣/١٢٤).

مثالها: رجل يُحيي ليلة السابع والعشرين من رجب بحجة أنَّها الليلة التي عرج فيها برسول الله ﷺ.

فالتهجد عبادة وسنة، ولكن لما قرن بهذا السبب كان بدعة، لأنه بَنى هذه العبادة على سبب لم يثبت شرعًا. وهذا أمر مهم يتبين به ابتداع كثير ممن يظن أنه من السنة، وليس من السنة.

ومن الأمثلة كذلك: المولد النبوي، فإن هذا السبب لم يشرع، ولم يفعله النبي ﷺ، ولا الصحابة، ولا القرون المفضلة، وإنما حدث متأخرًا عن القرون الفاضلة، بل لم يعرف إلا في القرن الرابع.

الثاني: **الجِنْس**، فلا بد أن تكون العبادة موافقة للشرع في جنسها، فلو تعبد إنسان لله بعبادة لم تشرع في جنسها، فهي غير مقبولة.

ومثال ذلك: أن يُضَحِّي رجل بفرس، فلا تصح أضحيته، لأنه خالف الشريعة في جنسها، فالأضاحي لا تكون إلا من بهيمة الأنعام: الإبل، والبقر، والغنم.

الثالث: **القَدْر**، فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة على أنها فريضة، فيقال له: هذه بدعة غير مقبولة، لأنها مخالفة للشرع في القَدْر، ومن باب أولى لو أنَّ الإنسان صلَّى الظهر مثلًا خمسًا، فإن صلاته لا تصح بالإجماع.

الرابع: **الكيفيَّة**، فلو أن رجلًا توضأ، فبدأ بغسل رجليه، ثمَّ مسح رأسه، ثم غسل يديه، ثم وجهه، فيقال له: وضوؤك باطل؛ لأنه مخالف للشرع في الكيفية.

الخامس: **الزَّمَان**، فلو أنَّ رجلًا ضَحَّى في أول أيام ذي الحجة، فلا تقبل الأضحية لمخالفة الشرع في الزمان.

السادس: المَكَان، فلو أن رجلًا اعتكف في غير مسجد، فإنَّ اعتكافه لا يصح، وذلك لأنَّ الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد، ولو قالت امرأة: أريد أن أعتكف في مُصلَّى البيت فلا يصح اعتكافها، لمخالفة الشرع في المكان

٤- الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنَّة: فمن أدَّى الحج على الوجه الشرعي كان جزاؤه الجنة والكرامة، وغفران الذنوب، وحطُّ الخطايا، فالحج فرصة عظيمة يجود الله سبحانه وتعالى فيها على عباده المؤمنين بالمغفرة والرحمة والرضوان والعتق من النار، فطوبى لمن كان حجه مبروراً فلم يرفث ولم يفسق ولم يجادل إلا بالتي هي أحسن واستبق إلى الخيرات، قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البَقَرَة: ١٩٧]، ويالهذا الهدف من خير عظيم، وفضل كبير.

والحج المبرور: هو الذي لا يرتكب فيه صاحبه معصية لله، كما يدل على ذلك قوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: **«من حج لله فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه»**[1].

٥- الاستكثار من الطاعات في هذه البقاع المباركة، فعلى الحاج أن يستغلَّ الأوقات ويعمرها فيما ينفعه من الاستكثار من الصلاة، فصلاة

---

(١) أخرج أحمد (١٥٢٧١)، وابن ماجه (١٤٠٦) - بسند صحيح - من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه»**.

في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة فيما سواه[١]، والحرم كله مكان للمضاعفة، وليس هذا خاصٌّ بمسجد الكعبة المشرفة[٢].

واحرص - يا عبد الله - بالاستكثار من الطواف والصدقة، والبعد عمَّا ينافي الحج أو كماله من أفعال أو أقوال، والبعد عن المعاصي صغيرها وكبيرها.

٦- التذكير بالآخرة، ووقوف العباد بين يدي الله يوم القيامة، لأنَّ مشاعر الحج تجمع الناس من سائر الأجناس لا فرق بين غني ولا فقير، ولا أسود ولا أبيض، ولا عربي ولا عجمي، كلهم في زيٍّ واحد، وهيئة واحدة، يذكرون الله سبحانه ويلبون دعوته، وهذا المشهد يشبه وقوفهم بين يدي الله يوم القيامة في صعيد واحد حفاة عراة غرلاً خائفين وجلين مشفقين، وذلك مما يبعث في نفس الحاج خوف الله ومراقبته والإخلاص له في العمل.

٧- أن الحجَّ موسم تجارة، فيتبادل فيه الحجيج وغيرهم منافع التجارة، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٩٨]، وقد أخرج البخاري في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقًا في الجاهلية، فتأثموا أن يتجروا في المواسم، فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٩٨]»[٣].

---

(١) قال شيخنا ابن باز رحمه الله: «الصلاة في المسجد الحرام حول الكعبة أفضل، وهي بمائة ألف صلاة للحديث الصحيح، والصواب أنها تضاعف الصلاة أيضًا في بقية الحرم» «مجموع فتاوى مقالات متنوعة» (١١/٢٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠).

(٣) البخاري (٤٥١٩).

والمقصود: أنَّ الحج شعيرة من شعائر الإسلام العظيمة التي تجمع المنافع الدنيوية والأخروية.

والمسلم مطالب شرعًا بالمسارعة إلى الخيرات، وفعل ما يرضي رب الأرض والسماوات، ومن ذلك المبادرة إلى أداء الحج وقضاء هذا النسك العظيم وهذه الفريضة الكبيرة التي هي من مباني هذا الدين العظيم، وأركانه الجسام، وعلى المؤمن أن يستشعر مِنَّة الله تعالى عليه أن يسَّر له سبل الخير والاستزادة منها، قال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الحُجرَات: ١٧].

ولذلك كان من حال أهل الجنة عندما يدخلونها - نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهلها - قولهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعرَاف: ٤٣].

فيسأل العبد ربه التوفيق لعمل الصالحات والإعانة.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن النبي ﷺ أخذ بيده يومًا، ثم قال:

«**يا معاذ إني لأحبك**». فقال له معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأنا أحبك. قال: «**أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[١].

نسأل الله أن يوفقنا لكلِّ خير، وأن يجعلنا من المسارعين في الخيرات، وأن يبارك في أعمالنا وأعمارنا.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢١١٩)، والنسائي (٩٨٥٧)، وأبو داود (١٥٢٢)، وصححه النووي في «الأذكار» (ص١٠٣)، وابن حجر في «نتائج الأفكار» (٢/ ٢٩٧).




الرسالة الثانية

محبة الله للعبد: أسبابها وآثارها

أخي الحاج:

إنَّ التَّألَّه والتعبد لله يجمع أمورًا ثلاثة: المحبة والرجاء والخشية، فإذا تمَّت هذه الثلاثة في قلب المرء تمَّ له إيمانه.

ولذا جاء عن بعض السلف قولهم: «مَن عبدَ الله بالحب وحده فهو زنديق، ومَن عبدَ الله بالخوف وحده فهو حروري، ومَن عبدَ الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومَن عبدَ الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد»، فلا بد من عبادة الله بهذه الثلاث.

فالله ﷻ يُحِبُّ ويُحَبُّ، ومن أسمائه الحسنى: «الودود»، فهو يَودُّ عباده المؤمنين ويودونه، ويُحِبّهم ويُحَبونه، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: ٥٤].

وعباد الله المؤمنين يحبون الله ﷻ، ولكن محبتهم تتفاوت، فمن أطاع الله واتقاه كان أكثر حبًا لله ﷻ.

وأصلُ التوحيد إخلاصُ المحبَّة لله وحدَه، ولا يتمُّ حتى تكمل محبَّةُ العبد لربه، وتسبق محبَّته جميع المحابِّ، ومنشأ الشِّرك وأصلُه من التَّشريك فيها.

وقد امتدح الله عباده المُؤمنين بإخلاص المحبَّة له، كما أنه سبحانه

ذمَّ المُشرِكين بالتنديد فيها، فقال ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٦٥].

وجعلها أخصَّ خصال أوليائه فقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: ٥٤].

وإن من أعظم ثمار الإيمان بالله تعالى: حصول محبة الله تعالى لعبده، وهذه مرتبة عظيمة ودرجة عالية، إذا حصل عليها العبد كانت سعادته في الدنيا والآخرة، ولذلك قال النَّبي ﷺ يوم خيبر: «**لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**»[(١)].

والمحبَّة صفة من صفات الله الفعلية التي تتعلق بأفعاله: إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٤).

(٢) **صفات الله ﷻ تنقسم إلى قسمين**:

ثبوتية: وهي ما أثبتها الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ؛ كالعلو، والوجه، والرحمة، والمحبة والحياة، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، فيجب إثباتها على الوجه اللائق به سبحانه.

سلبية: وهي ما نفاها عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ؛ كالنوم والظلم والموت والجهل والعجز، فيجب نفيها عن الله تعالى، مع وجوب إثبات ضدِّها على الوجه الأكمل.

وتنقسم الصفات الثبوتية إلى:

صفات ذاتية: وهي التي لم يزل ولا يزال الله متصفاً بها، فهي لا تنفك عنه سبحانه وتعالى، كالعلم، والقدرة ونحو ذلك، وتسمى: الصفات اللازمة؛ لأنها ملازمة للذات لا تنفك عنها.

صفات فعلية: وهي التي تتعلق بمشيئة الله؛ إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، وتتجدد حسب المشيئة؛ كالنزول إلى السماء الدُّنيا، والغضب، والفرح، والضحك، وتسمى: الصفات الاختيارية. وضابطها تقييدها بالمشيئة، تقول: يرحم إذا شاء، ويغضب إذا شاء.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين: باعتبار أصل الصفة ذاتي، وباعتبار آحاد الفعل فعلي، **فالكلام** - مثلاً - صفة ذاتية باعتبار أصله؛ لأن الله لم يزل ولا يزال متكلماً، أما باعتبار آحاد الكلام، فهو صفة فعلية؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته سبحانه.

وهذه الصفة العظيمة أن يكون العبد ممن يحبه الله، لا شك أنَّها درجة يسعى العبد المؤمن إلى نيلها وتحصيلها، وهذه المحبة التي تحصل للعبد يسعد بها في دنياه وأخراه.

والأسباب الجالبة لمحبة الله للعبد كثيرة، أصلها وأساسها: الإيمان بالله والعمل الصالح.

إذا تبين لك ذلك، فمن الأسباب التفصيلية الجالبة لمحبة الله:

السبب الأول: توحيد الله ﷻ، فمتى أقام العبدُ توحيد الله في قلبه، وعمل به، وأظهره، أحبه الله ﷻ.

والتوحيد يجمع أمورًا ثلاثة:

١ - اعتقاد تفرد الله ﷻ بالربوبية: فهو الخالق، وهو الرازق، وهو المحيي، وهو المميت، وهو المعزُّ، وهو المذل.

٢ - أن العبادة بجميع أنواعها لا تكون إلا لله ﷻ، فلا يُدعى إلا الله، ولا يستغاث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا تذبح النذور ولا تقرَّب القرابين إلا له ﷻ.

٣ - أنَّ الله ﷻ له الأسماء الحسنى والصفات العُلى، التي نؤمن بها كما وردت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الصحيحة على ظاهرها، وما تدلُّ عليه ألفاظها من المعاني، ولا نؤولها عن ظاهرها.

السبب الثاني: اتّباع النبي ﷺ بما جاء به من توحيد الله ﷻ، وصرف العبادة كلها لله ﷻ، والعمل بسنته في دقيق الأمور وجليلها، وعدم إحداث شيء في دين الله لم يأت به ﷺ.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عِمرَان: ٣١].

قال ابن كثير: «هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله»[١].

السبب الثالث: قراءةُ القرآن بالتدبر والتفهّم لمعانيه وما أُريدَ به، كتدبّر الكتابِ الذي يحفظه العبدُ ويشرحه؛ ليتفهَّم مُرادَ صاحبه منه، وإذا أردت أن تعلم ما عندك من محبة الله فانظر محبة القرآن من قلبك.

السبب الرابع: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض فإنها توصله إلى درجة عالية من المحبة.

السبب الخامس: دوام ذكر الله - على كل حال - باللسان والقلب والعمل والحال.

السبب السادس: إيثارُ محابّ الله على محابّك، وتقديم ما يرضي الله ﷻ على رغباتك وشهواتك وإن صَعُبَ المرتقى.

السبب السابع: التفكُّر في أسماء الله وصفاته، ومعرفة معانيها وما تدل عليه، وتقلّبه في رياض هذه المعرفة ومباديها؛ فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبَّه لا محالة.

السبب الثامن: تأمُّل برِّ الله ﷻ وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنة والظاهرة على العبد، فإنها داعية إلى محبته.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٢).

السبب التاسع: انكسار القلب بين يدي الله تعالى رهبة منه ورغبة فيما عنده ﷻ، لا سيما في الأوقات الفاضلة، وخاصة في آخر الليل[١].

وحبُّه ﷻ للعبد ليس كحبِّ المخلوق للمخلوق، بل هو حبٌّ يليق بجلاله وعظمته، فكما أنَّ ذاته سبحانه ليست كذاتِ المخلوق، فكذلك صفاته ليست كصفات المخلوق، وحب الله ثابتٌ بالكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: ٥٤]، وقال ﷺ: «**إنَّ الله يحب العبد التقي الغني الخفي**»[٢]، فهذه المحبة لا نعرف كيفيتَه، ولكن نعرف معناها ونُدرِك أثرها، وليس المقصود بها إرادة الثواب.

وهذه المحبة لها آثار عظيمة، ومنها:

١- أن يوضع للعبد القبول في الأرض، وأن يحبه من في السماء ومن في الأرض:

أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ قال: «**إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانًا فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلانًا فأبغضه، قال فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض**»[٣].

---

(١) ينظر: «مدارج السالكين» (٣/ ١٨).
(٢) أخرجه مسلم (٢٩٦٥).
(٣) أخرجه البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧)، واللفظ له. =

ولذلك قال الله تعالى عن أهل الإيمان الذين يعملون الصالحات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، فيودهم ويحبهم الناس، وهذا من رحمة الله تعالى بالعبد أنه إذا أحبه وضع له القبول والمحبة في قلوب عباده المؤمنين، فيجعل لهم الرحمن ودًا ومحبة وقبول، وذلك لمن آمن بالله وعمل صالحًا.

٢- أن يُسدد الله ظاهره وباطنه:

أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عَبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»**(١).

فالإيمان بالله تعالى والعمل الصالح، والإكثار من الأعمال الصالحات من أسباب حصول العبد لمحبة الله تعالى، وتحقيق الثمار بذلك.

٣- أن يوفق اللهُ العبدَ لحسن الخاتمة:

أخرج الإمام أحمد عن عمرو بن الحمق الخزاعي رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله»**، قيل: وما استعمله؟ قال: **«يفتح له عمل صالح بين يدي موته حتى يرضى عنه من حوله»**(٢).

---

(١) البخاري (٦٥٠٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٩٤٩) بإسناد صحيح.

ووصيتي لك أخي الحاج: أن تنظر في حالك، وتنشغل بعيوبك، وأن تعلم أن الانشغال بعيوب النفس خير من الانشغال بعيوب الناس، وأنَّ الإنسان أول ما يُصْلح يُصْلح نفسه، وانظر إلى عيوب نفسك، واسْعَ في إصلاحها، وإقامتها على الحقِّ، فإنَّ ذلك من أعظم أسباب الخير للعبد في الدنيا والآخرة، ومن علامات محبة الله لك.

أمَّا إذا انشغلت بعيوب الآخرين وسعيت في إظهارها؛ فإنَّ ذلك من علامات الهلاك، وبعدك عن محبة الله.

والموفَّق من وفقه الله، واشتغل بإصلاح نفسه، وأَطرها على الحق، وحملها على الخير بعمل الصالحات، وترك المعاصي والمنكرات، والإكثار من التوبة والاستغفار، مع حمل النفس على عمل كل ما يرضي الله تعالى.

اللهم إنا عبيدك بنو عبيدك بنو إمائك، نواصينا بيدك، ماضٍ فينا حكمك، عدل فينا قضاؤك، نسألك بكل اسم هو لك، سمّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا.






الرسالة الثالثة

الجزاء من جنس العمل

أخي الحاج:

إن من الأمور المتقررة في شرعنا: أنَّ الجزاء من جنس العمل في الخير والشر، وهي قاعدة عظيمة في هذه الشريعة.

ولو وضعها الإنسان نصب عينيه لزجرته عن كثير من الشرور والمعاصي، ولدفعته إلى بذل الخير والإحسان إلى الخلق.

وهذه القاعدة من تمام عدل الله وحكمته ﷻ.

وقد تكاثرت النصوص الشرعية في التأكيد على هذه القاعدة العظيمة، دلَّ الكتاب والسنة في أكثر من مائة موضع على أنَّ الجزاء من جنس العمل في الخير والشر.

ومن ذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ [الرَّحمٰن: ٦٠]، هذا في مقابلة الجزاء الحسن بالعمل الحسن، أي ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يُحسَنَ إليه في الآخرة.

وفي مقابلة الجزاء السيء بالعمل السيء، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الرُّوم: ١٠]، ﴿عَـٰقِبَةَ﴾ أي آخر أمر ﴿ٱلَّذِينَ

﴿أَسَٰٓـُٔواْ﴾ أي عملوا السيئات ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ تأنيث الأسوأ، وهي أسوأُ العقوبات وأفظعها التي هي العقوبةُ بالنارِ، جزاء لهم بجنس عملهم.(١)

٢ - قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البَقَرَة: ١٥٢]، فالجزاء من جنس العمل، فإن ذكرت الله ذكرك.

٣ - قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٦]، فهذه الآيات كما أنها أتته ولم يذكرها ويعتبر بها، بل أعرض عنها فكان الجزاء من جنس العمل، فيُنسى ولا يذكر هذا الذكر، وإن كان معلومًا لله لا يجوز أن يكون مجهولاً له.

٤ - قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾ [المجَادلة: ١١]، وذلك أن الجزاءَ من جنس العمل.

٥ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ [الحَشر: ١٩]، أي: لا تنسوا ذكر الله فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم، فإن الجزاء من جنس العمل.

٦ - قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقِعَة: ١٠-١١]، فمن سابق في هذه الحياة الدنيا فسبق غيره إلى الخير، كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة، وذلك أنَّ الجزاء من جنس العمل.

---

(١) ينظر: «نظم الدرر في تناسب الآي والسور» (١٥/ ٥٣)، «تفسير أبي السعود» (٧/ ٥٣).

٧ - قول النَّبي ﷺ: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**»(١).

فالله تعالى يذكر من ذكره، فإن ذكره في نفسه، ذكره الله تعالى في نفسه، وإن ذكره في ملأ ذكره الله تعالى في ملأ خير منه.

والله تعالى يجازي بالعمل الذي يعمله الإنسان بأفضل وأحسن مما يكون؛ لأن الله تعالى هو الكريم الجواد المتفضل سبحانه.

فالربُّ تعالى أحبَّ هذا العبد لما قام بمحبوب الله ﷻ من الطاعات، فإنَّ الجزاء من جنس العمل، فلمَّا لم يزل متقربًا إلى الله بما يحبه من النوافل بعد الفرائض أحبَّه الله، وهذا فيه دلالة على أن من أقبل على الله أقبل الله عليه بأكبر مما أقبل عليه العبد.

وأيضًا فإن الله تعالى كريم يحب الكرم، والله تعالى يجازي على الكرم بالخير والثواب الحسن.

٨ - قول النبي ﷺ: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته. حلت له شفاعتي يوم القيامة**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٣٦)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

فقد رغَّب الرسول ﷺ المسلمين أن يسألوا الله له الوسيلة، وبيَّن أن من سألها له حلت له شفاعته يوم القيامة، كما أنه من صلَّى عليه مرة صلَّى الله عليه عشرًا، فإن الجزاء من جنس العمل.

٩ - قول النبي ﷺ: «**من استمع إلى حديثِ قوم وهم له كارهون، صُبَّ في أُذنيهِ الآنُك**»[(١)]، أي من استمع إلى حديثِ قومٍ وهم لا يريدون استماعه أو يكرهون استماعه، أما من استمع لحديث أهل الفساد ليحترز من شرهم فلا يدخل تحته.

قال ابن حجر رحمه الله: «أمَّا الوعيد على ذلك بصبِّ الآنكِ في أذنه فمن الجزاءِ من جنس العمل»[(٢)].

١٠ - قال النبي ﷺ: «**من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة**»[(٣)].

ففي الحديث حث على التعاون، وحسن التعاشر والألفة، وفيه أنَّ المجازاة تقع من جنس الطاعات، وأنَّ جزاء هذا العبد بوقوفه مع أخيه وتفريج كربته أن يفرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة المهولة، ومثله إذا ستر عليه أمرًا خاصًا به لا يحسن أن يطلع عليه الناس، فإنَّ الله يجزيه بخير منه، وهو الستر عليه يوم القيامة.

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٥٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. **والآنُك**: - بالمَدِّ وضَمِّ النُّون بعدها كاف - الرصاصُ المذاب، وقيل هو خالص الرصاص، وقيل: هو القصدير.

(٢) «فتح الباري» (١٢/٤٢٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

١١- قال النبي ﷺ: «**حوسب رجل ممن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيء، إلا أنه كان يخالط الناس، وكان موسرًا، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال: قال الله ﷻ: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه**»[١].

فهذا العبد قد وضع الله عنه وتجاوز عن ذنوبه؛ لأنه كان يتجاوز عن عباد الله تعالى.

قال ابن الملقن رحمه الله: «والعادة أنَّ الجزاء مِن جِنس العمل ثوابًا وعقابًا، كالتَّنْفيس بالتَّنْفيس، واليُسر باليُسْر، والعون بالعون، كما ذكر في هذا الحديث، ونظائره كثيرة في أحكام الدنيا والآخرة»[٢].

فلذلك؛ فإن العبد ينظر إلى مكافأة الله له بأحسن ممَّا عمل، وإن العبد كلما أحسن في عمل أحسن الله عليه من جنس عمله، لكن بأكثر وأفضل وأحسن؛ لأن المنعم الذي جازى هو الله تعالى، ولذلك يجازي في الحسنة بعشر أمثالها وفي السيئة بمثلها، ويغفر جل جلاله، فإنك تتعامل مع الغني الجواد المتفضل.

فأحسن - يا عبد الله - يُحْسَن إليك وأصلح عملك وأخلاقك وسلوكك تجد الأثر البالغ في صلاح شأنك، وصلاح أمرك، وصلاح نيتك، وصلاح ذريتك، فكلَّما أحسنت مع الناس يحسن الله تعالى إليك، وكلَّما صدقت مع الناس صدقك الله تعالى، وصدقك عند الناس، وإذا بررت إلى الناس أبر الله بك، وحبب إليك خلقه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٦١)، عن أبي مسعود رضي الله عنه.

(٢) «المعين على تفهم الأربعين» (ص٤٠٧).

فإن المسلم وهو في تعامله مع الخلق يعلم أنه ليس بمنأى عن المحاسبة والجزاء من الخالق ﷻ، والجزاء يكون من جنس العمل فـ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرَّحمٰن: ٦٠]، وإن عملت غير ذلك فإنَّ: ﴿عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الرُّوم: ١٠].

فعاقبة الشر شرًا، وعاقبة الخير خيرًا، وعاقبة الحسنات حسنات، وعاقبة السيئات سيئات، والحسنات والسيئات يراد بها أعمال الخير وأعمال الشر، كما يراد بها النِّعم والمصائب، والجزاء من جنس العمل، فمن عمل خيرًا وحسنات لقي خيرًا وحسنات، ومن عمل شرًا وسيئات لقي شرًا وسيئات.

وهكذا الإنسان ينظر إلى ما قدمت يداه وإلى ما عملت نفسه، فإنه مجزي عنه إن حسن فحسن، وإن سيئًا فسيء.

نسأل الله أن يعاملنا بعفوه وكرمه، ولطفه، وأن يستر عيوبنا، وأن يصلح نياتنا وأعمالنا.






الرسالة الرابعة

الحياء من الله

أخي الحاج:

إن من أعظم خصال الإيمان: الحياء، وهو رأس الأخلاق وزينتها، ودليل على بقيتها، وهو خلق الإسلام؛ كما جاء في الحديث عنه ﷺ: «**إِنَّ لكلِّ دينٍ خُلُقًا وَخُلُقُ الإسلام الحيَاءُ**»[(١)].

والحياء مشتقٌّ من الحياة، كما أنَّ الغيث يسمى حَيًا؛ لأن به حياة الأرض والنبات والدواب، ومن لا حياء فيه فهو ميت في الدُّنيا شقي في الآخرة، وبين الذُّنوب وبين قلة الحياء تلازم، وكلٌّ منهما يستدعي الآخر ويطلبه، ومن استحى من الله عند معصيته، استحى الله من عقوبته يوم يلقاه، ومن لم يستح من معصيته لم يستح الله من عقوبته.

وقد قال النَّبي ﷺ: «**الحياء من الإيمان**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**الحياء شعبة من الإيمان**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**الحياء لا يأتي إلَّا بخير**»[(٤)]

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٨١)، والطبراني في المعجم الأوسط (١٧٥٨)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٩٨)، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤)، ومسلم (٣٦). من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

فالحياء خير كله، ولا يأتي إلا بالخير، ولذلك فهو من شعب الإيمان، والتحلِّي به مما يقرب العبد إلى ربه تعالى.

وأعظم الحياء: الحياء من الله تعالى، وذلك أن تستحي من ربك تعالى، فلا يراك حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك، فإن ذلك من الحياء من الله سبحانه وتعالى.

قال ابن رجب رحمه الله: «واعلم أنَّ الحياء نوعان: **أحدهما**: ما كان خَلْقاً وجِبِلَّةً غيرَ مكتسب، وهو من أجلِّ الأخلاق التي يَمْنَحُها الله العبدَ ويَجبِلُه عليها، ولهذا قال ﷺ: «**الحياء لا يأتي إلَّا بخير**»، فإنَّه يكفُّ عن ارتكاب القبائح ودناءةِ الأخلاق، ويحثُّ على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها، فهو مِنْ خصال الإيمان بهذا الاعتبار ....**والثاني**: ما كان مكتسباً من معرفة اللهِ، ومعرفة عظمته وقربه من عباده، واطلاعه عليهم، وعلمِه بخائنة الأعين وما تُخفي الصدور، فهذا من أعلى خصالِ الإيمان، بل هو مِنْ أعلى درجات الإحسّان»[١].

روى الترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**استحيوا من الله حق الحياء**». قال: قلنا: يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله، قال: «**ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**»[٢].

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٥٠١).

(٢) الترمذي (٢٤٥٨)، وحسنه ابن القطان في «الوهم والإيهام» (٤/ ٤٥٢)، والنووي في «المجموع» (٥/ ١٠٥).

فحقُّ الإنسان إذا همَّ بقبيح أن يتصور أجلَّ من في نفسه حتى كأنه يراه، فالإنسان يستحي ممن يكْبُر في نفسه؛ ولذلك لا يستحي من الحَيوان ولا من الأطفال، ولا من الذين لا يميزون، ويستحي من العَالِم أكثر مما يستحي من الجَاهل، ومن الجماعة أكثر مما يستحي من الواحد.

والذين يَستحي منهم الإنسان ثلاثة: الناس، ثم نفسه، ثم اللَّه ﷻ.

ومن استحيا من الناس ولم يستحِ من نفسه فنفسه عنده أخس من غيره.

ومن استحيا منهما ولم يستحِ من اللَّه فلعدم معرفته بالله ﷻ، فإن الإنسان يستحي ممن يعظمه ويعلم أنه يراه أو يسمع نجواه فيبكته، ومن لا يعرف اللَّه فكيف يستعظمه، وكيف يعلم أنه مطلع عليه، ويا خذلان من جعل الله أهون المطَّلعين عليه!

والحياء من الله تعالى: أن يحفظ المرء رأسه وما وعى من سمع وبصر ولسان، فلا ينظر ولا يتكلم ولا يسمع إلا بما يرضي الله تعالى، فلا يُطلق بصره ولا سمعه ولا لسانه في المحارم، فإنَّ حِفْظَ الرأس وما وعاه من سمع وبصر ولسان وعقل عما يغضب الله تعالى من الحياء من الله.

وأن يحفظ بطنه، فلا يدخل إليه حرامًا، فإن ذلك من الحياء من الله تعالى، فإذا دعتك النفس إلى مطمع من مطامع الدنيا، أو باب من أبواب الحرام من مأكل أو مشرب، فتذكر الله تعالى واستحي منه، فمن حفظ بطنه من أن ينزل إليه ما يغضب الله تعالى، فهذا هو الحياء من الله.

ويجب على المرء أن يذكر الموت، وأن يعلم أنه إلى الآخرة

صائر، وأن الموت لا شك بك نازل، وأن هذه الحياة مرحلة عمل، وغدًا حساب على ما عملت، فإذا تذكر الإنسان أنه من هذه الدنيا منتقل، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [العَنكبوت: ٥٧]، وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرَّحمٰن: ٢٦]، فإنه يبعد عمًّا يغضب الله تعالى، ويتحلى بطاعته سبحانه.

اللهم اجعلنا ممن يستحون منك حق الحياء، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.






الرسالة الخامسة

انحراف الخوارج وضلالهم

أخي الحاج:

أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذُهَيبةٍ في أديم مَقْرُوظ،(١) لم تحصل من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر، فقال رجل: كنَّا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساء**»، فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كث اللحية، محلوق الرأس، مشمر الإزار، فقال يا رسول الله اتق الله، قال: «**ويلك، أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله**» قال: ثم ولى الرجل، قال خالد بن الوليد: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ قال: «**لا، لعله أن يكون يصلي**»، فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسول الله ﷺ: «**إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم**»، قال: ثم نظر إليه وهو مقف، فقال: «**إنه يخرج من ضئضئ(٢) هذا قوم يتلون كتاب الله**

---

(١) قوله: (أديم مقروظ)، أي: أي مدبوغ بالقرظ وهو ورق السلم، وقوله: (لم تحصل من ترابها)، أي: أي لم تخلص وتصف حتى يثبت منها التبر. ينظر: «مشارق الأنوار» (١/ ٢٠٥)، «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٤٣).

(٢) قوله: «ضئضئ هذا»، أي: من أصله، والضئضئ أصل الشيء ومعدنه، وقيل نسله. «مشارق الأنوار» (٢/ ٥٥).

رطبًا، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود»[(١)].

وفي رواية: أنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، اعدِلْ، فقال: «**ويلك ومَن يعدل إذا لم أعدل؟! قد خبتَ وخسرتَ إن لم أكن أعدل**»، فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه، فأضرب عنقه[(٢)].

وفي رواية أنه قال في وصفهم: «**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**»[(٣)].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بعدي من أمتي - أو سيكون بعدي من أمتي - قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حَلاقيمَهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخَلِيقة**»[(٤)].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيخرج قوم في آخر الزمان، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة**»[(٥)].

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن أبي غالب قال: لما أتي برؤوس

---

(١) البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).

(٢) البخاري (٣٦١٠).

(٣) أخرجها البخاري (٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤).

(٤) أخرجه مسلم (١٠٦٧).

(٥) أخرجه البخاري (٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦).

الأزارقة - وهم فرقة من فرق الخوارج - فنصبت على دَرَج دمشق، جاء أبو أمامة ﵁ فلمَّا رآهم دمعت عيناه فقال: «كلاب النار، ثلاث مرات، هؤلاء شر قتلى قتلوا تحت أديم السماء، وخير قتلى قتلوا تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء»، قال: فقلت: فما شأنك دمعت عيناك؟ قال: رحمة لهم إنهم كانوا من أهل الإسلام. قال: قلنا: أبرأيك قلت: هؤلاء كلاب النار، أو شيء سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: إني لجريء بل سمعته من رسول الله ﷺ غير مرة ولا اثنتين ولا ثلاث قال: فعد مرارًا[(١)]

هذه بعض الأحاديث التي جاءت في السنة النبوية للتحذير من أخطر فرقة وجماعة خرجت في تاريخ الإسلام وهي (الخوارج)، ولا يزال لها انتشار إلى اليوم بمعتقداتها وأفكارها الفاسدة.

وسموا: (خوارج)، لخروجهم على خيار المسلمين، وعلى الجماعة، وعلى الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه؛ سواء كان في زمن الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان يكون فيه إمام له بيعة شرعية من أهل الحل والعقد ومن دونهم.

ولم يأت في السنة النبوية تحذير من فرقة بعينها من فرق هذه الأمة - التي ذكر النَّبي ﷺ أنها ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة - كما جاء في الخوارج، فقد ورد فيهم عدد من الأحاديث الصحاح والحسان تجاوزت العشرين حديثًا.

---

(١) أحمد (٢٢١٨٣)، الترمذي (٣٠٠٠)، وابن ماجه (١٧٦)، والبيهقي (١٦٧٨٢)، وصححه الألباني.

قال ابن أبي العز رحمه الله: «وقد ورد في ذم القدرية أحاديث في السنن... وروي في ذم القدرية أحاديث أخر كثيرة، تكلَّم أهل الحديث في صحة رفعها، والصحيح أنها موقوفة، بخلاف الأحاديث الواردة في ذم الخوارج، فإنَّ فيهم في الصحيح وحده عشرةَ أحاديث، أخرج البخاري منها ثلاثة، وأخرج مسلم سائرها»(١).

ولعل من أسباب كثرة الأحاديث المحذرة منهم، والله أعلم:

١ - عِظَم ضررهم المتحقق على الأمة الإسلامية، مفارقة لها، وقتلاً للمنتسبين لها.

٢ - التباس أمرهم على عامَّة الناس واغترارهم بهم لصلاح ظاهرهم، فسيماهم سيما أهل الخير والصلاح، ولكنَّ اعتقادهم في المسلمين، وأفعالهم فيهم تخالف ذلك.

٣ - تخوضهم في الدماء واستهتارهم بها.

٤ - خروجهم على جماعة المسلمين وولاتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الخوارج دينهم المعظم: مفارقة جماعة المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم»(٢).

وصفاتهم الواردة في السنة عديدة:

منها: أنهم: «**حدثاء الأسنان**»، فهم في الغالب صغار السن، وهذا واضح في هذا الزمان.

---

(١) «شرح الطحاوية» (٢/ ٧٩٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٢٠٩)، وينظر: (٣/ ٢٧٩).

ومنها: أن فيهم طيش وسَفه وغرور وتعالي على الأمّة، وما ذلك إلا لرداءة عقولهم وفسادها.

ومنها: سوء فهمهم للقرآن الكريم، فلا يعقلون آياته ولا يفهمون أحكامه، إنما يتلون حروفه ولا يتجاوز حناجرهم إلى قلوبهم. وهذه الصفة من الصفات الواضحات لهم في زماننا هذا، فلا فقه لديهم في الدِّين، ولا يشتغلون بطلب العلم، ولم يُعرف عنهم تلقيه عن العلماء الكبار.

ومنها: اتخاذهم شعارًا في كل زمان، كما قال ﷺ: «**سِيمَاهُمْ التَّحْلِيقُ**»، وهذه السِّيْما - أي حلق الرؤوس - سَيما أوَّلهم كما كان ذو الثديَّة، وليس هو وصفٌ لازم لهم، بل يتغير في كل زمان، وتكفيرهم للمسلمين.

ومنها - وهي من أعظمها -: استباحة دماء المسلمين الموحدين، وهذا صفة سائر الخارجين؛ فإنهم يستحلون دمَاء أهل القبلة لاعتقادهم أنهم مرتدون، أكثر مما يستحلّون من دماء الكفار الذين ليسوا مرتدين، كما قال ﷺ: «**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**»، ومن تأمل حالهم هذ الزمان وجد انطباق هذا الوصف عليهم، فكم فرقوا بين المسلمين بتكفيرهم واستحلال دمائهم، فكانوا عونًا لأعداء الأمة ضدها، والطعن على الأمراء ونسبتهم إلى الضلال.

ومنها - وهي من أشر صفاتهم -: التأليب على الحكام وذكر معايبهم والخروج عليهم، وهذا صفات الخوارج وأتباعهم، فلا تكف ألسنتهم في الطعن في أمراء المسلمين، وتضليلهم وتكفيرهم.

فإنَّهم لما فتحوا باب الشرِّ في زمان عثمان ﷺ وأنكروا على عثمان جهرة، ثم قتلوه ﷺ، وقعت الفتنة والقتال والفساد الذي لا يزال الناس في آثاره إلى اليوم، فكانوا هم سبب الفتنة بين علي ومعاوية ﷺ، وقتل فيها جمع كثير من الصحابة وغيرهم، وكلُّ ذلك كان مبدؤه: الإنكار العلني وذكر العيوب علنًا، حتى أبغض النَّاس ولي أمرهم وقتلوه

وما أصدق ما قاله ابن كثير ﷺ عنهم: «وهذا الضربُ من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوَّع خلقه كما أراد وسبق في قدره العظيم، وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج: إنهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤]»[(١)].

خرجوا على عثمان بن عفان ﷺ زوج بنتي رسول الله ﷺ، والمبشر بالجنة من رسول الله ﷺ، وثالث الخلفاء الراشدين، وهو الذي قال عنه ﷺ: «**ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم**»[(٢)].

فخرجوا عليه؛ لأنه في رأيهم قد ضلَّ وانحرف، وأنه يجب إصلاح الحال بالخروج عليه، بل بقتله، فخرجوا عليه وقتلوه، وليس على وجه الأرض يوم قتله أبر ولا أتقى ولا أصلح منه ﷺ.

ثم توالت أعمالهم الإجرامية وفكرهم الضَّال في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ الذي شهد له النَّبي ﷺ بمحبة الله له ومحبة رسول الله له، حيث قال: «**لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله**

---

(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ٥٨٠).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٠٦٣٠)، وفي «فضائل الصحابة» (٧٣٨)، والترمذي (٣٧٠١).

ورسوله، **ويحبه الله ورسوله**»[(١)]، فأعطاها له، وهو المبشر بالجنة، وزوجُ البَضْعَة[(٢)] النَّبويَّة فاطمة ﵂، وابن عمه ﷺ، فخرجوا عليه وقتلوه.

وقَاتِلُ عليٍّ ﵁ إنما أراد بذلك - بزعمه - أن يتقرَّب إلى ربه، ولذلك مدحه شاعرهم بقوله:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ عند ذي العرش رضوانًا

وردَّ عليه بعض أهل العلم فقال:

بل ضربة من شقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش خسرانا

إني لأذكره يومًا فأحسبه أشقى البرية عند الله ميزانا

فقتل هذا الشقيُّ عليّاً ﵁، وهو أتقى أهل الأرض يومئذ، وأبرهم وأخشاهم لله، ومع ذلك يتقرب هذا الشقي إلى الله بقتله.

وتأمَّل - يا عبد الله - هذه القصة:

أَسَر الخوارج عبد الله بن خباب رضي الله صاحب رسول الله ﷺ هو وامرأته وهي حامل فقالوا له: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله، ﷺ، وأنتم قد رَوَّعتموني. فقالوا: لا بأس عليك، حدثنا ما سمعت من أبيك؟ فقال: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: «ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي»، فقادوه بيده، فبينما هو يسير معهم إذ لقي بعضهم خنزيرًا لبعض أهل الذِّمَّة فضربه بعضهم بسيفه فشق جلده،

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٤).

(٢) أخرج البخاري (٣٧٦٧) أن رسول الله ، قال: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني»، بضعة: بفتح الموحدة وحكي ضمها وكسرها أيضًا وسكون المعجمة أي قطعة لحم.

فقال له آخر: لم فعلت هذا وهو لذمي؟! فذهب إلى ذلك الذِّمي فاستحلَّه وأرضاه، وبينما هو معهم إذ سقطت تمرة من نخلة فأخذها أحدهم فألقاها في فمه، فقال له آخر: بغير إذن ولا ثمن؟! فألقاها ذاك من فمه.

ومع هذا الورع البارد الفاسد: قَدَّموا عبد الله بن خباب فذبحوه، وجاءوا إلى امرأته فقالت: إني امرأة حبلى ألا تتقون الله ﷻ! فذبحوها وبقروا بطنها عن ولدها[١].

أي دين هذا الذي يجعل هذا الخارجي يتورع عن قتل خنزير نجس، ويقتل صحابي من صحابة رسول الله ﷺ! وأي دين يجعل هذا الخارجي يتورع عن أكل تمرة ساقطة، ولا يتورع عن قتل امرأة صحابي وجنينها الذي في بطنها!

فهذه العقيدة الفاسدة وهذا الفكر الضال المنحرف خطر داهم على الأمة، وقد حذر منه النَّبي ﷺ، ووصف العلاج تجاههم بقوله: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»[٢].

فاستئصال هذا الفكر يكون باستئصال أصحابه، وذلك لاستفحال شرهم، وخطرهم، وضررهم على الأمة.

فكل من اعتنق فكرهم وخرج على المسلمين فإنه يجب قتاله واستئصال شره، كما أوجب النبي صلى الله عليه سلم قتل أسلافهم.

فهم يطعنون الأمة في خاصرتها، ويغدرون، ويفجرون، ويخونون، ويقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان.

---

(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ٥٨٤)

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤).

=

ولذلك قال النَّبي ﷺ، لما سأله حذيفة رضي الله عنه: وهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه فيها**»، قال: صفهم لنا يا رسول الله. قال: «**هم قوم من بني جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا**»، فقال حذيفة: فما المخرج إن أدركتهم؟ فقال ﷺ: «**أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»(١).

فهذا هو المخرج الشرعي، ليس هناك مخرج غير ذلك، وإلَّا لبيَّنه الرسول ﷺ، فعلى المؤمن أن يعرف المنهج الشرعي في هذا الأمر.

فهذه الفتن التي أطلَّت برأسها النتن الخبيث على الأمة خطيرة للغاية، والواجب على المؤمن تجاه هذا أن يلزم جماعة المسلمين، وإمامهم، وأن يَحذَر من فكر هذه الفرقة، ويحذِّر منها من تحته ومن حوله، وخاصَّة الشباب منهم، فإنَّ خطرهم عظيم، ووباءهم كبير، واستهتارهم بالدماء المعصومة أمرٌ مشاهد، فإنَّ قتل المسلم أو المعاهد والذمي والمستأمن أسهل عندهم من قتل البهيمة والعياذ بالله.

نسأل الله أن يكفينا شرَّهم، وأن يجعل تدبيرهم تدميرًا لهم، وأن يحفظ علينا ديننا وأمننا، وأن يحفظ بلاد المسلمين من كل باغٍ وخارجٍ.



---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧).



الرسالة السادسة

وصايا نبوية عظيمة

أخي الحاج:

إنَّ بلاغة النَّبيِّ ﷺ من مظاهر تفرده، ومن أعظم دلائل نبوته، وكان منطقه في الذروة العليا من كلام العرب الذين تمت فصاحتهم في حين بعثته ﷺ.

وكان ﷺ ذا لسان مبين، ومنطق مستقيم، لا يعاب عليه قول، ولا ينطق بهُجرٍ، وصاحب الحكمة البالغة والكلمة الصادقة وقد أحاط الله منطقه بالعناية، ووصفه بالبيان؛ فقال ﷻ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النَّجم: ٣-٤].

وقد أوتي ﷺ جوامع الكلم، وسَواطع الحِكم، من عند رب العالمين، فكلامه أشرف الكَلم وأفضله، وأجمع الحِكم وأكملها بعد كلام الله ﷻ.

وكان من خصائص لفظه ﷺ ما وصفه هو ﷺ فقال في حديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**بُعِثتُ بِجَوامعِ الكَلِم**»[1]، وفي رواية مُسلم: «**فضِّلتُ على الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوامعَ الكَلِمِ**»[2].

---

(١) البخاري (٢٩٧٧)

(٢) مسلم (٥٢٣).

فحديث رسول الله ﷺ تجد فيه أصول الهداية، ودقيق العلم، ولطيف الإشارة؛ كل ذلك في بيان عالٍ مع فصاحة وسماحة منطق.

والكَلم: جمع كلمة، والجوامع: جمع جامعة، كضاربة وضوارب.

والمعنى: أنَّه ﷺ مُكِّن من الألفاظ المختصرة التي تدل على المعاني الغزيرة.

وأنت إذا تأمَّلت في كلامه ﷺ وجدت جُلَّ كلماته جاريةً على هذا السبيل، فكلامه ﷺ قريب من النفوس.

شاهدُ ذلك: أنَّ رجلاً جاء إليه ﷺ، فقال يا رسول الله: عِظْني وأوجز، فقال ﷺ: «**إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع، ولا تكلم بكلام تعتذر منه، وأجمع اليأس عما في أيدي الناس**»(١).

هذه ثلاث وصايا عظيمة:

الوصية الأولى: «إذا قمت إلى صلاتك فصل صلاة مودع».

وهذه الوصية في أمر عظيم، له شأن كبير، يتعلَّق بأعظم أركان الدِّين بعد الشهادتين، وهو الصَّلاة بحسن أدائها، والقيام بها على أكمل وجه.

ومما يعين على ذلك: أن العبد يستشعر وهو يصلي أن هذه الصلاة هي آخر صلاة يصليها، وأنه بعد ذلك ستقبض روحه، ولن يتمكن من صلاة غيرها، فليكن هذا الحال في كل صلاة تصليها، أن تستشعر أن

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٤٩٨)، وابن ماجه (٤١٧١)، ينظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٧٥٩/١).

هذه الصلاة هي آخر صلاة تؤديها، فستجمع قلبك في هذه الصلاة فتؤديها بخشوع وتدبُّر لما تقول وتتلو، وإتمام ركوعها وسجودها وأركانها، مع الانطراح بين يدي الله تعالى، فإن هذه الصلاة من أعظم الأسباب لصلاح العباد.

فمن استشعر أنه مودع بصلاته، وانها آخر صلاة له أتقنها على أكمل وجوهها، وأحسن كيفيتها، وخشع فيها.

والصلاة على هذا الوجه: تنهى صاحبها عن كل خلق رذيل، وتحثه على كل خلق جميل؛ لما تؤثره في نفسه من زيادة الإيمان، ونور القلب وسروره، ورغبته التامة في الخير

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ [العَنكبوت: ٤٥].

فهي من أعظم الأسباب التي تعين على صلاح العبد، وعلى بعده عن كل سوء وفحشاء ومنكر، ولذلك إذا أحسن العبد الصلاة بإتمام ركوعها وسجودها، وبالخشوع فيها فإن ذلك خير له وسبب لجذب الراحة والطمأنينة والسعادة والاستقرار في حياته وفي قلبه، فضلًا عن آخرته.

ولذلك كان النَّبي ﷺ يقول: «**قم يا بلال فأرحنا بالصلاة**»[(١)]، وفي الحديث الآخر قال: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[(٢)]، وكان ﷺ إذا

(١) أخرجه أحمد (٢٣٥٥٨)، وأبو داود (٤٩٨٥)، وصححه الألباني.
(٢) أخرجه أحمد (١٤٠٣٧)، والنسائي (٣٩٤٠)، وصححه ابن حجر في «فتح الباري» (١١/٣٥٣)..

حزبه أمر صلَّى[1].

فالصلاة صلة بين العبد وربه، وهي سبب للسعادة في الدنيا والآخرة، وفيها راحة للقلوب، وهي قرة عين ونعيم للروح بشرط أن يقبل عليها، وأن يحضر فيها بقلبه، ويخشع فيها لله، وأن يستحضر أنَّها عمود الإسلام، وأنَّها مناجاة للربِّ ﷻ ووقوف بين يديه، فبذلك يرتاح فيها، وتقر عينه، ويجد لذة لها في نفسه، في قيامه وقراءته وركوعه وسجوده، وسائر ما شرع الله فيها.

الوصية الثانية: «ولا تكلم بكلام تعتذر منه».

أصله: ولا تتكلم. وإنما حذفت إحدى التاءين تخفيفًا.

وهذه وصية بحفظ اللسان، وليس المقصود منها ألا تعتذر، فمن أخطأ ولم يعتذر فقد أساء مرتين.

وإنَّما المراد أن تحفظ لسانك مما لا يحسن الكلام به، فيحوجك ذلك الكلام إلى الاعتذار.

والعبد يهوي بالكلمة الواحدة في النِّار أبعد ما بين المشرق والمغرب كما قال نبينا ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق**»[2]، فالعاقل من صان لسانه وحفظه.

ولذلك قال: «**ولا تكلم بكلام تعتذر منه**»، أي: فتندم عليه، وتبحث عن الأعذار عن هذا الكلام، بل؛ ليسعك الصمت.

---

(١) أخرج أحمد (٢٣٢٩٩)، وأبو داود (١٣١٩) عن حذيفة ﷺ قال: «كان النبي ﷺ إذا حزبه أمرٌ صلى»، وحسَّنه ابن حجر في «فتح الباري» (٣/ ٢٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

فإذا كان هذا الكلام سيحوجك إلى الاعتذار والنَّدم عليه غدًا، فلا تتكلم به اليوم، ولذلك قال النَّبي ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت**»[١].

فالكلام إذا أردت أن تتكلم به على ثلاثة أحوال:

الحال الأولى: أن يكون خيرًا، والإنسان مطلوب منه أن يتكلم بالخير.

الحال الثانية: أن يكون شرًا، ولا يجوز للإنسان أن يتكلم بالشر.

الحال الثالثة: أن يكون مترددًا، لا يدري هل هو من الخير أم من الشر؟ والأمر في ذلك أيضًا أن يلزم الصمت.

وتأمل هذه الوصية من الإمام النَّووي رحمه الله حيث يقول: «اعلم أنَّه ينبغي لكل مكلَّف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام، إلا كلامًا ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتَركه في المصلحة، فالسُّنة الإمساك عنه؛ لأنه قد ينجرُّ الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وذلك كثير في العادة، والسَّلامة لا يعدلها شيء»[٢].

ففي حالين يكون الصمت فيهما خير وأنقى وأنجى للعبد، ولا يتكلم إلا إذا علم أنَّ كلامه فيه الخير والفائدة والنفع.

ولذلك قال العلماء في معنى قول النَّبي ﷺ: «**ولا تكلم بكلام تعتذر منه غدًا**»، إمَّا أن يتكلم بكلام يعتذر منه غدًا؛ أي: في الحياة،

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٥)، ومسلم (٤٧).

(٢) «رياض الصالحين» (ص٢٧٦).

فيندم عليه ويعتذر، وإن لم يكن كذلك فيكون المراد به يوم القيامة، يوم تبلى السرائر ويحاسب العبد على لكل كلمة تكلم بها.

ولذلك في كل يوم يصبح فيه العباد تُكفِّر الأعضاء اللسان، فتقول: «**اتَّقِ الله فينا، فإنَّما نحنُ بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا**»[١].

وهذا فيه دلالة على عِظم خَطر ما يتكلَّم به الإنسان، وأنه مؤاخذ به، سواء الكلام باللسان أو الإشارة باليد، وانظر لحال الخوارج في القديم والحديث؛ فإنَّ مبدأ خروجهم على الأمَّة والحكَّام لم يكن بالسيف، وإنما كان بالكلام، نعوذ بالله من حالهم.

فالعبد مؤاخذ بما يتكلم، وبما يكتب؛ لأن اليدَ أحد اللسانين[٢]، والكلام بالكتابة يبقى ويدوم، ولذلك فإنَّ ضرره سواء كان بما يتعلق بوسائل التواصل أو بالكتب والرسائل، أو غير ذلك، فالإنسان سيؤاخذ بما يقول وبما يكتب.

وما من كاتب إلا سيفنى ... ويُبقي الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيء ... يسرك في القيامة أن تراه

فانظر إذا أردت أن تكتب، هل هذا يسرك في القيامة أن تراه، وتظن أنه في صحائف أعمالك الحسنى، أو امتنع منه قبل ألا يكون هناك مجال للاعتذار، وإنما التقاضي بالحسنات والسيئات.

---

(١) أخرجه أحمد (١١٩٠٨)، والترمذي (٢٤٠٧)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٩٣).

(٢) قالت العرب: «القلمُ أحدُ اللسانين»، «البيان والتبين» (١/ ٨٥)، «عيون الأخبار» (١/ ١٠٧).

الوصية الثالثة: «وأجمع اليأس عما في أيدي الناس».

يعني اعزم واعقد قلبك على اليأس بما في أيدي الناس، وعلِّق قلبك ورجاءك بالله وحده، فلا تتعلق بالناس وبما في أيديهم، وإنما عَلِّق قلبك بالله تعالى، ومن توكَّل على الله فهو حسبه وهو كافيه وهو نعم المولى ونعم النصير.

وكلما كان الإنسانُ صاحبَ طمع وحرص تطلَّع إلى ما عند الغير؛ مِمَّن هو فوقه؛ لأن الإنسان إذا رأى من فضل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى، وحرص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه، هذا هو الموجود في غالب الناس.

واعلم أنّ اليأس عمَّا في أيدي النَّاس هي العِفة التي يؤتيها الله من تعفف ووطَّن نفسه عليها، كما قال ﷺ: «**ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله**»[١].

ومن أَيس من شيءٍ استغنى عنه وهذا شيء مجرب، ولكن ليكن قلبك معلقًا بالله ﷻ، فكما أنك لا تسأل بلسانك إلا الله، فلا تعلِّق قلبك إلا بالله، فتبقى عبدًا لله حقيقة، سالمًا من عبودية الخلق، ومن النظر إلى ما بأيديهم، واكتسبت بذلك العزَّ والشرف؛ فإنَّ المتعلق بالخلْق يكتسب الذلَّ والسُّقوط بحسب تعلقه بهم، وتأمَّل حال الناس تجد مصداق ذلك.

أسأل الله أن يغنينا بحلاله عن حرامه، وان يجعلنا أفقر عباده إليه، وأغناهم به.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (١٧٤٥).

الرسالة السابعة

جهود ولاة أمر المملكة العربية السعودية في خدمة الحرمين الشريفين وقاصديهما

أخي الحاج:

لعلَّك تقرأ أو تسمع بعض تصريحات ولاة أمر هذه البلاد المباركة - المملكة العربية السعودية - التي تؤكِّد حرصهم - حفظهم الله - على كلِّ ما من شأنه رِفعة أمر المدينتين المقدستين: مكة المكرمة، والمدينة المنورة.

بل قد نصَّ النظام الأساسي للحكم - وهو يقابل الدستور في الدول الأخرى - في مادته الرابعة والعشرين: «تقوم الدولة بإعمار الحرمين الشريفين، وخدمتهما، وتوفر الأمن والرعاية لقاصديهما، بما يمكن من أداء الحج والعمرة والزيارة بيسر وطمأنينة».

وهذا الأمر نابع من عقيدة راسخة تلقاها ملوك هذه البلاد من الملك المؤسس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في الاهتمام بهاتين المدينتين المقدستين، وصيانتهما من كل ما يشوب صفو مرتاديهما في دينهم وأمنهم، ويعكِّر عليهم روحانيتهم فيها.

فلا يجد الزائر لهاتين المدينتين المقدستين مظهرًا من مظاهر الشركيات أو البدع فيهما، ولله الحمد.

كما أنَّ من دخلهما شَعَرَ بأمنٍ وأمانٍ، مما يفرِّغه لما أتى من أجله من العبادة والتأله لله ﷻ.

ودعني أحدثك قليلاً عن تاريخ هذه البلاد قبل توحيدها على يد الملك الصالح عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله وغفر له، وجزاه عن المسلمين خير الجزاء:

كانت الحياة في جزيرة العرب قبل توحيدها مأساة حقيقية من جميع جوانبها: في الحرب والسلم، في البادية والحضر، وحسبك أن تعلم أنَّ كل بلدة لها سورة تتسور به من أعدائها الذين هم جيرانها وقد يكونوا أبناء عمومتهم!

ومع الخوف من القريب المعروف كان هناك قطَّاع الطرق الذي يجوسون الديار ويتربصون بأصحاب القوافل شرًا لسلبهم ونهبهم، ولم يسلم منهم الحجاج والمعتمرون!

فأبدلهم الله على يد الملك الصالح عبد العزيز آل سعود رحمه الله بعد خوفهم أمنًا، وبعد فقرهم غنى، وبعد تشرذمهم اجتماعًا، وبعد تنافرهم محبة، وبعد حربهم سلمًا. فلله الحمد من قبل ومن بعد.

ودونك هذا الحادثة ودلالاتها، قال الأمير شكيب أرسلان اللبناني وكان قد حجَّ عام ١٣٤٨هـ:

«كنت صاعداً مرة من مكة إلى الطائف وكانت معي عباءة إحسائية سوداء، جعلتها وراء ظهري في السيارة، فيظهر أنها سقطت من السيارة في أرض ولم نتنبه لها، فأخذ الناس يمرون، فيرون هذه العباءة ملقاة على قارعة الطريق، فلا يجرؤ أحد أن يمسَّها، بل شرعت القوافل تتنكَّب

عن الطريق، حتى لا تمر على العباءة؛ خشية أنه إذا أصاب هذه حادث يكون من مرَّ من هناك مسؤولاً، فكانت هذه العباءة على الطريق أشبه بأفعى يفر الناس منها، بل لو كانت ثَمَّة أفعى ما تجنبوها هذا التجنب كله.

وأخيراً وصل خبرها إلى أمير الطائف فأرسل سيارة أتت بها، وأخذ بالتحقيق عن صاحبها فقيل له: إننا نحن مررنا من هناك، وإن الأرجح كونها سقطت من سيارتنا، فجاء الأمير ثاني يوم يزورنا وسألنا: هل فُقِد لكم شيء من حوائجكم في أثناء مجيئكم من مكة؟ فأهبت برفاقي ليتفقدوا الحوائج، فافتقدوها فإذا بالعباءة السوداء مفقودة، وكنا لم ننتبه لفقدانها، فقلنا له: عباءة سوداء إحسائية قال: هي عندنا، وقص علينا خبرها».

إلى أن قال: «وقد أتيت على هذه النادرة هنا مثلاً من أمثال لا تعد ولا تحصى من الأمن الشامل للقليل والكثير في أيام الملك عبد العزيز مما لم تُحدِّث عن مثله التواريخ حتى اليوم، فالمكان الذي سقطت فيه العباءة كان في الماضي كثيراً ما تقع فيه وقائع السلب والقتل، ولا يمر الناس فيه إلا مسلَّحين، فأصبح إذا وجدت لقطة هناك على قارعة الطريق تجنب الناس الطريق لئلا يتهموا بها إذا فقدت، وكل يوم يأتي الشرطة والخفراء والعسس بلُقَط وحاجات ضائعة مما فقده السُفَّار أو سقط بدون انتباه عن الأكوار، وذلك إلى دائرة الأمن العام، فتبحث عن أصحاب هذه اللقطات وتردها لهم مما يقضي بالعجب.

ولو لم يكن من مآثر الحكم السعودي سوى هذه الأَمَنة الشاملة الوارفة الظلال على الأرواح والأموال التي جعلت صحاري الحجاز

وفيافي نجد آمن من شوارع الحواضر الأوروبية لكان كافيًا في استجلاب القلوب إليه، واستنطاق الألسن في الثناء عليه.

فاليوم نَجِد التاجر، والفلاح، والحادي، والملاح، والحاج القاصد على الضوامر، أو على الجواري المنشآت بالدُّسر والألواح، يتحدثون بنعمة هذا الأمن الذي أنام الأنام بملء الأجفان، وجعل الخلق يذهبون ويجيؤون في هاتيك الصحاري، وقد يكون معهم الذهب الرنان، وهم بلا سلاح ولا سِنان، فلا عمران للبلاد إلا بالأمان والاطمئنان.

حدثني بعض الأشراف الهاشميين من أولاد أمراء مكة أنفسهم أنهم كانوا في القرى التي لهم حول الطائف يوصدون أبوابها ليلاً، ولا يفتحونها لأي طارق خيفة الغيلة، وحذرًا من سطو اللصوص، حتى جاء هذا العهد السعودي فصاروا يأمنون أن يبيتوا وأبوابهم مفتحة، وصاروا يفتحون لأي طارق جاءهم.

وحدثني الجميع أنهم كانوا لا يقدرون على التجوال إلا مسلحين، فأصبح الآن كل إنسان يجول في الحواضر والبوادي أعزل لا يحمل شيئًا ولا السكين، وقد يكون حاملاً الذهب ولا يخشى عادية ولا حادثة، وكثيرًا ما يترك الناس أوقار دوابهم في قارعة الطريق وتبقى أيامًا وليالي إلى أن يعود أصحابها فيأخذوها، ولا يتجرأ أحد أن ينظر إليها»[(١)].

وكان المسلمون يعيشون تفرقًا عظيمًا في أعظم بقعة تجمعهم وفي أعظم عمل يؤدونه لله رب العالمين!

---

(١) «الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف» (ص١٨٦)، وقد حصل للأديب إبراهيم المازني في حجٍّ عام ١٣٥٠هـ قصَّة مماثلة، ذكرها في كتابه «رحلة إلى الحجاز» (ص ٦٧).

فقد كان الحرم المكّي فيه أربعة مقامات، لكلٍّ مذهب فقهي من المذاهب الأربعة إمام يصلي بمتبوعيه، ولا يصلي معهم غيرهم! حتَّى وفَّق الله الملك عبد العزيز ﷺ إلى إزالة هذا الأمر وجمع المسلمين الموحدين على إمام واحد؛ فاجتمعت القلوب باجتماعهم على إمام واحد، وهذا أثر واضح من آثار الأمن .

فقد تكلّم الرّحّالة ابن جبير في رحلته عند مروره بمكة سنة ٥٧٨هـ، عن وجود أربعة أئمة سنّية للحرم، فأوّلهم إمامةً الشافعيُّ، ويصلي خلف مقام إبراهيم عليه السلام، ثم المالكي ويصلي قِبالة الركن اليماني، ثم الحنفي ويصلّي قِبالة الميزاب، ثم الحنبلي - وصلاته مع المالكي في حينٍ واحدٍ - وموضع صلاته يقابل ما بين الحجر الأسود والركن اليماني. إلا صلاة المغرب يصلونها في وقت واحد مجتمعين لضيق وقتها، قال: «يبدأ مؤذن الشافعي بالإقامة، ثم يقيم مؤذنو سائر الأئمة، وربما دخل في هذه الصلاة على المصلين سهوٌ وغفلة لاجتماع التكبير فيها من كل جهة، فربما ركع المالكي بركوع الشافعي أو الحنفي، أو سلَّم أحدهم بغير سلام إمامه»(١)

قال الشيخ أحمد شاكر ﷺ: «بل قد بلغنا أن هذا المنكر كان في الحرم المكي، وأنه كان يصلي فيه أربعة أئمة، يزعمونهم للمذاهب الأربعة، لكننا لم نَرَ ذلك، إذ أننا لم ندرك هذا العهد بتمامه، وإنما حججنا في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وسمعنا أنه أبطل هذه البدعة، وجمع الناس في الحرم على إمام واحد راتب، ونرجو

(١) «رحلة ابن جبير» (ص٧٨).

أن يوفّق الله علماء الإسلام لإبطال هذه البدعة في جميع المساجد في البلدان، بفضل الله وعونه، إنه سميع الدعاء»[١].

ومن مفاخر المملكة العربية السعودية: ما تقوم به من حماية التَّوحيد، ومحاربة الشرك ووسائله وصوره، ومن أعظم تلك الوسائل والصور: إزالة القباب والمشاهد المحرمة التي كانت في مقبرة البقيع خاصة، وغيرها من المقابر في أنحاء المملكة كلها.

وإنَّ من نعم الله على أهل الإسلام: هذه البلاد المباركة التي قامت على حماية التوحيد الذي جاءت به الرسل، وإزالة الشرك من أرضها، فلا ترى فيها - ولله الحمد والمِنَّة - قبرًا يعبد، ولا ضريحًا بنيت عليه قُبَّة، ولا مَسجدًا به قبر، ولا ترى فيها مظهرًا من مظاهر الشرك، بل لا يصل إلى ولاة الأمر بخبر وجود قبر يُتردد إليه، أو بئر أو شجر يتبرك بها، أو غير ذلك؛ إلا ويزال.

قال الشيخ محمد المعصومي - وهو من علماء بُخارى -: «لما تشرفت بمكة المكرمة سنة (١٣٥٣هـ) انشرح قلبي برؤية الكعبة المشرفة - زادها الله تشريفًا وتعظيمًا - ولما شهدتُ توحيد الجماعة في الصلوات الخمس زادني سرورًا؛ لاضمحلال بدعة تعدد الجماعات في هذا المسجد الشريف، وكذا هدم قباب القبور التي كانت من أضرِّ الأشياء على عقيدة المسلمين».

ومع هذا الأمن والتوحيد الخالص فإنَّ المملكة العربية السعودية لم تدخر جهدًا ولا مالاً ولا أرواحًا من أجل خدمة الحجيج كلّ عام، وكل

---

(١) «سنن الترمذي» (١/ ٤٣٢).

ما من شأنه أن يريح الحجاج ويسهِّل عليهم مناسكهم فهو في أولوياتها خاصَّة في المشاريع العملاقة التي أقامتها في مشاعر الحج، فضلاً عن توسعات الحرمين الشريفين، ومساهمة عشرات الجهات الحكومية بأفرادها لخدمة الحجاج، وتسهيل أمورهم، وتيسير الحج بسلام وراحة للحجاج القادمين من كل حدب وصوب.

وانظر - أخي الحاج - وتأمَّل إلى مشاعر الحج كيف قد يسَّرها الله في هذا الزمان على يد حكَّام هذه البلاد المباركة، فأصبحت مناسك الحج آمنة ميسرة، بفضل الله ﷻ، ثم قيام قادة المملكة العربية السعودية على كل ما من شأنه تيسير أمور الحج، وتسهيل أموره، وإنك حيثما قلَّبت نظرك وجدت مشاريع عملاقة تنطق بحبٍّ ولاة أمر المملكة العربية السعودية لهذه الشعيرة العظيمة، وتيسير أمورها للحجاج وخدمتهم.

فلو نظرت إلى مِنى أيام التَّشريق لرأيت مدينة متكاملة بُنيتْ ليقيم فيها أهلها ثلاثة أيام فقط، ولو تأمَّلت مشروع الجمرات لأبصرت قوَّة في البناء، وتيسيرًا للعباد في أشقِّ منسك يقومون به وهو رمي الجمرات، فأصبح سهلاً ميسرًا، وأصبح تنقل الحجاج في المشاعر المقدسة ميسرًا من خلال مشروع (قطار المشاعر) الذي يربط بين جنوب شرق مشعر عرفات وجنوب غرب مشعر منى (منطقة الجمرات)، عبر مشعر مزدلفة بمسار يبلغ حوالي ٢٠ كيلو مترًا، في إنشاءات مرتفعة على أعمدة في الجزر الوسطية للطرق، وامتدَّ الاهتمام إلى نُسك الهدي، فأنشأت مشروع (المملكة للإفادة من الهدي والأضاحي)، الذي يعمل فيه أكثر من أربعين ألف موظف، ويهدف الاستفادة من لحوم الهدي والأضاحي، وتوزيعها داخل المملكة وخارجها لنحو ثلاث وعشرين دولة إسلامية تحقيقا

للتكافل الاجتماعي في الإسلام، فضلاً عن الاهتمام البالغ بالجانب الصحي للحجاج من خلال إقامة المستشفيات والمراكز الصحية المؤقتة بموسم الحج فقط، وبلغت العناية بصحة الحجيج والمعتمرين بتوفير مصنع آلي متكامل لسقيا زمزم، يأخذ منها الحاجُّ حاجته من ماء زمزم لأهله بطريقة آلية نظيفة، وهذه بعض الجهود التي تدركها العين لا كلها، ولا ما يخفى عن الأعين كمشاريع التحكم بتصريف السيول، والكهرباء ونقل المياه، وغيرها.

والمسجد الحرام والمسجد النبوي قد حظيا - ولا زال - بعناية فائقة واهتمام بالغ من ولاة أمر هذه البلاد، منذ توحيدها على يد الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله، ومرورًا بأبنائه الملوك الذين تقلدوا مقاليد الأمور في المملكة العربية السعودية: سعود، ثم فيصل، ثم خالد، ثم فهد، ثم عبد الله رحمهم الله، وإلى هذا العهد الزاهر عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز - أعزه الله ونصره - كلهم تعاقبوا على البذل بسخاء لخدمة هذين المسجدين الشريفين، وتوسيع مساحتهما، وتزويدهما بمختلف الخدمات التي تليق بهما، وتسهِّل على الحجاج والمصلين والزوَّار ما قَدموا من أجله من الطاعات.

فنسأل الله أن يضاعف لهم الأجر، وأن يبارك في أعمالهم، وأن يوفق خادم الحرمين الشريفين وولي عهده لما يحبُّ ويرضى، وأن ينصر بهما الملَّة والسنة، وأن يجعل هذه الأعمال في ميزان حسناتهما.






الرسالة الثامنة

الانتفاع بالقرآن

أخي الحاج:

إن الانتفاع بهدايات القرآن ليس لكل أحد، وإنما لطائفة من الناس ذكر الله تعالى وصفهم في موضعين من كتابه.

فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [قٓ: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [قٓ: ٤٥].

فهؤلاء هم أهل الانتفاع بالقرآن، فليس الانتفاع بالقرآن بمجرد تلاوته وحفظه، بل لا بد من تدبره والعمل بما فيه.

قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [صٓ: ٢٩].

غايتان ذكرهما الله تعالى: التدبر والتذكر.

فإذا أردت الانتفاع بالقرآن فعليك أن تجمع قلبك عند تلاوته وسماعه فلا تنشغل عن معانيه، وألْق سمعك لما تقرؤه أو تستمع إليه، واحضر حضور من يخاطِب الله به، عندها ستجد لهذه التلاوة ولهذا السماع أثرًا بإذن الله تعالى.

والتدبر: هو النظر في عواقب الأمور، وما تؤول إليه[١].

ولذلك وصف النَّبي ﷺ الخوارج بأنهم يقرؤون القرآن، ولكنه لا يجاوز تراقيهم، وربما يحبرونه تحبيرًا، يقيمون حروفه، ولكن لا يجاوز حناجرهم، فما دَخَل القلب ولا وعاه القلب ولا تدبره.

والمقصود الأعظم من قراءة القرآن: فهمه وتدبره، والفقه فيه، والعمل به، كما قال بعض السلف: «نزل القرآن ليعمل به، فاتخذوا تلاوته عملاً»، ولهذا كان أهل القرآن هم العالمون به، والعاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب.

وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه، فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم.

ولذلك قال الحسن البصري رحمه الله: «وما تدبر آياته إلا اتباعه، والله يَعلم، أمَا والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده؛ حتى إنَّ أحدهم ليقول: قد قرأت القرآن كله فما أسقط منه حرفًا، وقد والله أسقطه كله، ما ترى القرآن له من خُلق ولا عَمل...، لا أكثر الله في الناس مثل هؤلاء»[٢].

ولذلك لا ينتفع قارئ القرآن بمجرد التلاوة إن لم يعمل، وإلا فالتلاوة عبادة وقربة، وكل حرف تقرؤه من القرآن بحسنة إلى سبعمائة، لكن الغاية هي: التدبر والعمل[٣]، ولذلك قال النَّبي ﷺ: **«يؤتى بالقرآن**

---

(١) ينظر: «التعريفات» للجرجاني (ص٥٤).

(٢) أخرجه الآجري في «أخلاق أهل القرآن» (٣٤).

(٣) أخرج الآجري في «أخلاق أهل القرآن» (٣٥) عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البَقَرَة: ١٢١] [البقرة: ١٢١] قال: «يعملون به حق عمله».

يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به»[(١)].

فأهل القرآن ليس هم الحفظة فقط، ولا الذين يقرؤونه فقط، وإنما الذين يعملون به، والقرآن حجة لك أو عليك، ورب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه، وهو من أشد الكاذبين، فيكون حجة عليه لا له.

ولذلك املأ قلبك - يا عبد الله - بموعظة القرآن وأَحِبَّها.

ولا شك أن أعظم المواعظ وأجلها كلام الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يُونس: ٥٧-٥٨].

ولا شك أن من قرأ القرآن وتدبره وأَعمَل قلبه نفعه ذلك وأورثه حب القرآن والفرح به، فمن فرح بتلاوة القرآن فقد بلغ منزلة عظيمة.

ولا شك أنَّ أرفع درجات القلوب فرحها التام بما جاء به الرسول ﷺ وابتهاجها وسرورها.

وأعظم ما يفرح به العبد - وهما فضل الله ورحمته -: القرآن والإيمان، من فَرِح بهما فقد فرح بأعظم مَفْروح به.

وأختم وصيتي لك بوصية شيخنا ابن باز ؒ حيث قال: «من الأمور التي أوصيكم ونفسي بها: الإقبال على تلاوة القرآن العظيم والإكثار منها ليلاً ونهارًا مع التَّدبر والتفكر والتعقل لمعانيه العظيمة، المُطِّهرة للقلوب، المحذرة من متابعة الهوى والشيطان... والمقصود من

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٥).

التلاوة هو التدبر والتعقل للمعاني، ثم العمل بمقتضى ذلك، كما قال تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

فبادروا - رحمكم الله - إلى تلاوة كتاب ربكم وتدبر معانيه وعمارة الأوقات والمجالس بذلك... واحذروا - رحمكم الله - ما يصدكم عن كتاب الله ويشغلكم عن ذكره من الصحف والمجلات وما أشبهها من الكتب التي ضررها أكثر من نفعها. وما دعته الحاجة إلى مطالعة شيء من ذلك فليجعل لذلك وقتًا مخصوصًا، وليقتصر على قدر الحاجة وليجعل لتلاوة كتاب الله وسماعه ممن يتلوه وقتًا مخصوصًا يستمع فيه كلام ربه، ويداوي بذلك أمراض قلبه ويستعين به على طاعة خالقه ومربيه المالك للضر والنفع والعطاء والمنع لا إله غيره ولا رب سواه»[١].

أسأل الله أن يستعملنا في طاعته، وأن يجعلنا من أهل القرآن المتدبرين له، وأن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا.



---

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٣/ ٢٤٩).




الرسالة التاسعة

محبة الرسول ﷺ

أخي الحاج:

إنَّ محبَّة رسول الله ﷺ وتوقيره وتعظيمه عبادةٌ نتقرب بها إلى الله ﷻ، وهذه المحبة إيمان، وهي تكون بالقلب واللسان والجوارح:

فمحبته بالقلب تعني: تقديم محبَّته ﷺ على النَّفس والوالد والأهل والولد، كما قال ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(١).

ومن ذلك: استشعار هيبته، والشوق لرؤيته، وحُبُّ ما يُحِبُّ ومَن يُحب، وكُرْه ما يكره ومَنْ يكره.

ومن ذلك: معرفة سيرته ﷺ، وتدبرها، وأن يعيش المسلم تلك السِّيرة، وأن يأخذ العِبَر منها.

ومحبته باللسان تعني: التأدُّب عند ذكره ﷺ، فلا يذكر باسمه مجردًا، بل يُوصف بالنبوَّة أو الرسالة فقد وصف الرسول ﷺ من لا يصلِّي عليه عند ذكره بالبخيل(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (١٤)، ومسلم (٤٤)، واللفظ له.

(٢) أخرج أحمد (٢٥٨)، والترمذي (٣٥٤٦) والنسائي (٩٨٠٢) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، ثُمَّ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**». ﷺ.

ومن ذلك: كثرة الصَّلاة عليه، وترديد الأذكار والأدعية التي قالها ﷺ، ونشر سنته، وتعليمها للناس، وتذكيرهم بحقوقه ﷺ.

ومحبته بالجوارح تعني: العمل بسنته، والاقتداء والاهتداء بهديه ظاهرًا وباطنًا.

ومن لوازم محبته: أنَّ حرمة النبي ﷺ بعد موته، وتوقيره، وتعظيمه مستمرة بعد موته ﷺ عند ذكره، وسماع حديثه[1].

قال أبو إبراهيم التَّجِيبي: «واجب على كل مؤمن متى ذكره، أو ذُكر عنده أن يخضع ويخشع، ويتوقَّر، ويسكن من حركته، ويأخذ في هيبته وإجلاله؛ بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه، ويتأدب بما أدبنا الله به،... وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح، وأئمتنا الماضين رضي الله عنهم»[2].

ومن محبته ﷺ: الاهتداء بهديه ﷺ في أمور التوحيد والاعتقاد التي بعث من أجلها، ومن ذلك: اعتقاد تفرد الله عز وجل بالربوبية: فهو الخالق، وهو الرازق، وهو المحيي، وهو المميت، وهو المعزُّ، وهو المذل.

ومن أقرَّ أنه لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا نافع إلا الله وجب عليه أن يقرَّ أن العبادة بجميع أنواعها لا تكون إلا لله جل وعلا، فلا يُدعى إلا الله، ولا يستغاث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا تذبح النذور ولا تقرَّب القرابين إلا له جل وعلا.

والله جل وعلا له الأسماء الحسنى والصفات العُلى، نؤمن بها كما وردت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الصحيحة على ظاهرها، وما تدلُّ عليه ألفاظها من المعاني، ولا نؤولها عن ظاهرها.

---

(١) ينظر: «الصارم المسلول على شاتم الرسول» (٣/ ٨٠١).

(٢) «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (٢/ ٤٠).

وصفاته ﷻ لا تشبه صفات المخلوقين، تعالى عن النِّدِّ والنَّظير.

ومن توقيره ﷺ: موالاة آله وعترته وأهل بيته المؤمنين، وصحابته الكرام، ومحبتهم بما ورد في الشرع، فلا إفراط ولا تفريط، فعقيدتنا وسطٌ بين الإفراط والتَّفريط، والغلُوِّ والجفاء في جميع مسائل الاعتقاد، ومن ذلك عقيدتنا في آل بيت الرَّسول ﷺ:

فإنَّنا نتولَّى كلَّ مسلم ومسلمة من أهل البيت: أزواجه، وذريته، وبني هاشم، وبني المطلب، فنحبهم، ونتولاهم، وننزلهم منازلهم التي يستحقُّونها كما أمر الله، ومن ذلك أن نعرف الفضل لمن جمع الله له بين شرف الإيمان بالله ورسوله ﷺ، وشرف الاتصال بالنسب النبوي الشريف.

فمن كان من أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ، فإنَّنا نحبُّه لإيمانه وتقواه، ولصُحبته لرسول الله ﷺ، ولقرابته منه ﷺ.

ومن أتى من منهم بعد عصر النبوة، وهو مؤمن، فإنَّنا نحبُّه لإيمانه وتقواه، ولقرابته من رسول الله ﷺ.

ومن لم يُوَفَّق منهم للإيمان، فإنَّ شرف النَّسب لا يفيده شيئًا. قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجرَات: ١٣]، وقال ﷺ: «**وَمَن بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُه**»[1].

ومع هذه المحبة الواجبة: فإنَّنا لا نعتقد عصمتهم، بل هم بشر تقع منهم الذنوب كما تقع من غيرهم، كما لا نغالي في أوصافهم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

ونعتقد أنَّ مِن الصحابة مَن هو أفضل ممن جمع بين الصحبة والقرابة، فأبو بكر الصديق وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين هم خير الصَّحابة على هذا الترتيب.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.






الرسالة العاشرة

عبادة الصبر

أخي الحاج:

الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر.

وعبادة الصبر من العبادات التي عظَّم الله تعالى أجرها، وفضَّل أهلها، ورفع درجاتهم.

وهذه العبادة العظيمة الجليلة، جاء ذكرها في القرآن في مائة موضع، وذلك لعظم شأنها، وما أعده الله تعالى للصابرين.

والصبر مذكور في القرآن على أنواع:

فتارة يأمر الله به، كقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النّحل: ١٢٧].

وتارة ينهي عما يضاده، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وتارة بتعليق الفلاح به، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عِمرَان: ٢٠٠]، فعلَّق الفلاح بمجموع هذه الأمور.

وتارة بالثناء على أهله، فقد ذكرها الله من صفات كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عِمرَان: ١٦-١٧].

وتارة بالإخبار عن مضاعفة أجر الصابرين على غيره، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠].

وتارة بتعليق الإمامة في الدين به وباليقين، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السَّجدَة: ٢٤].

ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، كما أنه لا جسد لمن لا رأس له.

وقد أخبر النبي ﷺ أنه: «**ضياء**»[(١)].

وقال ﷺ: «**ومن يتصبر يصبره الله**»[(٢)].

والصبر يحتاجه المؤمن أيما حاجة؛ حتى يسير في هذه الدنيا على وفق ما يرتضيه الله تعالى، وكل العبادات قد رتب الله تعالى الجزاء لمن قام بها، ولكن الصبر جاء ذكر ثوابه بلا حدٍّ.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠].

والصبر هو حبس النَّفس عن محارم الله، وحبسها على فرائضه، وحبسها عن التَّسخُّط والشِّكاية لأقداره، ولسانه عن الشَّكوى، وجوارحه عمَّا لا ينبغِي فعله مع انتظار الفرج من الله ﷻ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣)، والتَّصبر تكلف الصبر.

وبعض النَّاس إذا سمع بالصبر وعبادة الصبر لم يتوارد إلى ذهنه إلا الصبر على المصائب والابتلاءات والمحن، نعم هذا نوع من الصبر محمود، وعبادة عظيمة، لكنه نوع من أنواع الصَّبر، لا الصَّبر كلَّه.

والصبر على المصائب والابتلاءات - وهو الصبر على أقدار الله المؤلمة - واجب على المسلم، ويكون صبره بعدم إظهار الجزع أو التَّسخط سواء أكان قولاً أو فعلاً، فمن لزم الصبر لم يتسخط على القدر، ولم يعترض عليه، وإن كان متألمًا في نفسه.

ولذلك قال ﷺ عند وفاة ابنه إبراهيم رضي الله عنه: «**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[1].

والصبر على ثلاثة أنواع: صبر على الطاعة، وصبر عن المحرم، وصبر على أقدار الله.

النوع الأول - وهو أعظمها -: الصبر على طاعة الله تعالى، فإن الطاعة لله تعالى تحتاج إلى صبر ومصابرة.

وما ذلك إلا أنَّ الصبر على التَّكليف هو صبر على الطاعة أو صبر عن المعصية، وهما أفضل من الصبر على مُرِّ القدر، والذي يأتي به البَرُّ والفاجر، والمؤمن والكافر، فلابُدَّ لكلِّ أحد من الصَّبر على القدر سواء أكان اختياراً أو اضطراراً، أما الصبر على الأوامر وعن النواهي فهو صبر من اتَّبع الرسل.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥).

والعبد يحتاج إلى الصبر للقيام بالعبادات، فعبادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحتاج إلى صبر ومصابرة. فالصبر من مقتضيات ولوازم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ [الهُمَزة: ١-٣]، أي لا بد من الصبر إذا تواصى الإنسان مع إخوانه على الحق.

قال تعالى في وصية لقمان لابنه: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمَان: ١٧].

وعبادة الصلاة تحتاج إلى صبر، فيترك الإنسان لذيذ نومه، ويترك فراشه ويهبُّ لإجابة داعي الله تعالى، فيؤدي صلاة الفجر مع جماعة المسلمين، ويحافظ على سائر الصلوات حيث ينادى بها في المساجد فهذا يحتاج إلى الصبر، والصوم وترك الطعام والشراب في يوم شديد الحر يحتاج إلى صبر، وإنفاق المال الذي هو محبوب للنفس يحتاج إلى صبر.

وبالجملة: فما من عبادة إلا وهي بحاجة للصبر؛ لما فيها من مخالفة النفس وإرغامها على ما تكره.

النوع الثاني: الصبر عن محارم الله ومعاصيه، فالإنسان يحتاج إلى أن يمنع نفسه إذا دعته إلى ارتكاب محرم من المحرمات بالصبر، فإذا دعته نفسه وهواه إلى النظر المحرم، أو إلى سماع المحرم، أو إلى فعل المحرم، فيتذكر أن الله قد نهاه، وأن الله تعالى مطلع عليه ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العَلَق: ١٤]، فيصبر عن هذه المعصية رجاء ثواب الله تعالى، وخوف عقابه.

ومما يعين على الصبر عن محارم الله: أن يعلم العبد قبحها، وأن الله حرمها صيانة له عن الرذائل؛ فيحمله ذلك على تركها، ومنها الحياء من الله ﷻ، والخوف منه فيتركها لسوء عاقبتها، وأنَّ الله مطلع عليه يراه ويسمعه، فيبعثه ذلك على الكفِّ عما نهي عنه، ومنها مراعاة النِّعم، فإن المعصية غالبًا تكون سببًا لزوال النعمة، ومنها محبة الله الباعثة على تغليب محبوب الله ﷻ على محبوبه هو.

النوع الثالث: الصبر على أقدار الله المؤلمة، فمن أركان الإيمان: الرضا بقضاء الله وقدره، وأن يعلم الإنسان أن القدر خيره وشره من الله، وأن ما أصابه إنما هو بقدر الله تعالى فيصبر ويحتسب، ولذلك قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٥].

فالصبر عند المصائب من العبادات العظيمة التي يغنم بها العبد الأجور العظيمة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتت امرأة إلى النبي ﷺ بصبي لها فقالت: يا نبي الله! ادعُ الله له، فلقد دفنت ثلاثةً، قال ﷺ: «**دفنت ثلاثة؟!**» ـ مستعظماً أمرها ﷺ ـ قالت: نعم؛ قال: «**لقد احتظرتِ بحظارٍ شديدٍ من النار**».(١)

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات ولد العبد، قال الله ﷻ** لملائكته: «أقبضتم ولد عبدي؟» فيقولون: نعم؛ فيقول وهو أعلم: «أقبضتم ثمرة فؤاده؟» فيقولون: نعم. فيقول: «ماذا قال

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٣٦). **قوله: احتظرت**، أي امتنعت بمانع وثيق من النار، وتحصنت منها بحصن حصين، وأصل الحظر: المنع.

عبدي؟» فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله ﷻ: «ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسمّوه بيت الحمد»[١].

وهذا الأجر العظيم له شرط، وهو أن يكون الصبر عند الصدمة الأولى.

فعن أنس ﵁ قال: مرَّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: «**اتقي الله واصبري**». قالت: إليك عني؛ فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوَّابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»[٢].

فوقوع المصيبة بغتة لها رَوعة تزعزع القلب وتزعجه، فإنْ صبر مباشرة وهي التي تسمى الصدمة الأولى انكسر حَدُّها، وضعفت قوتها، فهان عليه استدامة الصبر، فكل صاحب مصيبة فإن قصاراه ومآله إلى الصبر، ولكنه إنما يحمد على صبره عند حِدَّة المصيبة وحرارتها.

فالمرء عند المصائب يصبر رجاء ثواب الله تعالى، وقد قال النَّبي ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرًا له**»[٣].

فالمؤمن في كل أحواله إنما يفعل ما يرضي الله تعالى من

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٧٢٥)، والترمذي (١٠٢١)، وحسَّنه ابن حجر في «الفتوحات الربانية» (٣/٢٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

العبادات، فلا تستخرج عبادة الصبر إلا عند مقتضاها من الصبر على طاعة الله، والصبر عن محارم الله، والصبر على أقدار الله المؤلمة.

فالمرء عند المصيبة وعند الصدمة الأولى يتذكر ما أعده الله تعالى للصابرين، وأن المؤمن إذا أصابته ضراء صبر، ويعلم أن هذه المصيبة ما حدثت ولا مضت إلا بتقدير العليم الحكيم، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، فيؤمن بالقدر خيره وشره، وعليه الاسترجاع والحمد، وأن يعلم أن عبادة الصبر من أجلِّ العبادات، وأنه يبتلى بأمور كثيرة، لكن كما قال الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الرُّوم: ٦٠]، فاعلم أنه لو جاءك ما يأتي من المحن والابتلاءات والأذى من قول أو فعل أنَّ عبادة الصبر هي ما يتقرَّب به العبد في هذه الحال، وأنَّ العاقبة حميدة لمن صبر لله تعالى في الدنيا والآخرة.

اللهم إنا نسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا وأهلنا ومالنا، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، اللهم احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا.

اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وألِّف بين قلوبهم، وأصلح ذات بينهم، ووفق ولاة أمورهم لكل خير.

اللهم وفِّقْ خادم الحرمين الشريفين لكل خير.

اللهم انصر به دينك وأعْلِ به كلمتك.

اللهم اجمع به كلمةَ الأُمَّةِ على الخير، وبارك له في مساعيه واجعل مساعيه فيما يقدم إليك زلفى.

اللهم شدَّ عضده بولي عهده، وبارك له في مساعيه الخيرة.

اللهم وفقهما للصواب فيما يقولان ويفعلان، إنك على كل شيء قدير

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البَقَرَة: ٢٠١].

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحَشر: ١٠].






فهرس المصادر المراجع

* القرآن الكريم.

* **أخلاق أهل القرآن**، الآجري، تحقيق: محمد عمرو عبد اللطيف، ط٣، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.

* **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، الشنقيطي، دار الفكر، ١٤١٥هـ.

* **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط١، مكتبة السنة المحمدية.

* **الآداب الشرعية والمنح المرضية**، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٩هـ.

* **الأدب المفرد للبخاري**، ط٣، دار البشائر، ١٤٠٩هـ.

* **الأذكار**، النووي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار الفكر، ١٤١٤هـ.

* **الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف**، شكيب أرسلان، دار النوادر، ط١، ١٤٢٦هـ.

* **البيان والتبين**، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، دار العروبة،

* **التعريفات**، علي الجرجاني، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.

* **الروح**، ابن القيم، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، ط١، عالم الفوائد، ١٤٣٢هـ.

* **السنن الصغرى (المجتبى) للنسائي**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ.

* **السنن الكبرى**، البيهقي، ن: محمد عطا، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.

* **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، القاضي عياض، ط١، دار الفكر، ١٤٠٩هـ.

* **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، ابن تيمية، تحقيق: محمد الحلواني، ط١، رمادي للنشر، ١٤١٧هـ.

* **الصحاح**، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين. ١٤٠٧هـ.

* **الفائق في غريب الحديث**، الزمخشري، تحقيق: علي البجاوي، ط١، مكتبة البابي الحلبي.

* **الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني**، جمع وتحقيق: محمد صبحي حلاق، ط١، مكتبة الجيل.

* **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، محمود الزمخشري، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

* **المجموع شرح المهذب**، للنووي، تحقيق: محمد المطيعي، مكتبة الإرشاد.

* **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم، تحقيق: مصطفى عطا، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.

* **المصنف**، ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال الحوت، ط١، مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ.

* **المصنف**، عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ.

* **المعجم الأوسط**، الطبراني، تحقيق: طارق عوض الله، ط١، دار الحرمين.

* **المعجم الكبير**، الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية.

* **المعين على تفهم الأربعين**، ابن الملقن، تحقيق: دغش العجمي، ط١، مكتبة أهل الأثر، ١٤٣٣هـ.

* **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، الفيروز آبادى، تحقيق: محمد علي النجار، ط١، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر.

* **بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام**، ابن القطان، تحقيق: الحسين آيت سعيد، ط١، دار طيبة، ١٤١٨هـ.

* **تفسير ابن كثير**، تحقيق: سامي السلامة، ط٢، دار طيبة، ١٤٢٠هـ.
* **تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي.
* **جامع الترمذي**، تحقيق: أحمد شاكر، ط٣، مطبعة البابي، ١٣٩٥هـ.
* **جمهرة اللغة**، ابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط٣، دار العلم للملايين.
* **دلائل النبوة**، البيهقي، ط٣، دار الكتب العلمية.
* **رحلة ابن جبير**، دار صادر.
* **رحلة إلى الحجاز**، إبراهيم المازني، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م.
* زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢٧، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ.
* **سلسلة الأحاديث الصحيحة، وشيء من فقهها**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف.
* **سنن ابن ماجه**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ.
* **سنن أبي داود**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ.
* **شرح الأربعين النووية**، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٢٥هـ.
* **شرح العقيدة الطحاوية**، ابن أبي العز، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١٠، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ.
* **شعب الإيمان**، البيهقي، تحقيق: عبد العلي الحامد، ط١، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ.
* **صحيح ابن حبان (بترتيب ابن بلبان)**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ.

* **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق: مصطفى الأعظمي، ط٣، المكتب الإسلامي، ١٤٢٣هـ.

* **صحيح البخاري**، دار التأصيل، ١٤٣٦هـ.

* **صحيح الترغيب والترهيب**، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، مكتبة المعارف، ١٤٢١هـ.

* **صحيح مسلم**، دار التأصيل، ١٤٣٥هـ.

* **عيون الأخبار**، ابن قتيبة، ط١، دار الكتب المصرية، ١٣٤٣هـ.

* **غريب الحديث**، ابن قتيبة، تحقيق: عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ.

* **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ابن حجر، ط١، المطبعة السلفية، ١٣٨٠هـ.

* **فتح ذي الجلال والإكرام شرح بلوغ المرام**، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، ١٤٢٤هـ.

* **فضائل الصحابة**، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: وصي عباس، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ.

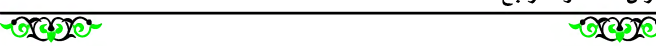
* **فضل الصلاة على النبي ﷺ**، إسماعيل بن إسحاق، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، المكتب الإسلامي، ١٩٧٧م.

* **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المناوي، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ.

* **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن القاسم، ط١، مطبعة الرياض، ١٣٨١هـ.

* **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**، عبد العزيز بن باز، جمع: محمد الشويعر، ط٤، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

* **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.



* **مسند الدارمي**، تحقيق: حسين أسد، ط١، دار المغني، ١٤٢١هـ.

* **مشارق الأنوار عل صحاح الآثار**، القاضي عياض، ط١، دار الكمال المتحدة، ١٤٣٧هـ.

* **مكارم الأخلاق**، ابن أبي الدنيا، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، ط١، مكتبة أهل القرآن.

* **نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار**، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: حمدي السلفي، ط١، دار ابن كثير، ١٤١٦هـ.

* **نظم الدرر في تناسب الآي والسور**، للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي.






فهرس الموضوعات

